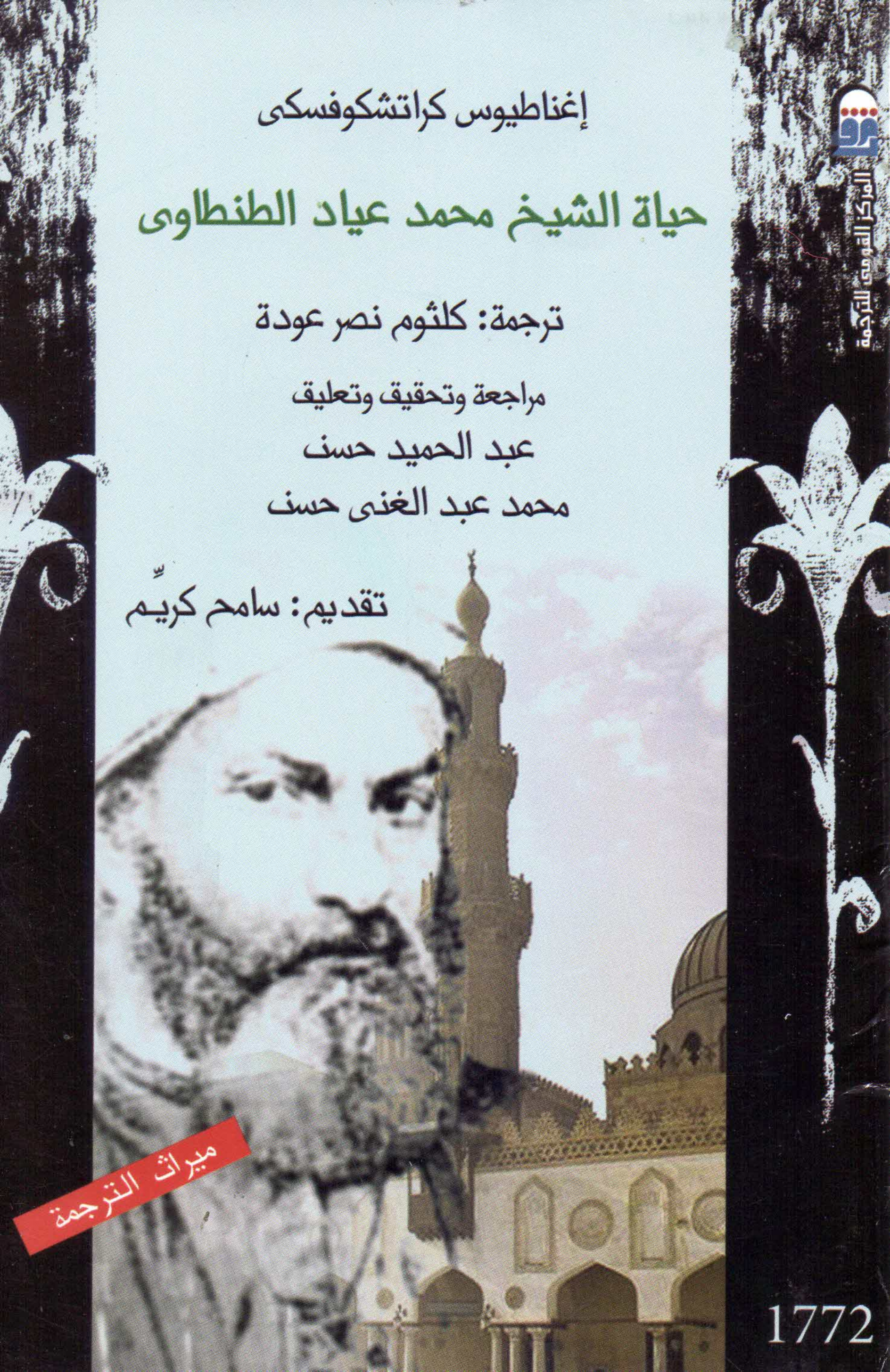

إغناطيوس كراتشكوفسكى
حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى
ترجمة: كلثوم نصر عودة
مراجعة وتحقيق وتعليق
عبد الحميد حسن
محمد عبد الغنى حسن
تقديم: سامح كريِّم
ميراث الترجمة
المركز القومى للترجمة
1772



يأتى هذا الكتاب حلقة فى سلسلة اهتمام الروس المتصل بالثقافة العربية الإسلامية. وهو سيرة للشيخ محمد عياد الطنطاوى، أحد أعلام النهضة الفكرية فى مصر والعالم العربى فى القرن التاسع عشر، وأحد علماء الأزهر الشريف (1810 - 1861) الذى سافر ليدرس اللغة العربية بجامعة بطرسبورج فيقضى بها بقية حياته ويتخرج على يديه العديد من نوابه المستشرقين الروس.

وكاتب السيرة هو المستشرق الروسى الكبير إغناطيوس كراتشكوفسكى (1883 - 1951).

للكتاب قيمة فريدة فى أدب الرحلات، وفى النظرة المتبادلة بين العرب والروس المعاصرين.

تصميم الغلاف: نسرين كشك

حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة
المشرف على السلسلة: مصطفى لبيب

- العدد: 1772
- حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى
- إغناطيوس كراتشكوفسكى
- كلثوم نصر عودة فاسيليڤا
- عبد الحميد حسن، ومحمد عبد الغنى حسن
- سامح كريم
- اللغة: الروسية
- 2013

هذه ترجمة كتاب:

ШЕЙХ ТАНТАВИ ПРОФЕССОР
С.- ПЕТЕРБУРГСКОГО УНИВЕРСИТЕТА
(1810- 1861)
И. Ю.КРАЧКОВСКИЙ

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 Fax: 27354554

حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى

تأليف: إغناطيوس كراتشكوفسكى

ترجمة: كلثوم نصر عودة

مراجعة وتحقيق وتعليق

عبد الحميد حسن   محمد عبد الغنى حسن

تقديم: سامح كريم



2013

كراتشكوفسكى، اغناطيوس يوليانوفتش، ١٨٨٣ - ١٩٥١.

حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى/ تأليف: إغناطيوس كراتشكوفسكى؛ ترجمة: كلثوم نصر عودة فاسيليفا؛ مراجعة وتحقيق وتعليق: عبدالحميد حسن، محمد عبد الغنى حسن؛ تقديم: سامح كريم. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣.

٢٦٤ص؛ ٢٠ سم. ـ (المركز القومى للترجمة).

تدمك ٦ ٣٦١ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ الإسلام ـ تراجم.

٢ ـ محمد عياد الطنطاوى، محمد عياد بن سعد بن سليمان، ١٨١٠ ـ ١٨٦١.

أ ـ فاسيليفا، كلثوم نصر عودة. (مترجم)

ب ـ حسن، عبد الحميد. (مراجع ومحقق ومعلق)

ج ـ حسن، محمد عبد الغنى. (مراجع ومحقق ومعلق مشارك)

د ـ كريم، سامح. (مقدم)

هـ ـ العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٣٤٧/ ٢٠١٣

I. S. B. N 978 - 977 - 448 -361 - 6

ديوى ٩٢٢.١

المحتــويات

تقديم هذه الطبعة

قبل التعرف على كل من مؤلف الكتاب العلاَّمة الروسى كراتشكوفسكى، أو مترجمته إلى اللغة العربية الكاتبة الفلسطينية كلثوم نصر عودة أو على المراجعين لهذه الترجمة العربية عضوى مجمع اللغة العربية عبد الحميد حسن ومحمد عبد الغنى حسن.. وقبلهم بالطبع المُعَنى أصلاً بتأليف هذا الكتاب وهو الشيخ محمد عياد الطنطاوى من وجهة نظرنا... قبل ذلك كله لعلنا نشير - ولو من بعيد - إلى اهتمام الروس بالثقافة العربية الإسلامية، ووضوح هذا الاهتمام عند كتّابها الكبار المؤسسين للثقافة الروسية الحديثة الذين اعترفوا بتأثير هذه الثقافة العربية الإسلامية فى كتاباتهم سواء فى مضمونها العربى أو الآخر الإسلامى.

الثقافة العربية فى روسيا

بدأ اهتمام الروس بالثقافة العربية الإسلامية من خلال التجارة بين روسيا وبين الأقطار العربية والإسلامية، خاصة فى العصر العباسى الأول، حيث كان تجار بغداد يقصدون روسيا للبيع والشراء، إلاَّ أن

الاهتمام بالثقافة خاصة وضح مبكرًا من العرب بعد أن أرسل الخليفة العباسى «المقتدر» مبعوثه أحمد بن فضلان إلى ملك البلغار الذى كان يقيم على ضفاف الفولجا، ليعود ويقدم لهذا الخليفة مكتوبًا بعنوان «وصف روسيا» فيزداد الاهتمام الثقافى بين الطرفين ولو بصورة خام أو جنينية، يتضاعف بعد ذلك عن طريق الحجاج الروس إلى بيت المقدس حين وصفوا ما شاهدوه فى رحلاتهم ومن أشهرها ـ بعد ذلك ـ رحلة الأب دانييل الذى كتبها بالروسية عام ١١١٣م، ثم ترجمت إلى الفرنسية بعد ذلك. ثم ازدادت هذه العلاقات واتسعت بعد فتوح الإسلام عن طريق الإمبراطورية المغولية: حيث اكتسح جنكيز خان فى الفترة ما بين عامى (١١٦٢ - ١٢٢٧) بلدانًا كثيرة مخالطًا إياها، إلاَّ أنه عجز عن إبداع حضارة أو ثقافة تعرف به لميله الشديد للسلب والنهب والهدم، وأخذه الأمور بالعنف إلى أن غزا المغول روسيا، وأغاروا على بولونيا والمجر وعبروا نهر الدانوب إلى بلغاريا على يد حفيده أى ـ جنكيز خان ـ «باتوخان» فى الفترة ما بين (١٢٢٧ - ١٢٥٥).

ثم جاء تيمور لنك الذى انتسب إلى جنكيز خان فأرسل أحد قواده ويدعى تقتمش لغزو روسيا، فاستولى على موسكو ونهبها فى عام ١٣٨١، ليجيء بعد ذلك تيمور لنك نفسه عام ١٣٩٥ فاحتلها، ثم سيطرت حامية إحدى قبائل المغول على جانب كبير من روسيا مدة تصل إلى ٢٤٠ سنة طبعتها بطابعها الإسلامى فى الدين والثقافة والحضارة.

ولما سقطت إمبراطورية المغول، خرجت روسيا من حدودها الأوروبية إلى آسيا، وكان ذلك فى القرن السادس عشر الميلادى. وهنا ربط الإسلام بينها بعد أن أصبح فيها ما يقرب من الثلاثة والعشرين مليونًا

من المسلمين فى آسيا والقوقاز، كما ربطت اللغة العربية بينهما بروابط دينية وتاريخية وثقافية وثيقة. حتى إن روسيا كانت تفخر بإسهام مفكريها فى الحضارة العربية الإسلامية كالخوارزمى والبيرونى والفارابى وغيرهم. وهو ما تدل عليه آثار ومخطوطات وكتابات باللغة العربية وليست باللغة الروسية، ومنها نقش عربى على حجر من الأحجار قرب مدينة «كفليس» أو الكتابة بالعربية على النقود وقد اهتم بهذه الكشوف العربية فى شمال القوقاز كل من كراتشكوفسكى، "مؤلف كتاب حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى الذى بين أيدينا الآن" وجسينكو، وبارانواف وغيرهم وعنوا بها عناية خاصة فنشروا العديد منها مع ترجمتها وتحقيقها والتعليق عليها، كما صدرت فى كفليس مجموعة منتخبات أدبية عربية تتضمن نصوص ما لم يكن قد نشر بعد، أو نصوصاً مستقاة من المخطوطات العربية كأخبار بلاد جورجيا للبطريرك الأنطاكى مكاريوس، وكذلك أخبار ابن الأزرق الفارقى مؤرخ مدينة ميافارقين، كما ظهر فى جورجيا أول قاموس عربى جورجى مشتملاً على مفردات غير واردة فى المعاجم العربية.

وفى بخارى فى آسيا الصغرى كان هناك أكثر من خمسة آلاف عربى أحفادهم يعدون بعشرات الآلاف يتكلمون اللغة العربية حتى اليوم من بينهم الإمام البخارى أحد أئمة الإسلام الكبار. هؤلاء تغلغلوا فى بخارى تحت لواء الإسلام فى عصر الفتوحات الإسلامية. فاستوطنوها، وللمسلمين فى قازان مدرسة للأئمة المسلمين تعنى بتحفيظ القرآن الكريم وتفسيره، وعلم الكلام والفلسفة والمنطق، كما تعلم المدارس هناك - فى قازان - القرآن الكريم والحديث الشريف وفيهم نخبة من العلماء منهم المتمكن من اللغة العربية وثقافتها ومنهم الملم بها، لكن

معظمهم يتسمون بأسماء عربية، ويصومون رمضان، ويحافظون على تعاليم الإسلام وتقاليده، وصلواته الخمس.

وبعد أن أخذ الغرب الاستشراق مأخذًا علميًا ونظمت فرنسا بعثة فتيان اللغات عام ١٦٩٩م، وأنشأت النمسا مدرسة لتعليم السفراء والتجار اللغات الشرقية ومنها العربية عام ١٧٥٣ أرسل بطرس الأول - من روسيا - خمسة من طلاب موسكو يتعلمون هذه اللغات الشرقية فى الشرق ذاته، واتبعت الإمبراطورة كاترين الثانية منهجه فأمرت بتعليم عدد من الأفراد اللغة العربية عام ١٧٦٩ وإعدادهم للقيام بالترجمة بعد ذلك. وقد بدأ عدد من المستشرقين تدريس اللغة العربية فى موسكو واهتدوا إلى معرفة الخط الكوفى. بيد أن نشاط هؤلاء المستشرقين، وأثر الذين وفدوا إلى الشرق العربى وكتبوا عنه ظل قليلاً لأسباب سياسية: «على الرغم من أن كاترين الثانية أصدرت القرآن الكريم على نفقتها، مما أحدث ضجة فى كل أوروبا» كما يذكر الأستاذ نجيب العقيقى وغيره من المؤرخين.

من الأسباب التى أسهمت فى توطيد دعائم اللغات الشرقية وفى مقدمتها اللغة العربية على اعتبار أنها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف ستة أسباب هى: كراسى اللغات الشرقية، والمكتبات الشرقية، والمطابع الشرقية، والمتاحف الشرقية، والمجلات الشرقية، إلى جانب الآداب العربية.

● فمثلاً كراسى اللغات الشرقية ومنها العربية حيث وجدت فى الجامعات، فكانت جامعة خاركوف أول جامعة تطبق نظام تدريس العربية عام ١٨٠٤، ثم جامعة قازان التى بدأت تدريس العربية عام

١٨٠٧ ثم جامعة موسكو التى أنشئ فيها معهد الألسن عام ١٨١١ الذى وجه عنايته إلى اللغة والأدب العربى، ومن ألمع أساتذته بولديريف الذى ترجم عدة منتخبات عربية، وحين تولى رئاسة هذه الجامعة ازدهر فى عهده معهد الألسن ازدهارًا فريدًا، تبع هذه الجامعة إنشاء كلية لازاديف حيث كانت تدرس اللغة العربية إلى جانب الأرضية والقوقازية، وقد نقل كرسى اللغة العربية من جامعة موسكو إليها، وقد استعانت بأول أستاذ للعربية جرجس مرقص الدمشقى، ثم خلفه ميخائيل يوسف عطايا فى تدريس العربية لغة وأدبًا. ثم جامعة بطرسبورج وفيها نهجت الدراسات العربية منهجًا علميًا صرفًا بعد أن استعان قيصر روسيا إسكندر الأول بالمستشرق الفرنسى «دى ساكى» فى كيفية تدريس العربية فأوفد إليه عددًا من المستشرقين يتقدمهم زيمانج أول أستاذ للعربية، وكان تَعَلُّم العربية فى هذه الجامعة يستغرق أربع سنوات يتلقى الطلاب فيها سورًا من القرآن الكريم، وقواعد اللغة العربية، ومختارات من كتاب كليلة ودمنة، ومعلقة الشاعر لبيد وملخصات من رسائل إخوان الصفا وألف ليلة وليلة ومقامات الحريرى. وقد تولى كرسى اللغة العربية فى هذه الجامعة - بطرسبورج - الشيخ محمد عياد الطنطاوى من عام ١٨٤٧ إلى عام ١٨٦١ عاونه فى تدريس العربية نافروتسكى الذى أنشأ بعد ذلك الكلية الشرقية التى عنيت بالعربية لغة وأدبًا، وقام بالتدريس فيها عدد من متقنى العربية من أصول عربية مثل: كاظم ميرزا بك، وسليم نوفل، وأنطون خشاب وغيرهم.

وهكذا نهجت الدراسات العربية منهجًا علميًا منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى ثورة ١٩١٧، فأنشئ معهد اللغات الشرقية وتولى إدارته كراتشكوفسكى الذى جعل برامجه تستغرق ثلاث سنوات لتدريس العربية

لغةً وأدبًا، كما أنشئ المعهد المركزى للغات الشرقية الحية بموسكو عام ١٩٢٠، وأسس تلاميذ كراتشكوفسكى معهدًا للدراسات العربية فى كفليس عام ١٩١٨ وجمعوا المخطوطات العربية النادرة ونظموها، وفى العام نفسه أنشأت الحكومة الروسية جامعة طشقند التى عنيت بتدريس اللغة العربية، وصنف أساتذة قسم اللغة العربية فيها القاموس الروسى العربى. وقد وصل الاهتمام بالعربية وقتئذ أن بعض المدارس الثانوية فى طشقند وأذربيجان وطاجيكستان قامت بتدريس هذه اللغة.

وقد وَضَّح الاستشراق فى روسيا الكثير من العلاقات مع بلدان الشرق - خاصة مصر - على أيدى علماء روسيا وقناصلها، فقد استدعى الوالى محمد على مهندس المناجم كافالفسكى ليرأس بعثة اكتشاف الذهب فى السودان، بل وأُنشئت بعض المدارس الروسية فى سوريا ولبنان وفلسطين، ودار للمعلمين فى الناصرة وبيت جالا، وممن تخرجوا من هذه الدار بعد أن أتموا تعليمهم الأكاديمى فيها الأديب اللبنانى الكبير ميخائيل نعيمة.

● المكتبات والمطابع والمتاحف فى روسيا: كما اهتمت كل من المكتبات والمطابع والمتاحف الشرقية فى روسيا بالثقافة العربية فنجد منها المكتبة «الإمبراطورية العامة» فى بطرسبورج تحوى العديد من الكتب والمخطوطات العربية والإسلامية، كما نجد فى مكتبة المتحف الآسيوى التابعة لمجمع العلوم فى مدينة لينينجراد عددًا مماثلاً من الكتب والمخطوطات والألواح العربية، وأيضًا فى مكتبة بطرسبورج نجد عددًا آخر من هذه الكتب والمخطوطات أهمها نسخة نادرة من القرآن الكريم بخط كوفى كانت محفوظة فى صندوق من الزجاج قيل إنها النسخة التى

كتبها الخليفة عثمان بن عفان ﷺ وعليها قطرة من دمه بعد قتله. وقد طلب المسلمون هذه النسخة لقيمتها المعنوية بالنسبة لهم من الحكومة المؤقتة وقتئذ بعد الثورة البلشفية. وقد أجابتهم الثورة على ذلك بإرسالها إليهم لعدم حاجتهم إليها. ونقلت من روسيا فى احتفال مهيب إلى إحدى الحواضر الإسلامية. كذلك هناك مخطوطات أخرى نادرة للبيرونى وأسامة بن منقذ والحريرى وابن قزمان وأحمد بن ماجد. كما ضم المتحف الآسيوى مجموعة من المخطوطات العربية صنف لها المستشرق كراتشكوفسكى فهرسًا علميًا دقيقًا. وفى المطابع الشرقية عدد من منشورات مطبعة قازان العربية، وعدد آخر من المنشورات العربية لمطبعة بطرسبورج منها «لامية الأفعال» لابن مالك، و"نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر» لشمس الدين الدمشقى الصوفى، والجزء الأول من صحيح البخارى عام ١٨٧٦، ومشكاة المصابيح للتبريزى عام ١٩٠٨.

وفى المتاحف الشرقية نجد فى متحف معهد علم الشعوب بلينينجراد قسمًا خاصًا بالشرق العربى. وكذلك فى متحف بوشكين للفنون الجميلة بموسكو نجد فيه مركزًا لحضارات مصر وسوريا والعراق، كما نجد فى متحف الحضارات الشرقية بموسكو الكثير من الآثار العربية.

● الآداب العربية:

إلاَّ أن الاهتمام بالآداب العربية قديمها وحديثها والتأثر بها خرج من نطاق الجامعات والمكتبات والمتاحف فى روسيا إلى الأدباء والعلماء، خارج أسوار الجامعات والمجلات ودوائر المعارف؛ حيث ألَّف تولستوى كتاب «حكم النبى محمد» عليه الصلاة والسلام ترجمه إلى العربية سليم

قبعين، واقترح مكسيم جوركى إنشاء فرع شرقى فى دار الآداب العالمية حيث نشر حكايات لقمان الحكيم، وحى بن يقظان، وذكريات أسامة بن منقذ، ونشرت مجلة الشرق قصيدتين لأمين الريحانى، ومختارات من المتنبى وابن ياسر وعلى بن الجهم، وإحدى مقامات ناصيف اليازجى، ولامية الشنفرى، وابن حمديس، وألفت/ كلثوم نصر عودة - مترجمة هذا الكتاب الذى بين أيدينا - المنتخبات العصرية لدرس الآداب العربية بالروسية عام ١٩٢٥، وممن اشتملت عليهم هذه المنتخبات الأدباء: أديب إسحق، والكواكبى، وجورجى زيدان، وأمين الريحانى، وجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وفى الطبعة الثالثة من هذه المنتخبات أضافت طه حسين والحكيم والمازنى، ويوسف إدريس والشرقاوى والخميس ودكروب، وقد صدر للأدباء العرب ١٢٤ كتابًا منها فى النثر العربى لولى الدين يكن وأمين الريحانى ويوسف السباعى ويوسف جوهر، ومحمود البدوى ومحمود لاشين ومحمود تيمور، وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ وعبد الحليم عبد الله، ويحيى حقى وميخائيل نعيمة وطه حسين ومن الشعر قصائد لشعراء مصر وعددهم ٤٩ شاعرًا ومن العرب شعراء يتقدمهم جبران خليل جبران يضاف إلى هذه الترجمات ما ظهر فى روسيا بالعربية من مؤلفات للفارابى وابن سينا وابن رشد والبيرونى والسكاكى وغيرهم، وما قامت به جامعات روسيا من تحقيق الكتب العربية وترجمتها ونشرها، وفهرسة المخطوطات وحفظها الآن. وقد خص الشرق العربى منها الكثير، كما عنى المستشرقون الروس بنشر العديد من المصنفات العربية وفى مقدمتها تاريخ الجبرتى، وكتاب «الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد» لابن ماجد، ومقدمة ابن خلدون، والبخلاء للجاحظ، و «الأخبار الطوال» للدينورى، وكليلة ودمنة

لابن المقفع، وطوق الحمامة لابن حزم، والاعتبار لأسامة بن منقذ وغيرها.

يضاف إلى هذا الاهتمام بنشر وترجمة الكتب العربية التأثير العربى الإسلامى فى الأدب والفكر الروسى وهو ما أشارت إليه الدكتورة مكارم الغمرى فى كتابها «مؤثرات عربية وإسلامية فى الأدب الروسى» أو ما نشره - كاتب هذه المقدمة - بالأهرام فى عددين متتاليين بتاريخ ٢٤/ ١/ ١٩٩٢، ٣١/ ١/ ١٩٩٢ هذا التأثير كان من الإسلام وكتابه "القرآن الكريم" الذى شكل ينبوعًا خصبًا للإلهام فى الآداب الروسية، بل إن الحضارة العربية الإسلامية شكلت هى الأخرى نبعًا آخر استلهم منه الأدباء الروس الكثير من الصور الأدبية والرموز والأساليب فإذا كان القرن التاسع عشر الذى انعكس فيه التأثير العربى على الأدب الروسى بشكل واضح. فإن ذلك سبقته مرحلة أخرى من التلقى والاستيعاب فى نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر على امتدادهما تمت عملية اكتناز للعناصر العربية، وهى العملية التى مهدت لحدوث التفاعل الحضارى أو التأثير والتأثر التى اتضحت بشكل خاص فى الأدباء الروس حيث تمت عملية الإخصاب الفكرى بين أدب وفكر الشرق العربى البالغ كمال نضجه، والأدب الروسى فى العصر الحديث وهو بسبيل يقظته الكبرى وتلمس طريقه عبر وسائط منها العلاقات التجارية بين روسيا والشرق العربى، ورحلات الحج، وحركة الاستشراق، والبعثات العلمية والأخرى الدبلوماسية والترجمات التى نقلت الكتب العربية إلى اللغة الروسية، وأخيرًا الصحافة وما قامت به من دور فى نشر موضوعات عن الثقافة العربية وعلاقاتها بالروسية، وكان لكل هذه الوسائط نتائج أهمها اعتراف أكبر أدباء روسيا بعظمة الحضارة العربية

الإسلامية فيقول كبيرهم الأديب بوشكين: «كثير من القيم الأخلاقية موجزة فى القرآن فى قوة وشاعرية»، ويسجل ليرمونتوف: «سماء الشرق قد قربتنى بلا إرادة منى إلى تعاليم نبيهم محمد»، ويخاطب تولستوى الإمام محمد عبده: أعتقد أننى لا أخطئ حين أعتقد أن الدين الذى أعتنقه، هو نفسه الذى تعتنقونه» ويغرد بونين شعرًا: « فتح إذن ذلك الخالد فوق الصحراء فوق الأرض فى المساء المعتم الزرقة، كتاب النجوم السماوية قرآنًا».

ويبقى بعد ذلك تأثير الثقافة العربية فى إنتاج أربعة من أدباء روسيا الكبار وهم: الكسندر بوشكين، وميخائيل ليرمنتوف، وليف تولستوى، وإيفان بونين. فمثلاً تأثر بوشكين - مؤسس الأدب الروسى الحديث - بكتاب ألف ليلة وليلة فى مؤلفاته ومنها روسلان ولود ميلا، وليالى مصرية، وقصيدتى القمر يتألق والتعويذة، وتستوقفه فى هذه الليالى شخصية هارون الرشيد بصفته رمزًا إنسانيًا كانت له بصماته فى مسيرة الحضارة، كذلك يتأثر شعره بالبديع فى الشعر العربى، ويحتل تاريخ مصر القديمة حيزًا من اهتمامه، هذا إلى جانب المؤثرات الإسلامية فى أدبه حيث استلهم من القرآن الكريم والسيرة البنوية الكثير من أعماله الإبداعية فمن القرآن استلهم قصيدته «قبسات من القرآن» ومن السيرة النبوية استلهم قصيدة عنوانها «الرسول» قاصدًا الرسول محمد ﷺ.

وميخائيل ليرمونتوف الذى يحتل مكانة تالية بعد بوشكين فى الأدب الروسى تأثر هو الآخر بالثقافة العربية الإسلامية بعد تعرفه على الدين الإسلامى من مسلمى القوقاز. ويبدو أن ذلك كان له كبير الأثر فى نفسه؛ حيث يشير فى قصيدة عنوانها «فاليرك» إلى القرابة الروحية التى صارت تربطه بالإسلام، ويظهر هذا التأثير فى قصيدتى «ثلاث

نخلات» و«هبات التركى»، وكذلك يستلهم من السيرة النبوية مضمون قصيدة عن النبى محمد ﷺ بعد أن سبقه إلى ذلك بوشكين بقصيدة مماثلة. ولا يتوقف اهتمام ليرمونتوف بالشرق العربى والإسلامى على الاهتمام بروحانياته بل يمتد كذلك إلى حضارته القديمة وواقعه المعاصر، حتى أعطى فى إنتاجه شعرًا ونثرًا صورتين متتاليتين عن الشرق العربى القديم كمركز للإشعاع الحضارى، والشرق العربى الحديث الذى أصابه التخلف والتأخر وبات مطمعًا للمستعمرين الغربيين.

وأما تولستوى فقد استحوذت معانى القرآن الكريم والحديث الشريف على جانب كبير من اهتمامه. فيتصدر كتاباته عن الإسلام كتاب «أحاديث الرسول» انتقاها تولستوى بنفسه، وأشرف على ترجمتها إلى الروسية وذلك حين تحامل المبشرون الروس على الإسلام وتهجموا على نبيه الكريم. فهزت الغيرة على الحق هذا الكاتب العظيم، ليقدم الإسلام وتعاليمه فى هذا الكتاب الذى ترجمه إلى العربية قبعين، وفيه تلمح تولستوى يهتم بتأكيد الإسلام على قيمة العمل وسماحة هذا الدين تجاه الديانات الأخرى، كما يشير إلى عقيدة التوحيد، وأسس المعاملات والأحكام الإسلامية، بل كثيرًا ما تضمنت كتابات تولستوى معانى دعا إليها الإسلام كالمساواة والتكافل الاجتماعى والسماحة، وفى إطار تأثره على هذا النحو يبدو تأثره بالتصوف الإسلامى. هذا إلى جانب اهتمامه بالكتب العربية ومنها حكايات ألف ليلة. إلى درجة أنه حين فكر فى الكتابة للأطفال، أعاد كتابة بعض قصص ألف ليلة مؤكدًا بأنها عمل إنسانى عظيم يشوق الصغير والكبير فى آن واحد.

ويبقى الشاعر بونين الحائز على جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٣٣؛ حيث تأثر بالأدب العربى. تأثرًا يمتزج بالمعايشة والتجربة الذاتية؛ حيث طاف بالعديد من البلاد العربية وفى مقدمتها مصر، وخبر حياة الناس فيها.. واستلهم من الإسلام الكثير من قصائده وأعماله الأدبية، التى تدور حول النبى ﷺ وشعائر الحج والصلاة، والمدن العربية التى اختصها القرآن بالتكريم وفى مقدمتها مكة المكرمة والمدينة المنورة ومصر. ولعل قصيدة له بعنوان «علامات على الطريق» مستوحاة من الآية الكريمة «وعلامات وبالنجم هم يهتدون» أو قصيدة الكوثر المستوحاة من الآية الكريمة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾إلى جانب تأثر كتبه النثرية بكتب الحضارة العربية الإسلامية..

وغير ذلك من الاهتمام الذى أولته الثقافة الروسية بالثقافتين العربية والإسلامية، والذى يعجب له المرء بعد الاطلاع عليه فى مظانه الأولى، ثم الإشارة إليه فى هذه الصفحات متسائلاً: كيف لا نتعهده ونعمقه لتكون بيننا وبين الروس علاقات تتجاوز المتغيرات السياسية، إلى المعانى والحقائق الثقافية الثابتة بين روسيا وبيننا؟ لماذا لا نهتم بذلك بدلاً من الهرولة إلى الغرب - أوروبا وأمريكا - وسياساته العنصرية الاستعمارية المتقلبة خاصة فيما يتعلق بالصراع العربى الإسرائيلى وما يتم من تأييد كامل على حساب العرب؟ أقول لماذا لا نتأمل أساس هذه العلاقات الثقافية بيننا وبين الروس فى وقت لم تكن أمريكا موجودة، وأوروبا تعيش فى ظلام العصور الوسطى؟ لماذا لا نجعل الثقافة تصلح ما تفسده السياسة بيننا وبين الروس؟

محمد عياد الطنطاوى

فى عصر الوالى محمد على.. عصر تدفق البعثات إلى أوروبا بشكل لافت.. سافر مئات من أبناء الشعب المصرى النابه إلى أوروبا لإتمام دراساتهم فى معاهدها العلمية حتى ينقلوا إلى مصر معارف أوروبا تجارب علمائها ومهندسيها وكتابات أدبائها وفنانيها، خبرة رجالات الحرب والصنايع حتى تضارع مصر أوروبا فى مضمار التقدم العلمى والاجتماعى، وليكون من بين هؤلاء المبعوثين رائد النهضة المصرية الحديثة الطهطاوى وغيره ممن قام على أكتافهم بناء مصر الحديثة وفى هذه الفترة بالذات (١٨١٣ - ١٨٤٧) سافر الشيخ محمد عياد الطنطاوى أحد أساتذة الأزهر الشريف إلى بطرسبورج؛ تحقيقًا لرغبة القيصر الروسى وقتئذ فى وفادة أستاذ عربى متمكن يشغل أستاذ اللغة العربية بجامعة بطرسبورج وهكذا سافر ابن طنطا الطنطاوى، إلى روسيا لا ليتعلم ويستفيد كصديقه ابن طهطا الطهطاوى، وإنما ليعلم ويفيد، لا ليكون مغمورًا بين المئات من طلاب العلم. وإنما ليكون مشهورًا كأستاذ على يديه يتخرج المئات منهم المستشرقون الروس، لا ليقتطع عددًا من سنوات عمره بعدها يعود إلى بلده، وإنما لينفق بقية سنوات عمره فى

روسيا ويدفن فيها. لا ليمر فى الحياة مرورًا عابرًا. وإنما ليبقى البقاء الأبدى كرمز للإنسان المسلم الحقيقى الذى يعطى ولا يضن، يبذل ولا يمن، يصنع بمفرده ما يعجز عن صنعه المئات فى نشر قيم الحضارة الإسلامية، ومبادئ الدين الإسلامى الحنيف، وليثبت بحق أن العلم لا وطن له. وأن شعوب العالم على اختلافها أمام المعرفة أسرة واحدة، وأن الثقافة الحقيقية مطلب إنسانى فى كل مكان وزمان.

ولعل الشيخ الطنطاوى ـ وهو أحد أصحاب العمائم ـ من قلة بين العلماء اشتركت أبحاث أمتين فى التأريخ لحياته. طبيعة فرضتها على البحث ظروف حياته.. تلك التى بدأت فى مصر حيث ولد ونشأ وتعلم وتخرج من الأزهر الشريف ومارس مهنة التدريس فيه بعض سنوات خلالها جدد فى تناول مناهجه. ثم كانت رحلته إلى روسيا، ـ ليقضى فى عاصمتها بطرسبورج وقتئذ ما يقرب من ربع القرن. خلاله أتقن الروسية واستطاع أن يصل فى مهنة التدريس إلى درجة الأستاذية لكرسى اللغة العربية بجامعة بطرسبورج؛ حيث تلقى العلم على يديه مئات من الأجانب ليسوا من الروس وحدهم وإنما من أبناء الشمال الأوروبى أيضًا، ويبقى على هذا الحال أستاذًا ومرجعًا للحضارة الإسلامية حتى يدركه الموت ويدفن هناك ويبقى قبره فى قرية فولكوفا شاهدًا ودليلاً على أن الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة مطلب حيوى تشترك فى الطموح إليه أمم الشرق والغرب، والسؤال الآن ما هى قصة انتقال الطنطاوى من التدريس بأروقة الأزهر الشريف إلى كرسى الأستاذية بجامعة بطرسبورج.

وعلى ضوء ما سبق أن ذكرنا من مصادر، خصوصًا ما كتبه كراتشكوفسكى عن هذا الشيخ بمجلة المجمع العلمى عام ١٩٢٤ أو بكتابة

«حياة الشيخ الطنطاوى» مضافًا إلى ذلك ما كتبه أيضًا كل من لويس شيخو بكتابه «الآداب العربية فى القرن الـ ١٩».. وكليمنت هيوارد بكتابه «تاريخ الأدب العربى». وأمين باشا فكرى بكتابه، «إرشاد الألبا إلى محاسن أوروبا»، وتشارلز أدمز بكتابه «الإسلام والتجديد»... وغيرها يمكن الإجابة كما يمكن توثيق بعض ما نعرفه عن الشيخ الطنطاوى فى مصر وانتقاله منها إلى روسيا ووفاته بها.

ففى مصر وبالتحديد فى قرية «محلة مرحوم» القريبة من مدينة طنطا ولد الشيخ محمد عياد الطنطاوى عام ١٨١٠ وبدأ تعليمه بكتاب طنطا فى السادسة من عمره.. حيث بدأ حفظ القرآن الكريم.. وكانت طنطا وقتئذ واحدة من مدن تحفيظ القرآن الكريم وكانت تدعى لنفسها شرف تحفيظه بين غيرها من المدن المصرية، حتى شاع المثل القائل: «ما قرآن إلا أحمدى ولا علم إلا أزهرى». إشارة إلى أنه إذا كان العلم الحقيقى بالأزهر فإن تحفيظ القرآن الكريم وتجويده بطنطا مدينة السيد أحمد البدوى. وفى الثالثة عشرة يلتحق الطنطاوى بالأزهر الشريف. وهو المركز العلمى والثقافى الأول فى العالم العربى، فمنه تخرج الكثيرون ممن حملوا رسالة التنوير، كالطهطاوى صديق الطنطاوى والشيخ حسن العطار أستاذ الطهطاوى والطنطاوى الذى جمع إلى علمه بالدين والتفقه فيه إلى درجة أنه أصبح شيخًا للأزهر. استعداده لتذوق الأدب واستيعاب العلوم غير الأزهرية فاتسم أسلوبه فى التدريس بصبغة تجديدية تأثر بها من بعده تلاميذه وفى مقدمتهم الطهطاوى والطنطاوى.

ورغم الظروف القاسية التى مر بها الطنطاوى نال إجازة التدريس بالأزهر فى علم الحديث، ليبدأ هذه المهنة فى العشرين من عمره موجهًا

بعض اهتمامه إلى علوم اللغة وآدابها حتى اعتبر من أوائل علماء الأزهر الذين اتجهوا فى التدريس وجهة أدبية ولعله فى ذلك حذا حذو أستاذه الشيخ حسن العطار، ورغم قلة ما تركه الشيخ الطنطاوى من آثار أدبية وباستثناء قصائده ودراساته الأدبية المخطوطة والمتناثرة فى المكتبات والجامعات العالمية - فإن منزلته الأدبية المخطوطة والمتناثرة فى المكتبات والجامعات العالمية - جعلته واحدًا من بين أعلام النهضة الأدبية فى القرن ١٩ ترجع إلى هذه الروح التجديدية التى مهد بها فى الأزهر لتدريس الأدب والشعر واتسعت فيما بعد على يد الشيخ حسين المرصفى.

لكن عائد التدريس بالأزهر لم يكفل للشيخ الطنطاوى المعيشة المريحة لذلك نراه كغيره يبحث عن عمل إضافى يزيد دخله. وكانت وظيفة تحرير وتصحيح الكتب المترجمة فى عصر محمد علىّ هى العمل المناسب لخريج الأزهر. وكان صاحبها له صفة حكومية ممتازة حيث كان يلقب بموظف عند محمد علىّ باشا «إلا أن الجمع بين هذه الوظيفة والتدريس بالأزهر كان ممنوعًا ومن يريدها يستقيل من الأزهر. وهنا يذكر الشيخ الطنطاوى «إنى آثرت تعليم الفرنج على خدمة الدولة مع أنها تمنعنى من التدريس بالأزهر»، ولذلك نراه يدرس العربية للأجانب بالمدرسة الإنجليزية بالقاهرة، وتتسع حلقة تلاميذه من الأجانب اتساعًا ربما عمل على تغيير مجرى حياته خصوصًا وإن مشروعات محمد علىّ جذبت الكثيرين من هؤلاء الأجانب. وكان الطنطاوى مشهورًا بوصفه مدرسًا متفوقا للغة العربية، ومن هنا أصبح تعارفه على من يريد تعلم هذه اللغة أمرًا ميسورًا. وعاملاً حاسمًا وجه نظره للسفر إلى بلاد الشمال الروسى. وهكذا لم يكن رحيله إلى روسيا إلاَّ نتيجة لتعرفه على

الأحاديث من ناحية، وشعوره بأهمية التعرف إلى العالم وثقافاته من ناحية أخرى ولهذا أيضًا توثقت علاقته بأجانب تتلمذوا على يديه منهم الفرنسيون والإنجليز والألمان والروس. ومن هؤلاء الروس تلميذاه «موخين» و «فرين» اللذان كانا يعملان فى السلك السياسى بالقاهرة وأوصيا حكومتهما بالاستفادة من علم الشيخ الطنطاوى الذى يذكرهما: «إن طلبهما كان أول دافع لسفرى إلى روسيا».

وإذا كانت هذه هى الخيوط الداخلية التى ربطت الشيخ الطنطاوى بروسيا قبل رحيله، فإن إجراءات هذا الرحيل تمت حيث بدأت بدعوة رسمية للشيخ الطنطاوى من القيصر الروسى عام ١٨٤٠؛ ليقوم بمهمة تعليم اللغة العربية وآدابها فى روسيا أعقبها موافقة من الوالى محمد علىّ الذى دعاه لمقابلته وحثه على دراسة اللغة الروسية وإتقانها ووعده بعطفه وعنايته إذا أجاد فى رحلته.

وتبدأ الرحلة من القاهرة إلى بطرسبورج التى يصل إليها بعد ثلاثة أشهر ونصف الشهر يصاحبه فيها تلميذه «موخين» الذى يتولى تعليمه الروسية فى هذه الفترة التى طالت فى الحجر الصحى أو فى زيارات للمدن الآسيوية التى فى الطريق.

ويبدأ الشيخ الطنطاوى التدريس بجامعة بطرسبورج ولا يقطع علاقته بوطنه مصر فيسجل ذلك فى سيرة سفره إليها عام ١٨٤٤. وبعد مرور سبع سنوات من وجوده بروسيا يعين أستاذًا لكرسى اللغة العربية بجامعة بطرسبورج، ولا يعوق نشاطه العلمى الذى كان موضع تقدير جامعة بطرسبرج سوى هذه العلل والأمراض التى بدأت تدب فى أوصاله مبكرًا، فنلاحظ أنه فى عام ١٨٥٦ يطلب إجازة للعلاج من شلل أصاب

رجليه ومع مضى السنوات القليلة الباقية من حياته تستفحل العلة التى تقعده تمامًا عن العمل، ومن الغريب أن الجامعة ترفض أى بديل لهذا الأستاذ العظيم حتى وفاته ١٨٦١.

ولم يكن الشيخ الطنطاوى وحيدًا فى غربته، وإنما كانت تصحبه زوجته المصرية التى توفيت قبله وتركت له ولدهما الوحيد أحمد الذى إليه آل معاش والده الذى قررته بسخاء جامعة بطرسبورج، وقد عاش هذا الابن بعد فقدان والديه فى روسيا وتزوج منها، وأنجب بنتًا اعتبرتها الحكومة الروسية من الأشراف فى المجتمع، تقديرًا لعلم وفضل جدها الشيخ الطنطاوى.

هذه إشارة سريعة إلى حياة الشيخ الطنطاوى فى مصر وروسيا، لكن ماذا عن أعماله الفكرية خاصة مخطوطاته التى لم تنشر(؟)

هذه المخطوطات بعضها محفوظ بالمكتبات العامة المنتشرة فى البلاد الأجنبية، والبعض الآخر موجود بالمراكز العلمية التابعة للجامعات العالمية، وقد كشف عنها.. قراءة أو إشارة.. أغناطيوس كراتشكوفسكى فى كتابه «حياة الشيخ الطنطاوى»، وفيه يلاحظ القارئ أن أغلب هذه المخطوطات كانت عن المرحلة البطرسبورجية إبان وجوده فى روسيا، وأما المرحلة القاهرية وهى فترة الأعوام العشرة التى قضاها بمصر.. فالمعلومات عنها ضعيفة وشاحبة.. وكل ما يصلنا عنها هو ما كان فى الأصل محفوظًا فى صدور الرجال من أصدقائه وزملائه وتلاميذه بالأزهر الشريف. ولذلك يمكن القول دون حرج - أن المعول عليه فى دراسة هذه المخطوطات هو ما أتى به هذا المستشرق الروسى. طبيعة تفرضها على البحث ظروف حياته الفكرية التى قضى الجانب الأكبر والناضج منها فى بطرسبورج عاصمة روسيا وقتئذ.

ولأن كتاب كراتشكوفسكى عن حياة الشيخ الطنطاوى مصدر أساسى علمى موثوق به ـ على الأقل فى دراسة هذه المخطوطات التى اطلع عليه مؤلفه ـ لذلك وجب التعرف على هذا المستشرق الروسى كراتشكوفسكى (١٨٨٣ - ١٩٥١) وتحديد موقفه من الثقافة العربية عامة. وتقييم علاقته بفكر صاحب هذه المخطوطات الشيخ الطنطاوى خاصة.

فى البدء يمكن القول بأن سبب حب كراتشكوفسكى للثقافة العربية وانكبابه عليها بصورة نتج عنها عشرات الكتب التى كان فى مقدمتها نقله القرآن الكريم إلى اللغة الروسية (قول له تفسيرات محددة) وإن وجدنا له ـ تبريرات كثيرة ـ ومن هذه التبريرات التحاقه بجامعة بطرسبورج. وكانت آثار الشيخ الطنطاوى لا تزال سارية فى تلاميذه الذين تركهم من بعد فى التدريس. ولعل شغف هذا المستشرق بالثقافة العربية هو الذى جعل جامعته توفده فى بعثات مختلفة إلى حواضر العالم العربى. ليتزود بالمعرفة ويتقن لغة اللسان العربى، ويتردد على الكثير من المكتبات العامة فى مصر ويستمع إلى محاضرات علماء الأزهر الشريف وأساتذة الجامعة المصرية القديمة.. ويجمع من كل ذلك ذخيرة علمية عظيمة يعود بها إلى بلاده روسيا ليحتل كرسى اللغة العربية بالجامعة بعيدًا عن السياسة.

ويتركز نشاطه العلمى ـ بعد ذلك فى ثلاث دوائر الأولى منها دراسة تاريخ الأدب العربى ونقده منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث، والثانية دراسة الأدب العربى لدى الأدباء غير المسلمين، والثالثة دراسة الأدب منذ القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين.. ومن هنا نجد أن اهتمام كراتشكوفسكى بالشيخ الطنطاوى لا ينبع من فراغ... فمن دراسته لأعلام النهضة الفكرية فى العالم العربى فى القرن التاسع

عشر.. يطل من بعيد الشيخ الطنطاوى. وكان يمكن أن يكون على قدم المساواة مع هؤلاء الأعلام الذين صنعوا يقظة الفكر العربى لولا عدد من الأسباب فى مقدمتها.

أولاً: انصرافه التام إلى مهنة التدريس وهذه المهنة كانت لها تقاليدها الثابتة التى تحول بينه وبين الحياة العامة.

ثانياً: اعتداله فى آرائه إبان وجوده بمصر.. فلم يحدث منه تطرف يؤخذ عليه ويوجه إليه الأنظار.

ثالثًا: عدم اشتراكه فى الحياة العامة من تأليف كتب أو العمل فى صحافة كالوقائع المصرية مثلاً أو الاشتراك فى ندوات وخلافه كأبناء جيله ومنهم ناصيف اليازجى (١٨٠٠ ـ ١٨٧١) العالم والمحقق والشاعر العربى، أو الطهطاوى (١٨٠١ ـ ١٨٧٣) أبرز رواد هذه النهضة الذى أشرف على تحرير الوقائع المصرية وتحرير مجلة روضة المدارس التى جمعت جلة من العلماء والأدباء أولهم أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ ـ ١٨٨٨) الذى اشترك فى تحرير الوقائع. وأصدر صحيفة الجوانب وأسس مطبعة صدر عنها عدد من كتب التراث وسافر إلى لندن وعاش بها فترة ثم إلى باريس والآستانة بعد ذلك. أو بطرس البستانى (١٨١٩ - ١٨٨٣) زعيم الحركة الأدبية فى الشام الذى أصدر عددًا من الصحف منها: الجنان والجنة والجنينة وصاحب دائرة المعارف المشهورة.

رابعًا: إن حياة الشيخ طنطاوى (١٨١٠ - ١٨٦١) كانت من القصر بحيث لم تتح له فرصة للانتشار يضاف إلى ذلك سفره فى سن الثلاثين إلى روسيا.

ورغم هذه الأسباب فقد جذبت سيرة حياة الشيخ الطنطاوى عددًا من العلماء والأدباء الأجانب ومنهم كراتشكوفسكى فقد تميزت بسمات منها مثلاً بدء حياته الفكرية فى سن العشرين، وسرعة تعلمه وتمثله والدليل تعلمه ست لغات هى الفرنسية، والروسية، والتركية والفارسية والألمانية والتترية وأتقن بعضها إلى درجة التأليف بها. يضاف إلى ذلك قدرته باعتباره معلمًا على توصيل المعلومة بسهولة ويسر وهو ما شد إليه الانتباه حتى أثناء وجوده بمصر؛ لذلك لم يكن غريبًا أن يهتم خليفته فى كرسى أستاذية العربية بالجامعة «كراتشكوفسكى فى التأريخ لحياته، بل والسفر إلى أمم العالم العربى للبحث عن آثاره ومخطوطاته، وأن يكشف مخطوطات مجهولة على أبناء وطنه مصر، ويحقق منها ما يستطيع ويعمل على نشره قدر طاقته، وأن يكون كتابه عن حياة الشيخ الطنطاوى هو المرجع الأساسى فى البحث عن حياة الشيخ ومخطوطاته التى يؤمن بقيمتها العلمية، فيرى أنها تلعب دورًا جوهريًا للاطلاع على تاريخ حياته؛ حيث يوجد للشيخ الطنطاوى نحو ١٥٠ مخطوطة فى جامعة ليننجراد، وله أيضًا مخطوطات بخط يده بمعهد الدراسات الشرقية بموسكو، كذلك مخطوطات لرسائله لعلماء وأدباء أوروبا موجودة بجامعة هلسبيكوفورس أو بمكتبه فازان وغيرها من الجامعات والمراكز العلمية والمكتبات المنتشرة فى العالم، والتى يذكرها فى كتابه. عند الحديث عن المخطوطات ذلك الحديث الذى يرى فيه أن الشيخ الطنطاوى قد أعار نقد النصوص انتباهًا جديًا لم يكن معروفًا لدى معاصريه وأنه سعى إلى تحليل اللغة الفصحى والعامية إلى جانب منهجه التعليمى فى تناول المادة بشكل يجعلها ميسرة.

وعلى هذا يقدم كراتشكوفسكى ثبتا علميًا فيه يسجل عددًا من المخطوطات المجهولة للشيخ الطنطاوى. متوقفًا بالشرح عند بعضها حينًا أو منبهًا إلى قيمة البعض الآخر حينًا.. كان ينبه إلى قيمة مخطوطة «تحفة الأذكيا بأخبار روسيا»، ككتاب يهتم بأدب الرحلات. فكما أثرت باريس فى الطهطاوى فكتب عنها كتابه «تخليص الإبريز فى تلخيص باريز..» أو كما أثرت لندن فى الشدياق فكتب كتابه «كشف المخبأ عن فنون أوروبا» كتب الطنطاوى هذا الكتاب وله نسختان مخطوطتان إحداهما فى إسطنبول والأخرى فى لينتجراد وفيه وصف ضافٍ ودقيق لرحلته من مصر إلى روسيا.. ووصف لحياة الروس وتاريخهم، وفيه وصف المعيشة فى بطرسبورج كمدينة فى نصف القرن التاسع عشر، ولهذا المخطوط أهمية بالنسبة للآداب العربية حيث يضيف للمكتبة العربية مؤلفًا فى أدب الرحلات إلى بقعة من العالم تمثل اليوم إحدى القوى الكبرى، ومهم بالنسبة للروس حيث يعكس لهم نظرة عربى تمكن من التغلغل فى حياتهم ومعيشتهم أكثر من عشرين سنة.

المؤلف

إغناطيوس كراتشكوفسكى

بعد الإشارة إلى موضوع هذا الكتاب وهو عن حياة محمد عياد الطنطاوى.. طبيعى أن يتبع ذلك الإشارة إلى مؤلف هذا الكتاب المستشرق الروسى إغناطيوس كراتشكوفسكى (١٨٨٣ - ١٩٥١)، ليس لأنه مؤلف هذا الكتاب الذى نقدمه فحسب، ولكن لاهتمامه المشكور بالثقافة العربية والإسلامية، اهتمامًا لافتًا سواء فى داخل وطنه أو فى خارجه كما سنرى أيضًا. وفى كلتا الحالتين نراه يحمل مشعل الحضارة العربية الإسلامية قديمها وحديثها مؤمنا بها أشد الإيمان. وحين نتناول شخصية هذا المستشرق الذى قام بتأليف هذا الكتاب الذى بين أيدينا الآن، فإننا نرجع إلى دراسة ضافية عنه كان قد كتبها الباحث الروسى الدكتور بوريس خودير الأستاذ بجامعة موسكو، حيث تطالعنا صفحاتها بالحديث عن ملامح من شخصية هذا المؤلف كراتشكوفسكى بادئة بنشأته التى كانت فى مدينة «فيلنا» عاصمة ليتوانا القديمة، وكان أبوه مديرًا لمعهد المعلمين فيها وقضى على أرضها شبابه، باستثناء ثلاث سنوات قضاها فى طشقند حيث كان عمل والده، عاد بعدها إلى «فيلنا» وفى ذلك يقول كراتشكوفسكى: «لقد كنت فى صغرى ضعيف البنية

عرضة للأمراض، أقضى وقتى فى مكتبة جمعها جدى، وزاد عليها والدى، وعكفت على القراءة لكونى أصغر أولاد أبى وأمى، ولذلك نشأت بعيدًا عن الأهل والأصدقاء، وربما صار ذلك سببًا لحبى الشديد للوحدة وسوء الظن بالعالم والسويداء التى تعذبنى أحيانًا حتى الآن».

وتعلم فى مدارس مدينة فيلنا حتى التخرج، وقرأ فى مكتبتها مؤلفات المستشرقين خاصة مؤلفات وأعمال المستشرق الفرنسى دى ساسى عن الحضارة العربية الإسلامية وربما يكون ذلك مما فتح عينيه على هذه الحضارة. وأما سبب اهتمامه باللغة العربية فربما يكون له تفسير آخر بعد أن التحق فى عام ١٩٠١ بقسم اللغات الشرقية فى جامعة بطرسبورج حين اكتشف أن هذا العلم يستهويه، وأن الشرق بثقافته ولغته يسحره، وهنا انصرف إلى لغات الشرق خاصة الفارسية والعبرية والحبشية، وتاريخ الشرق الإسلامى والعربية، وتردد على أساتذة عرب منهم فضل الله صروف، ورزق الله حسون، وانطون خشاب، إلى أن أوفدته وزارة المعارف الروسية وجامعة بطرسبورج إلى الشرق لتعلم العربية والعامية والتعرف على علمائه وكان ذلك فى الفترة بين ١٩٠٨ - ١٩١٠، فطاف بمصر وسوريا ولبنان وفلسطين مترددًا على خزائن كتبها، زائرًا لمواطن العلم فيها مستفيدًا من مكتباتها كالمكتبة الخديوية بالقاهرة، والشرقية ببيروت، والظاهرية بدمشق، والمارونية بحلب، والخالدية بالقدس، مع التعرف على كبار العلماء فى هذه الأقطار العربية، والاستماع إليهم مثل علماء الأزهر الشريف، وأساتذة جامعة القديس يوسف ببيروت، وأساتذة الجامعة المصرية القديمة ومنهم الأستاذ نالينو، وقد جمع من هذه الخزائن والمعارف معلومات وافرة ونفيسة عاد بها إلى روسيا. فيذكر فى ذلك بالخير والشوق وقوفه

بخزائن الكتب والوراقين والنسّاخين قائلا: «إن كتابته عنها بعث وحياة ثم موت كما يقع الأصدقاء، حتى تبعث من جديد على أيدى علماء خلقوا لها»..

ولما رجع إلى روسيا عُيِّن مديرًا لمكتبة قسم اللغات بجامعة بطرسبورج، وفى خريف عام ١٩١٠ أصبح معيدًا فى الجامعة، ثم رحل إلى ليبزج وليدن لدراسة بعض المخطوطات فى مكتباتهما عام ١٩١٤، وفى عام ١٩١٧ اختير أستاذًا للعربية فى هذه الجامعة فأخذ يحاضر فى اللغة والحضارة والجغرافيا العربية، وعهدت إليه الحكومة السوفيتية بعد ذلك الكلية الشرقية التى أنشأتها فى موسكو، ثم أشرف على القسم الشرقى فى جامعة ليننجراد وقد انتخب عضوًا بمجمع العلوم الروسى خلفًا لأستاذه روزين، كما اختير خلفًا لأستاذه محمد عياد الطنطاوى - بعد وفاته - أستاذًا للغة والثقافة العربية بجامعة بطرسبورج، وقد انتخب عضوًا فى المجمع العربى بدمشق وعضوًا فى المجمع العلمى بإيران.

وبعد وفاته فى عام ١٩٥١ أقيمت له حفلات أطرئ فى أثنائها على أنه مؤرخ التاريخ والأدب والجغرافيا العربية، وكتب عنه أعلام المستشرقين فى أغراض مختلفة وبلغات متنوعة وأجمعوا على الإعجاب به والثناء عليه. كما منحته الحكومة السوفييتية وسام لينين اعترافًا بفضله على الثقافة الروسية والعالمية فى حفظ المكتبة من محاصرى لينتجراد أثناء الحرب العالمية الثانية التى كان يعمل فيها ويشرف عليها.

ولأغناطيوس كراتشكوفسكى آثار متعددة وفى الوقت نفسه قيمة، قد تربو على الأربعمائة وخمسين أثرًا ما بين مؤلف ومترجم، مفسر ومنقود، رسائل باللغات الروسية والفرنسية والألمانية والعربية ومنها ما هو منشور

فى كبرى المجلات، وقد تم طبع فهرس لهذه الآثار التى من أشهرها ما يهمنا كعرب دراسة فى إدارة الخليفة العباسى المهدى، وشاعرية كل من أبى العتاهية، والمتنبى والمعرى، ورسالة أبى دهبل الجمحى، وترجمة لمختارات الكتَّاب المحدثين كقاسم أمين وأمين الريحانى واليازجى وغيرهم.

وكتب فى تاريخ الاستشراق الروسى وذكر بكل الخير أستاذه الشيخ محمد عياد الطنطاوى، وكتب عن إسبانيا فى الإسلام، وجنوبى جزيرة العرب، والخلفاء العباسيين، والحماسة للبحترى حيث كان أول مَنْ اكتشفها فى أوروبا، وكذلك مخطوطة ابن ماجد، ونشر كتاب الأخبار الطوال للدينورى، والخليل واللغة، والتعاويذ عند عرب الجنوب، وفهرس المخطوطات العربية التى أهداها البطريرك غريغوريوس الرابع إلى القيصر نقولا الثانى، كما صنف فهرس مخطوطات النصارى العربية فى مكتبات لينتجراد ونسخ تهافت الفلاسفة للغزالى فى المتحف الآسيوى، ومخطوطة وصف روسيا التى كتبها بالعربية الشيخ محمد عياد الطنطاوى على غرار كتاب وصف مصر الذى أعده رجال نابليون فى الحملة الفرنسية على مصر، والمخطوطات الشرقية والعربية فى قصر كاترين الثانية. ومن مباحثه العربية تتمة اليتيمة، ودرس فى الآداب العربية الحديثة، ومخطوطات عن المعرى والريحانى ولينتجراد وغيرها.

وألف هذا الكتاب الذى بين أيدينا الآن عن حياة أستاذه الشيخ محمد عياد الطنطاوى نقلته إلى العربية الكاتبة الفلسطينية كلثوم نصر عودة، وراجعه الأستاذان عبد الحميد حسن ومحمد عبد الغنى حسن، وهو الكتاب الذى نقوم بتقديمه فى هذه الصفحات، وترجم كليلة ودمنة لابن المقفع، والأيام لطه حسين، وكتب لابن المعتز مقدمة لديوانه، وطبقات ابن

المعتز، ونشر وحقق كتابه البديع. ومن مؤلفاته: نشأة وتطور الأدب العربى الحديث، والأدب العربى بالألمانية، وتاريخ الدراسات العربية ودراسات عن مقدمة ابن خلدون، وكتاب الريح لابن خالوية. وذكريات وخواطر عن عالم الاستشراق كتبًا ورجالاً، وهو وصف لرحلته إلى مصر وسوريا ولبنان وكان قد أصدره قبل الحرب، واتصاله بالأساتذة العرب ومنهم جورجى زيدان، ومحمد كرد على، ومحمود تيمور، وأمين الريحانى وميخائيل نعيمة واستفادته منهم فى كتابة مقالات عنهم.

ومن خير ترجماته نقله معانى القرآن الكريم إلى الروسية، والجزء الثانى من الأيام لطه حسين، ومنتخباته عن الثقافة العربية التى قام مجمع العلوم الروسى بإصداره فى ستة مجلدات، وقد قام نشاطه فى هذه المجلدات على: تاريخ الشعر العربى ونقده منذ أقدم العصور إلى اليوم، والأدب العربى لدى الأدباء النصارى، والأدب العربى منذ بدء النهضة الحديثة فى القرن التاسع عشر.

ومن هذه المنتخبات لكراتشكوفسكى بحث للمعتزلة عن الإبداع الشعرى، ومقدمة حكمة «حيكار» وحكايات «لقمان»، وترجمة «الشنفرى» ونشأة الأدب العربى الحديث وتطوره، وذكريات أسامة بن منقذ، ومقامة للشيخ ناصيف اليازجى، وأقوال ابن المعتز المأثورة، ونشوء وصياغة رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى، وبلاغة قدامة بن جعفر، والأدب العربى فى الترجمات الروسية وترجمة لألف ليلة وليلة، ومخطوطة لطائف الذخيرة لابن مماتى، وتاريخ الأدب العربى ومهامه فى الاتحاد السوفييتى وعلم اللغات السامية فى جامعات الاتحاد السوفييتى وترجمة بعض كتابات مكسيم جوركى إلى العربية، والشعر العربى بإسبانيا، وتاريخ متقدم لقصة مجنون ليلى وقصص الأديب الروسى وتشيخوف فى الأدب

الروسى، وجغرافية الجزيرة العربية فى تصورات الأقدمين، والنحو، والصرف، والأدب العربى فى إبداع جوركى، والأدب العربى فى القرن العشرين، والتيارات المعاصرة للأدب العربى فى مصر وقيمة البيرونى فى تاريخ الجغرافيا الشرقية، وتاريخ العلاقات التجارية للخلافة الإسلامية، ونموذج من أساليب الدواوين العربية فى القرن التاسع عشر فى شمال القوقاز. وجغرافية البحار فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر عند العرب، ثم دراسات عن ابن سلام الجمحى، وسلامة بن جندل، وذى الرمة، والشنفرى، وعمر بن القميئة، وأبى نواس، ومسلم بن الوليد، والأخطل، وعمر بن ربيعة، وشاعر الأندلس ابن زيدون، والمتنبى، وسليمان البستانى، وطه حسين وآرائه فى الشعر الجاهلى ونقاده، والشاعرين يوسف غصوب اللبنانى، والجواهرى العراقى وغير ذلك من منتخبات ومختارات لهذا المستشرق الروسى المفتون بالثقافة العربية الإسلامية حيث كتب عنها وترجم لها، وحقق منها الكثير الذى ربما يكون أضعاف ما كتبه عن الثقافات غير العربية وأصبحت كتاباته ودراساته وأبحاثه ومنتخباته عن الثقافة العربية من المراجع الموثوق بها لدى أبناء هذه الثقافة من العرب، هذا بالطبع إلى جانب استفادة غير العرب من آثار هذا المستشرق الروسى الكبير، وكان من بين كتاباته المتعددة التى زادت عن الأربعمائة وخمسين أثرًا كتابه عن حياة أستاذه الشيخ محمد عياد الطنطاوى الذى بين أيدينا الآن، والذى يعتبر المصدر الوحيد عن هذا الأزهرى المصرى فى الثقافة العربية والإسلامية.

المترجمة

كلثوم نصر عودة فاسيليفا

كلثوم نصر عودة كاتبة فلسطينية أحيانًا تنسب إلى أبيها «نصر عودة»، وأحيانًا أخرى تنسب لزوجها الطبيب الروسى إيفان فاسيليفا. ولدت بمدينة الناصرة عام ١٨٩٢، وكان ترتيبها الخامسة بين عدد أخواتها البنات، الأمر الذى جعل استقبالها للحياة لم يكن استقبالاً حارًا لأن والدها كان يتمنى أن يرزق بولد يكون سندًا لأخواته البنات بعد مماته، ويخلد اسمه بدلاً منها، يضاف إلى ذلك أنها لم تكن جميلة بل كانت إلى الدمامة أقرب، ولعلها أشارت إلى شىء من ذلك قائلة: «لقد استقبل. ظهورى فى هذا العالم بالدموع، والكل يعلم كيف تستقبل ولادة البنت عندنا نحن العرب، وخصوصًا إذا كانت هذه التعسة خامسة أخواتها من الإناث، وفى عائلة لم يرزقها الله صبيًا، وهذه الكراهية رافقتنى منذ صغرى فلم أذكر أن والدى أو والدتى عطفا علىَّ يومًا، وزاد فى كراهيتهما لى زعمهما أننى قبيحة الصورة، فنشأت صامته قليلة الكلام كتومة أتجنب الناس ولا همَّ لى سوى القراءة والتعليم».

وأصبح هذا الحال بالنسبة لكلثوم كابوسًا مخيفًا ينبغى التخلص منه بكل ثمن، ووجدت طريق الخلاص باللجوء إلى العلم والثقافة وكان العلم

وقتئذ من أصعب الأمور على الإنسان بوجه عام، ويزداد صعوبة إذا كانت فتاة. إلاَّ أنها وجدت فرصة ينبغى أن تستغلها لعلها فى محاولة إقناع أمها لها بأن تذهب إلى المدرسة وتعلق كلثوم على ذلك قائلة: «العجيب فى الأمر أن البنات اللواتى يذهبن إلى المدرسة للتعلم كن إما أصحاب عاهات أو قبيحات.. أو باختصار ممن لم يتقدم أحد للزواج منهن».

والتحقت كلثوم بالمدارس الروسية فى الناصرة وتقول فى ذلك:

«لم أر بابًا للفرج إلاَّ بالعلم، ولم يكن هناك مهنة فى ذلك الوقت تتاح للمرأة سوى مهنة التعليم... وقد كانت العادة قبل الحرب العالمية الأولى أنَّ مَنْ يكون ترتيبه الأول فى المدارس الابتدائية الروسية، يتعلم فى القسم الداخلى بالمجان، وبعدها يحصل على راتب معلم، فعكفت على العمل حتى أبلغ مرادى وأتعلم بالمجان حتى أنهت كلثوم المرحلة الابتدائية لتنتقل إلى دار المعلمات فى قرية بالقرب من بيت لحم، وهناك تعلمت على يد الأديب الكبير خليل سكاكينى الذى كان له أثر كبير فى توجيهها حتى انتهت دراستها. وهى فى السادسة عشرة من عمرها، ثم عادت إلى الناصرة وأخذت تدرس فى مدارس الجمعية الروسية بها، وكان يزور مدارس هذه الجمعية مفتشون مبعوثون من روسيا، تصادف أن كان العلامة الروسى كراتشكوفسكى أحدهم حيث زار فلسطين فى الفترة من ١٩٠٨ إلى ١٩١٠، وفى أثناء ذلك تعرف على المعلمة كلثوم، ويذكر ذلك بكتابه «مع المخطوطات العربية» قائلاً: «وكنت قد قابلتها - يقصد كلثوم - فى الناصرة، وكانت آنذاك معلمة ناشئة إلى جانب عملها فى المجالات العربية أو قد تزوجت عام ١٩١٢ من الطبيب الروسى إيفان فاسيليفا» وأنجبت منه ثلاث فتيات هن فيرا، ولاريسا، ولوردا.. ولأن والديها كانا يرفضانها وبالتالى رفضا فكرة الزواج، بل

وفكرا فى قتلها وذلك بإسقاطها من فوق بناية مرتفعة، ولكنها نجت بأعجوبة وتزوجت.

وطبيعى أن تسافر إلى روسيا، وتعيش فيها مع زوجها وبناتها وتعمل هناك معلمة وفى ذلك تقول تلميذتها الدكتورة «نتاليا لوتسكايا» عن عمل أستاذتها كلثوم نصر عودة: «لم تكن كلثوم نصر عودة كمعلمة تأتى إلى عملها لتقدم واجبها العلمى فحسب، بل كانت أمًا لكل طالب وطالبة فى دور العلم... لقد علمتنا كلثوم نصر عودة الكثير والكثير، وغرست فى قلوبنا حب الشرق وعلى وجه الخصوص حب فلسطين وشعبها الذى يناضل من أجل حريته واستقلاله، وتعلمنا الكثير من هذه الأستاذة التى كنت ترى فى عينيها الشوق والحنين لفلسطين، وكانت كثيرًا ما تتذكر الأيام الصعبة التى مرت بها مع زوجها الطبيب الروسى للعيش فى روسيا عام ١٩١٤. لقد أصبحت كلثوم نصر عودة مثالاً لجميع مَنْ عرفها».

وهكذا عملت كلثوم نصر عودة فى روسيا حتى بعد وفاة زوجها الطبيب الروسى، فانتقلت إلى الكثير من الأعمال، فعملت فى القسم العربى بمعهد الفلسفة واللغة والتاريخ فى ليننجراد عام ١٩٣٢، وعند افتتاح معهد الاستشراق فى موسكو سنة ١٩٣٤ ثم انتقلت فيما بعد للعمل فى معهد العلاقات الدولية وفى المدرسة الدبلوماسية العليا.

وتسجل فى أوراقها التى درسها بعد ذلك البعض من تلاميذها وتلميذاتها أنها لم تبدأ مباشرة العمل فى روسيا فى هذه المعاهد، ولكنها كانت تعمل فى أعمال بسيطة حيث كانت تخرج مع القرويات فى أوكرانيا لتعليمهن فى إطار مشروع الثورة الروسية للقضاء على الأمية، وكانت

تفرح وتسر فرحًا وسرورًا بالغًا لفرح وسرور كل منهن عندما تستطيع أن تكتب اسمها. وكان من بين تلك النساء مَنْ جاوزن الأربعين، ولكنهن كن يتعلمن كما لو كن فتيات صغيرات والسبب فى ذلك إصرارهن على التعليم. وتقول: «بين تلك القرويات وجدت نفسى وليس هناك ما كان يكدِّر عيشى إلاَّ تذكرى أن هناك فى وطنى العربى العزيز من لا يقوم بمثل هذا العمل، ليس فى القرى وحدها وإنما فى المدن أيضًا.. صحيح إن كل مظلوم يحن إلى الذى مثله وعلى شاكلته، وقد وجدت فى أولئك القرويات مظلومات مثل نساء العرب وأنا إحداهن، فأخذت بأيديهن، وكنت أعمل بينهن بكل محبة وتفانٍ، ولم يكن لدى أوقات ضائعة فى الملل والضجر ولم أعرف وقتئذ معنى الاحتياج المادى والتفانى، حتى أثناء هذه المجاعة الفظيعة بعد الحرب الأهلية».

وتستمر فى هذه الأعمال غير متبرمة أو ضجرة، بل راضية وسعيدة حتى تنتقل إلى مدينة لينتجراد عائدة من أوكرانيا، وهناك تلتقى بأغناطيوس كراتشكوفسكى مؤلف كتاب حياة الطنطاوى. فيأخذ هذا المستشرق الروسى المحب للثقافة والحضارة العربية بيدها ويساعدها على الانتساب لجامعة لينتجراد لتبدأ كما رأينا مرحلة جديدة من النشاط العلمى والفكرى خاصة بعد أن عينت أستاذة بجامعة لينتجراد، وقد أهدت لها الحكومة الروسية وسام الفخر عام ١٩٦٢ اعترافًا بفضلها فى نشر الأدب العربى فى الاتحاد السوفييتى.

وإلى جانب عملها التعليمى والعلمى سواء فى محو أمية الروسيات فى أوكراوينا أو التدريس فى المعاهد والجامعات العليا فى موسكو ولينتجراد.. كان لها عمل فكرى بدا فيما تركته من آثار أدبية ونقدية

وترجمات نذكر منها المنتخبات الأولية عام ١٩٢٦، والمنتخبات العصرية لدروس الآداب العربية من عام ١٨٨٠ إلى عام ١٩٢٥ فى جزأين، وتصوير المرأة العربية فى القصة عام ١٩٣٠، وتعليم اللغة العربية فى المعهد الشرقى بلينينجراد، ومختارات فى المراسلات الدبلوماسية عام ١٩٤٩ وذكريات مع المستشرق كراتشكوفسكى عام ١٩٥٦، ونماذج من الكتابة العربية عام ١٩٥٥ وترجمة حياة محمد عياد الطنطاوى لكراتشكوفسكى إلى العربية. كما عاونت فى أعمال منها القاموس العربى، ومحادثات بالعربية والروسية، وتوفيق الحكيم الكاتب المصرى باللغة الإنجليزية.. وغيرها.

المراجعان عبد الحميد حسن
ومحمد عبد الغنى حسن

● **عبد الحميد حسن:**

أحد المراجعين اللذين قاما بمراجعة الترجمة العربية التى قامت بها الكاتبة الفلسطينية كلثوم نصر عودة لكتاب حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى وعلقا عليه، وقد كان عالمًا عظيمًا وأديبًا كبيرًا ولغويًا ثقة، وأستاذًا جامعيًا تتلمذ على يديه أجيال من المعلمين والأدباء والنقاد، على مدى ما يقرب من الستين عامًا فى كلية دار العلوم أو كلية التربية أو كلية آداب عين شمس.

ولد هذا العالم الجليل بالقاهرة سنة ١٨٨٩، وتعلم بمدارسها والأزهر الشريف، ثم التحق بدار العلوم عام ١٩٠٦، وتخرج منها عام ١٩١١، ثم أوفد فى بعثة لوزارة المعارف إلى كلية الجامعة بإكستر بإنجلترا، حيث درس التربية وعلم النفس والأدب الإنجليزى وحصل على دبلوم من وزارة المعارف البريطانية، وعاد إلى مصر عام ١٩١٤، واشتغل بالمدرسة التوفيقية الثانوية وغيرها من المدارس الثانوية، إلى أن نقل منها ليصبح مدرسًا بدار العلوم عام ١٩٢١، ومكث بها إلى عام ١٩٢٧، حيث عمل مفتشًا للغة العربية وفى الوقت نفسه أستاذًا بمدرسة المعلمين العليا،

ومعهد التربية، ثم عاد إلى كلية دار العلوم وبقى فيها حتى أحيل على المعاش وهو وكيل لها.

وفى عام ١٩٦١ اختير الأستاذ عبد الحميد حسن عضواً بمجمع اللغة العربية ضمن العشرة الذين عينوا بقرار جمهورى عند تغيير قانون المجمع، وزيادة أعضائه إلى أربعين عضواً، ويستمر فى عضويته بالمجمع حتى انتخابه أمينًا عامًا له فى عام ١٩٧٥ حتى وفاته فى ديسمبر عام ١٩٧٦.

وللأستاذ عبد الحميد حسن نشاط علمى وثقافى لافت، فقد كان عضواً فى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، وعضواً بلجنة الدراسات الأدبية واللغوية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية حتى وفاته. وقد نشرت له عدة مقالات ودراسات فى الأدب والتربية فى صحيفة المعلمين وفى صحيفة دار العلوم، كما صدرت له عدة كتب فى الأدب وطرائق التدريس، منها: الأصول الفنية للأدب، والقواعد النحوية مادتها وطريقتها، وصفحات من الأدب المصرى من العصر الفاطمى إلى عصر النهضة الحديثة، ونثر حفنى ناصف بالاشتراك مع الدكتور مهدى علام.

وقد كان الأستاذ عبد الحميد حسن عضواً فى أكثر من لجنة من لجان المجمع، فهو عضو لجنة التربية وعلم النفس، ولجنة الرياضة والهندسة والطبيعة، ولجنة المعجم الكبير وكان مقررها منذ اختياره لعضوية المجمع، وعضو فى لجنة الأصول، وقد بذل الكثير من جهده ووقته للسير فى هذه اللجان خطوات واسعة إلى الأمام، خاصة فى لجنة المعجم الكبير.

ولا يقتصر عمل الأستاذ عبد الحميد حسن على عضوية هذه اللجان بل كان له مجهود واضح فى تقديم البحوث الجادة ومنها بحوث: المرونة فى اللغة العربية منشؤها وأثرها فى التيسير والتجديد، والترخص والتوسع فى القواعد النحوية، والمركب المزجى، والمذهب الكوفى فى النحو واللغة وأثره فى التطور والتيسير، والخصائص الصوتية للحروف الهجائية، وأحرف المد الطويلة والقصيرة وأثرها فى صوغ الكلمات، وفى معناها وفى رنينها، ومسائل نحوية ولغوية تتطلب النظر، وجولة فى كتاب «درة الغواص».

كذلك له أبحاث فى استقبال الأعضاء الجدد، وتأبين الأعضاء الراحلين منها: استقبال الأستاذ عطية الصوالحى، واستقبال أحمد توفيق المدنى، واستقبال أربعة أعضاء جدد هم على النجدى ناصف، ومحمد شوقى أمين، وأحمد عز الدين عبد الله، وعثمان أمين، وله كلمات فى تأبين الراحلين منها كلمته فى تأبين الأستاذ عبد الفتاح الصعيدى.

وفى تأبينه بعد وفاته عام ١٩٧٦ كتبت عنه مقالات وأبحاث منها ما كتبه الدكتور أحمد الحوفى قائلاً: «كان الأستاذ عبد الحميد حسن عليمًا بما يدرس، محيطًا بكل ما يتصل بالمادة التى يدرسها من قريب أو من بعيد، وكان جيد التعبير عما بنفسه، قريب الأفكار، واضح الأسلوب، وكان هادئ الصوت، واسع الصدر، حلو المجلس، لا يعنف سائل، ولا يسخر من مناقش، ولا يهزأ بمعارض، ولا يتعالى على مستفيد».

وعن معرفته الشخصية له يكتب الدكتور أحمد الحوفى فيقول: «أما أنا فقد عرفت الأستاذ عبد الحميد حسن منذ عام ١٩٢٠ عندما جاء

إلى دار العلوم أستاذًا، وأنا بعد طالب دون التخرج بسنتين، وكان نشاطه يتدفق فى ضوء من عبقريته التى كانت تتلألأ على محياه، ويتحدث بها تلاميذه وزملاؤه، وتمنيت أن أجلس إلى محاضراته لأنعم بما كان ينعم به تلاميذه، ولكن نظام الجداول لم يمنحنى هذه السعادة، لكن تحدثت إليه بعد تخرجى، لأننى سافرت إلى الجامعة التى كان فيها قبل ذلك بعشر سنوات، وراسلته حتى عدت إلى الوطن، وتشرفت بزمالته فى هيئة التدريس، وقد تعلمت منه وأنا زميل له، أكثر مما كنت أتعلمه وأنا تلميذه. ودامت صداقتنا وزمالتنا فى جميع المجالات العلمية، فكان ملجأ الفتوى، ومرجع الرأى، حتى فرقً الله بيننا، لقد كان - رحمه الله - خير رفيق على الطريق...».

وعندما طلب منه المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية مراجعة ترجمة هذا الكتاب الذى قام بتأليفه المستشرق الروسى إغناطيوس كراتشكوفسكى عن حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى ونقلته إلى العربية الكاتبه الفلسطينية كلثوم نصر عودة رحب بذلك أكبر الترحيب.

● محمد عبد الغنى حسن

الأستاذ محمد عبد الغنى حسن من أدبائنا المتميزين، الذين تنوع إنتاجهم الفكرى فى مجالات مختلفة سواء فى الشعر أو فى النثر ليغطى ما يقرب من الأربعين كتابًا فى الدراسات الأدبية والنقدية، والسير والتراجم، والمترجمات عن اللغة الإنجليزية، وتحقيق التراث، والتاريخ، والدراسات الإسلامية، إلى جانب إبداعه الشعرى الذى يغطى عدة

دواوين وله أيضًا كتب للناشئة عن النساء الشهيرات، وقصص الرحالة والمكتشفين، وأيام العرب، ومشاهير العرب.

هذا الأديب الكبير ولد بمدينة المنصورة فى عام ١٩٠٧ لأبوين من محافظة بنى سويف، وبعد أن أتم تعليمه الابتدائى والثانوى بمدارس المنصورة التحق بتجهيزية دار العلوم، ثم بدار العلوم العليا، ليحصل على دبلومها العالى سنة ١٩٣٢ الذى يؤهله للسفر فى بعثة إلى إنجلترا لدراسة التربية وعلم النفس واللغة الإنجليزية بجامعة إكترا، وقد استطاع أن يجمع إلى جانب معرفته اللغوية باللغة الإنجليزية معرفة باللغة الفرنسية حين حصل على دراسة صيفية فيها بفرنسا، وعندما عاد إلى مصر عين مدرسًا بمدرسة المنصورة الثانوية سنة ١٩٣٦، فمدرسًا بمدرسة الخديو إسماعيل الثانوية بالقاهرة، ثم مدرسًا للترجمة بكلية فيكتوريا سنة ١٩٤٤، وفى عام ١٩٤٦ عين مديرًا للإذاعة المدرسية بوزارة المعارف العمومية، ثم عين بعد ذلك أستاذًا للأدب العربى والنقد بالمعهد العالى للتمثيل، ثم أستاذًا بكلية الشرطة، فمفتشًا عامًا بالتعليم الثانوى والأجنبى سنة ١٩٥٥ بوزارة التربية والتعليم، وإلى جانب عمله هذا عمل مديرًا للنشر والدعاية بدار المعارف، ثم استقال من العمل الحكومى ليتفرغ لإدارة مؤسسة المطبوعات الحديثة، ولكنه عاد للعمل الحكومى فعين مديرًا للنشر بالدار القومية فى سنة ١٩٦٣، وفى سنة ١٩٦٧ عين عضو مجلس الإدارة المنتدب بدار القلم ومديرًا للنشر بها. كما عمل فى تحرير كثير من المجلات والصحف، فعين رئيسًا لتحرير مجلة «الناشر المصرى» التى كان يصدرها اتحاد الناشرين.

وفى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب اختير الأستاذ محمد عبد الغنى حسن لعضوية لجنة الدراسات الأدبية، ولجنة الشعر سنة

١٩٦٤، كما اختير عضوًا بلجان فحص الإنتاج المقدم لجوائز الدولة التشجيعية للشعر وللتراجم ولأدب الأطفال.

وفى عام ١٩٦٨ حصل على وسام الجمهورية من الطبقة الثالثة، بعد أن حصل على نيشان النيل من الطبقة الخامسة، ثم حصل على جائزة الدولة التشجيعية عن فن السير والتراجم، وفى سنة ١٩٧٧ نال وسام الرواد الأوائل للمعلمين فى عيد العلم، واختير عضوًا مراسلاً لمجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٧٢، ثم اختير عضوًا عاملاً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة فى سنة ١٩٧٨ فى المكان الذى خلا بوفاة الأستاذ محمد رفعت أحمد، كما عين عضوًا فى المجلس القومى المتخصص للثقافة والإعلام.

والنشاط العلمى والأدبى - كما قلنا - للأستاذ محمد عبد الغنى حسن وافر ومتنوع تتضمنه مقالات وبحوث نشرت فى الروايات العربية طيلة ما يزيد على النصف قرن، وبين مؤلفات اتسعت لعدة مجالات فمثلاً نجد له فى مجال الدراسات الأدبية والنقدية كتبًا منها: الشعر العربى فى المهجر، معرض الأدب والتاريخ الإسلامى، والفلاح فى الأدب العربى، وجوانب مضيئة من الشعر العربى، وفى صحبة الشعر والشعراء، ومشاركات فى النقد الحديث، وكتاب فن الترجمة وهو دراسة للترجمة وفنونها، وتاريخ مجلة روضة المدارس بالاشتراك مع الدكتور عبد العزيز الدسوقى.

وفى مجال السير والترجمة له كتب منها: حياة مى، وأحمد فارس الشدياق، وابن الرومى، والشريف الرضى، وأبو مسلم الخراسانى، وتميم بن المعز الأمير الشاعر، وعبد الله فكرى، وحسن العطار، وجورجى زيدان.

وفى مجال الترجمة عن الإنجليزية له كتب منها: المرأة والدولة فى فجر الإسلام للباحثة تابيه أبوت، ورواية مون فليت فى مجموعة (أولادنا).

وفى مجال تحقيق التراث له كتب منها: تلخيص البيان فى مجازات القرآن للشريف الرضى، وحلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسى، ومراجعة حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى للمستشرق الروسى إغناطيوس كراتشكوفسكى.

وفى مجال التاريخ له كتب منها: علم التاريخ عند العرب، والمعاهدات والمهادنات فى تاريخ العرب، وغرائب فن الرحلات، وملامح من المجتمع العربى.

وفى مجال الدراسات الإسلامية له كتب منها: القرآن الكريم بين الحقيقة والمجاز والإعجاز، والإسلام بين الإنصاف والجحود.

وفى مجال الإبداع الشعرى له عدة دواوين منها: من وراء الأفق، ومن نبع الحياة، ومن وحى النبوة، وماض من العمر، وسائر على الدرب، ومن وحى الأكباد النازحة.

وإلى جانب ذلك فالأستاذ محمد عبد الغنى حسن له نشاط مجمعى ملحوظ فهو مؤلف الموسوعة العلمية الأدبية منذ اختير لعضوية المجمع سنة ١٩٧٨، وهو يساهم مساهمة فعالة فى النشاط المجمعى فى المجلس ومناقشاته، وفى المؤتمر وبحوثه ودراساته، وفى المجلة وموضوعاتها، وفى اللجان العديدة التى حمل أمانة عضويتها، وفى لجنة المعجم الكبير، ولجنة ألفاظ الحضارة، ولجنة الفنون، ولجنة الآداب، ولجنة التراث.

وله كلمات وقصائد فى المناسبات واستقبال الأعضاء بالمجمع اللغوى فى القاهرة منها: كلمته فى حفل اختياره عضوًا بالمجمع، وكلمته فى استقبال الدكتور أحمد السعيد سليمان لعضوية المجمع، ودراسة حول

«قبل يكون وقبل أن يكون»، وقصيدة «لغة تجمع القلوب على الحب»، وقصيدة عنوانها تحية للمؤتمر»، ولقاء الأحبة، وبحث عنوانه جولات مع الكتاب العربى، وبحث عنوانه «عندما ينفعل الشعراء فى الحادث الجلل» يدور حول مراثى الرسول ﷺ، وجولة مع تراثنا اللغوى وبعض مَنْ حفظوه، ومعالم وملامح من لغة الصحافة.

وقد اشتهر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن بأنه شاعر جريدة الأهرام، يخص هذه الجريدة بقصائد تتماشى مع المناسبات الوطنية.

كذلك كانت هناك كلمات يوم استقباله عضواً بمجمع اللغة العربية، ويوم وفاته منها هذه العبارة التى قالها الدكتور أحمد الحوفى يوم استقباله: «إن الزميل الجديد الذى أقدمه الآن يمزج ثقافته الفياضة وأدبه المتدفق بكثير من خلال الخير، كالتواضع والدعة والمودة والمسارعة إلى إيثار الحق، والشغف بالحقيقة أيًا كان مصدرها».

كما قال عنه الدكتور مهدى علام: إن صلتى بهذا الزميل الكريم ترجع إلى أكثر من نصف قرن عندما كان «شاعر الأهرام» من أنبغ أبنائه فى دار العلوم، ومن فضائله العديدة أنه كان خير رفيق على الطريق، وقد تزاملنا مدة غير قصيرة فى الإعداد لمادة المعجم الكبير، وفى غير ذلك من الأعمال».

* * *

وبعد .. فهذه الصفحات تضمنتها مقدمتنا لكتاب «حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى» هذا الكتاب الذي اشتملت مادته على جهد وعمل أربعة من رواد الثقافة أولهما مؤلفه المستشرق الروسى العلاّمة إغناطيوس كراتشكوفسكى عاشق الثقافة العربية والحضارة الإسلامية، والذى لم يقتصر دوره فى تناولهما والاهتمام بهما على القراءة ثم الكتابة، وإنما

تجاوز ذلك إلى الرؤية المباشرة حيث زار وجاب بعض الأقطار العربية والإسلامية، وعاش فى عدد منها سنين والتقى بالكثيرين من روادها ورموزها وخالطهم حتى يقف على مقومات وأسرار هذه الثقافة، وتلك الحضارة ليكتب العديد من المؤلفات والرسائل عن ثقافة العرب القديمة والحديثة ويتأمل حضارة المسلمين وصناعها ضمن ما كتب من مؤلفات ورسائل ودراسات وأبحاث وصل عددها إلى أكثر من أربعمائة وخمسين أثرًا... ثم هذه هى مترجمة الكتاب من الروسية إلى العربية الكاتبة الفلسطينية كلثوم نصر عودة التى أضافت إلى ثقافتها العربية، الثقافة الروسية واجتهدت لتمزج بين الثقافتين وتقربهما من بعض، فتفوقت فى ذلك إلى درجة أنها أصبحت من الرواد فى الأوساط العلمية والأدبية فى روسيا وضمن هيئة تدريس جامعة بطرسبورج العريقة لتعليم عشاق الثقافة العربية من الروس وغيرهم من الأجانب... وهذان مراجعا الترجمة العربية والتعليق عليها عضوا مجمع اللغة العربية الأستاذ عبد الحميد حسن، والشاعر محمد عبد الغنى حسن، وهما من كبار علماء اللغة والأدب اللذين جمعا إلى موهبة الإبداع الأدبى، إمكانية التفكير العلمى لتشهد بذلك مؤلفاتهما العديدة التى تعلن عن الريادة فيما يكتبان... وهذا هو الشيخ محمد عياد الطنطاوى وحياته التى أصبحت مادة لهذا الكتاب أحد بناة النهضة المصرية الحديثة؛ حيث برز فى وطنه ومسقط رأسه مصر بروزًا جعله أحد علماء وأساتذة الأزهر الشريف، وعندما أراد أن يضيف إلى ثقافته العربية الإسلامية جديدًا من اللغات والثقافات اختار اللغة والثقافة الروسية وبرع فيها لغة وثقافة، مؤكدًا حقيقة هى قدرة الإنسان المصرى على التفوق عندما يتاح له ذلك وليصبح بعد ذلك أستاذ كرسى الثقافة العربية بجامعة بطرسبورج، وهو

مكان ومكانة يخلفه فيهما كبار المثقفين والعلماء من الروس الذين تخرجوا على يديه... ومن هنا يمكن القول بأن كتابًا كهذا يجتمع على تأليفه وإصداره هذا الرهط من الرواد لا بد أن يكون من الكتب المهمة التى يعنى المركز القومى للترجمة بنشرها؛ لإثراء ثقافة القارئ العربى من عيون الأدب والفكر فى العالم.

سامح كُريِّم



الشيخ محمد عيد الطنطاوى

مقدمة

الحمد لله الذى كرم الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا وصابروا وصبروا، وكانوا دعاة خير وأمن وسلام.

وبعد، فقد شغف فريق من المتعطشين للمعرفة بالهجرة إلى البلاد الأخرى، فتركوا أوطانهم، رغبة فى الإفادة والاستفادة، وكان لهم من وراء ذلك فضل ذائع، وأثر شائع، عاد عليهم وعلى أوطانهم وعلى الثقافة الإنسانية بالخير الشامل والغايات النبيلة.

ومن الذين رحلوا للغرض العلمى النافع «الشيخ محمد عياد الطنطاوى» الذى غادر وطنه مصر وذهب إلى روسيا، فاشتغل فيها بتعليم اللغة العربية، وفى خلال ذلك اتصل بكثير من البارزين من العلماء والمستشرقين الذين قدروه قدره، وأخلصوا له الود، وتوثقت بينهم عُرى الصلات المتينة.

وقد رأى المستشرق الروسى الكبير «كراتشكوفسكى» - وفاء بما للشيخ الطنطاوى من عوارف ومآثر - أن يكتب تاريخ حياته مفصلاً فى كتاب

ضمنه ماله من جهود، وما أخرج من إنتاج ثقافى وأدبى، وأوضح مدى اطلاعه وإلمامه بالمراجع العربية.

وإزاء كل ذلك رأى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالجمهورية العربية المتحدة، أن يقوم بتكريم أدبى لهذا المجاهد فى ميدان العلم والتعليم، فاقترحت لجنة النشر فى المجلس، أن تقوم السيدة «كلثوم عودة» بترجمة هذا الكتاب من اللغة الروسية إلى اللغة العربية. وهى سيدة عربية فلسطينية، أتاحت لها الأقدار أن تتعلم الروسية فى فلسطين، ثم تزوجت بعد ذلك من روسى انتقلت معه إلى بلاد روسيا، وعاشت هناك سنين طويلة تدرس اللغة العربية وتتصل بالمستشرقين الروس ويبادلونها الرأى، وكان من هؤلاء «إغناطيوس كراتشكوفسكى» مؤلف هذا الكتاب. ولا تزال هذه السيدة فى الاتحاد السوفيتى تتابع جهودها فى خدمة اللغة العربية.

وقد قامت السيدة كلثوم - بعد أن كتب إليها المجلس الأعلى - بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية، وأرسلت هذه الترجمة مع الأصل الروسى إلى المجلس الأعلى الذى اختارنا للقيام بتصحيح هذا الكتاب وتنقيحه والتعليق عليه. وقد أتممنا كل ذلك، وعنينا بتهذيب العبارات وإصلاح المنحرف من الكلمات، وصوبنا الأخطاء اللفظية والمعنوية، حتى أصبح الكتاب صالحًا فى مبناه ومعناه.

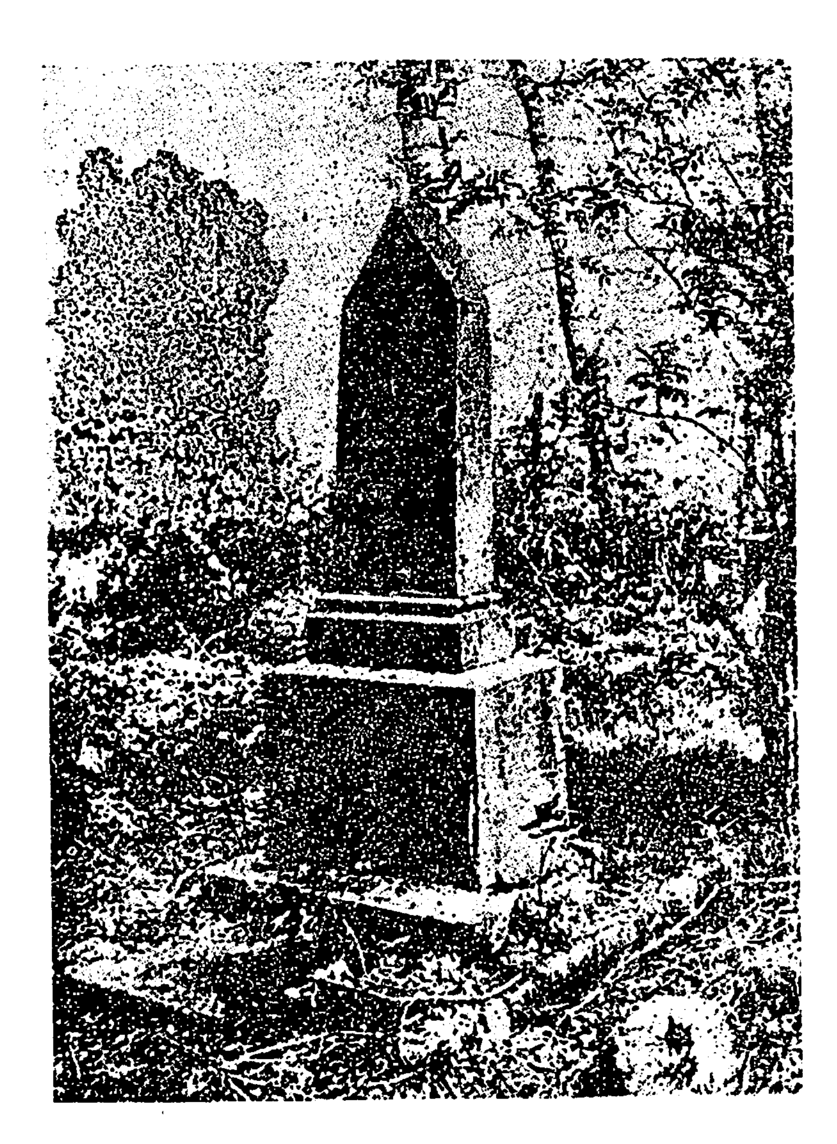
وإنا لنرجو أن يكون هذا العمل محققا لبعض الغايات المرجوة من التعريف بجهود المهاجرين من أبناء وطننا فى سبيل العلم والعرفان.

وفقنا الله إلى السداد، وهدانا طريق الرشاد.

عبد الحميد حسن - محمد عبد الغنى حسن

توطئة

المصادر وسير الأعمال



قبر الشيخ محمد عياد الطنطاوى فى قرية فولكوفا

فى قرية فولكوفا، وفى مقبرة التتر.. بقى محفوظًا نصب تذكارى ممتاز على قبر مكتوب عليه باللغة الروسية والعربية. ويقع القبر فى القسم القديم من الجبانة، إلى اليمين من الممر الذى يؤدى إلى بيت الحارس. لقد تهدم أكثر الأنصاب فى هذا القسم من الجبانة إلا أن النصب الذى يهمنا لا يزال فى حالة حسنة نسبيًا، بقطع النظر عن تأثير الزمن فيه واختلاف الأيدى عليه، فقاعدة النصب من الجرانيت على النمط الأوربى، وعليها بلاطة من الحجر الأسود قد انكسر أعلاها. وعلى الجهة العريضة منها كتابة باللغة الروسية، وعلى الجهة الأخرى كتابة باللغة العربية. والكتابتان فى حالة حسنة يمكن قراءتهما بسهولة، والعبارة الروسية هى:

«أستاذ جامعة بطرسبورج ستاتسكى سوفيتنيك(١) الشيخ محمد عياد الطنطاوى توفى فى ٢٧ أكتوبر(٢) سنة ١٨٦١ عن خمسين سنة».

والنص العربى يشبه النص الروسى دون كلمة «ستاتسكى سوفيتنيك» وهو:

«هذا مرقد الشيخ العالم محمد عياد الطنطاوى الذى كان مدرس العربية فى المدرسة الكبيرة الإمبراطورية ببطرسبورج المحروسة، وتوفى فى شهر [١] جمادى الثانى(٣) سنة ١٢٧٨ من الهجرة عن خمسين سنة».

---

(١) رتبة مدنية للموظفين كانت فى روسيا القيصرية تقابلها بالإنكليزية Councillor of state.

(٢) من بعض معلومات رسمية كما نرى فيما بعد أن تاريخ وفاة الشيخ فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٦١.

(٣) إن الإشارة إلى جمادى الآخرة خطأ إما من الحفار وإما من كاتب تلك الأسطر، إذ إن ٢٧ أكتوبر يوافق ٢٢ ربيع الثانى سنة ١٢٧٨. أما جمادى الأولى فيبتدئ فى ٤ ديسمبر سنة ١٨٦١.

[١] انظر تعليقات المراجعين مسلسلة بأرقام بين حاصرتين فى نهاية الكتاب.

إن شخصية هذا «المستشار» تبرز بروزًا فريدًا فى تاريخ كرسى اللغة العربية وآدابها مدى قرن ونيف، فى جامعة بطرسبرج أولاً ثم بتروغراد، ولينغراد[٤] بعد ذلك.

لقد كان بدء هذا التاريخ غريبًا بالإجمال، لأن أول من مثل هذا الكرسى العربى كان فرنسيًا اسمه ديمانج (١٨١٩ - ١٨٢٢) وكان - على حسب قول أحد مؤرخى الاستشراق الروسى[٥] - لا يميل لا لمهنته ولا للبحوث العلمية إجمالاً. ثم خلفه البولندى سنكوفسكى (١٨٢٢ - ١٨٤٧) المعروف جيدًا لدى المستشرقين ومورخى الآداب الروسية باسم البارون بزابيوس. وقد صار خليفته عربيًا وهو الشيخ الطنطاوى[٦] سنة (١٨٤٧ - ١٨٦١). وسيتضح لنا أننا نرى فى شخصه العربى الوحيد الذى يحمل لقب أستاذ فى الجامعات الروسية[٧].

فى الآونة الأخيرة على أثر اهتمام مواطنى طنطاوى بآثار أسلافهم تذكروه، (فصدرت فى وقت واحد عدة مقالات عن تاريخ حياته، فنشر العالم القاهرى الشهير أحمد تيمور مقالاً عن الطنطاوى فى مجلة

---

(٤) تغير اسم مدينة بطرسبرج فيما بعد مرتين: ففى بدء الحرب العالمية الأولى سميت ببتروغراد، وبعد ثورة أكتوبر بعد وفاة لنين سميت بلنينغراد.

(٥) فسيلوفسكى. ن. إ. معلومات عن تدريس اللغات الشرقية الرسمى فى روسيا بطرسبرج ١٨٧٩، قابل مقالتى: شاهدة عربية فى رسالة غريبويدوف UPAQe, XX III. 1919 in, 189.

(٦) سأحافظ على كتابة هذا الاسم بلفظه الروسى بدلاً مما اعتدت كتابته. إذ إن الشيخ كان يمضى اسمه بالروسى هكذا، وكما كانوا يذكرونه فى الوثائق الرسمية المعاصرة له.

(٧) إن بقية العرب الذين كانوا يعلمون فى روسيا كانوا من صغار المعلمين. أما فيما يختص بأعمال بندلى [٢] جوزى فى جامعتى قازان وباكو فإننا كانت قبيل الثورة وبعدها، وكان مرقس أستاذًا فى كلية لازروف فى موسكو.

المجمع العلمى العربى فى دمشق[٨] وكان الداعى لهذه المقالة غلطة فى ذكر اسم الطنطاوى فى نبذة عن حركة الاستعراب الروسى منشورة فى تلك المجلة أيضًا[٩]. وأهم المصادر لأبحاث تيمور كان خبرًا استقاه من أحد العلماء فى الجامعة الأزهرية فى القاهرة من آل السقّا، الذى كان له علاقة وثيقة بطنطاوى فى عهده المصرى[١٠]. وقد أمددت تيمور تكملة لمقالته ببعض المعلومات عن عهد حياة طنطاوى فى بطرسبرج[١١].

وعلى أساس هذه المواد كلها ومعلومات تكميلية أخرى من قبل العالم الأزهرى المذكور سابقًا ظهر فى مجلة «الزهراء»[١٢] تاريخ جديد لحياة طنطاوى [٣] بدون توقيع. والأرجح أن كاتبه كان مدير المجلة محب الدين الخطيب. وقد نشرت مع المقال صورة[١٣] الطنطاوى التى كنت قد أرسلتها إلى أحمد تيمور، وكذلك كتاب منى إليه[١٤] وأخيرًا صدر فى هذه المجلة نفسها خبر عن كتابى الثانى لأحمد تيمور وعن التاريخ الصحيح[١٥] لميلاد طنطاوى.

---

(٨) La Revue de l'Académie Arabe IV-1924-387. فيما بعد سأذكرها RAA الشيخ محمد عياد الطنطاوى.

(٩) المصدر السابق ٢٠٤-٢١٠ تاريخ علم المشرقيات العربية. اللغة العربية فى المملكة الروسية صاحب المقال ديبو المعلوف عاش زمنًا طويلاً فى روسيا، وذكر طنطاوى فى صفحة ٢٠٩ باسم الشيخ محمد عياض (بالضاد) الطنطاوى.

(١٠) المصدر نفسه ٣٨٨-٣٨٩.

(١١) المصدر نفسه ٥٦٢: ٥٦٤: الشيخ محمد عياد الطنطارى.

(١٢) الزهراء، ١٣٤٣، ٤١٧-٤٢٨: الشيخ محمد عياد الطنطاوى.

(١٣) المصدر السابق ٤١٨.

(١٤) المصدر نفسه ٤٢٩-٤٣٠: رسالة الأستاذ كراتشوفسكى الأخيرة إلى سعادة العلامة أحمد تيمور باشا».

(١٥) المصدر نفسه: ٥٤: تاريخ ولادة الشيخ عياد.

ونظرًا للتغيرات التى طرأت على حياة الشيخ نرى المصادر عن تاريخ حياته مبعثرة فى بلاد مختلفة يتعذر على إنسان واحد جمعها دون تنقيب خاص. ولا عجب إذا لم تحتو المقالات المذكورة العربية على المواد كلها. ومن البدهى أن يكون أصحاب المقالات أكثر اطلاعًا على تاريخ حياة الشيخ فى عهده القاهرى قبل سفره إلى روسيا، إلا أنه بقى مجهولاً لديهم تاريخ حياته المكتوب بيده وهو من أهم المصادر عن حياته فى القاهرة[١٦]. ولكنه للأسف يصور لنا حياته فقط قبل رحيله إلى روسيا سنة ١٨٤٠.

ويظهر أن الشيخ كتبه لعضو المجمع العلمى فرين بصفة curriculum vital أى منهج حيوى وقد كان فرين العالم الرئيسى فى مسائل الاستشراق فى روسيا إذ ذاك. وأهمية هذا التاريخ ليست تاريخية فحسب. كما يشير إلى ذلك Kosegarten الذى نشره كاملاً وترجمه إلى الألمانية[١٧]. بل ثقافية تاريخية. فهو يصور لنا البيئة تصويرًا جيدًا، كما يصور دائرة اهتمامات العلماء العرب فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، عندما كان يسود الاتجاه التقليدى قبيل فجر الآداب العربية الجديدة. فمصر التى كانت حينئذ فى طليعة البلاد الإسلامية لم تستثن

---

(١٦) نظرًا لأهميته وكتابته فى نسخة نادرة نشرته فى الملحق A.

(١٧) Autobiographie des Scheich Ettantawi zu Petersburg. Mitgeteilt und übersetzt von J.G. Kosegarten Zeitschrift Füt die Kunde des mrgenlandes VII 1850., 43/63, 197-200.

أدل فى كل الشواهد على الصفحة- والسطر فى هذه النشرة مختصرًا بحرف (Auto- biographie) = A وفى إعادة طبع (الملحق A) استندت ماعدا نص Kosegarten من المسود المختصر الموجود فى مخطوط مكتبة جامعة ليننغراد. انظر الملحق A المواد رقم ٣٥ ورقة ٦٦٥.

من غيرها من هذه البلدان، وقد بين تعليق[١٨] غوتولد على تاريخ حياة الشيخ بأن دائرة اهتمام المسلمين [٤] الروسيين إذ ذاك كانت قريبة من دائرة اهتمام القاهريين.

فمن المفهوم أن تكون أهمية تاريخ الطنطاوى هذا غير الكامل أهمية عامة.

ولا تقل أهمية مخطوط طنطاوى المجهول فى وطنه ووصف سفره إلى روسيا عن أهمية ما ذكرناه سابقًا من تاريخ حياته، ولهذا المخطوط نسختان مكتوبتان بخط الشيخ: إحداهما فى إسطنبول، والأخرى فى ليننغراد .

فهو يصور لنا برنامج سفره من القاهرة إلى بطرسبرج تصويرًا واضحًا مفصلاً، كما يخبرنا ببعض تفاصيل عن حياته واهتماماته خلال العشر سنوات الأولى من إقامته فى بطرسبرج (١٨٤٠ - ١٨٤٩)، وبعض ذكريات عن سفره إلى وطنه فى صيف سنة ١٨٤٤. فهذا المخطوط يفوق تاريخ حياة الشيخ بأهميته الأدبية والثقافية والتاريخية قدر ما يفوقه بكبر حجمه.

وتلعب مجموعة المخطوطات الشرقية التى كانت فى حوزة طنطاوى - وأغلبها عربى - دورًا جوهريًا للاطلاع على تاريخ حياته بين المواد الأخرى وهذه المجموعة محفوظة الآن فى مكتبة جامعة ليننجراد. وقد

---

(١٨) Z D M G, IV, 1850, 243-218.

عن هذا المخطوط انظروا مقالاتى: مخطوط مجهول لطنطاوى D A H-B, 1927; 181-186 ومخطوط جديد وصف روسيا للشيخ طنطاوى D A H-B, 1928, 302-305 بهذا المخطوط استشهد بصفحات مخطوط إسطنبول بحرف C وبأوراق مخطوط لنينغراد بحرف A. خلال الحرب العالمية الثانية ضاع مخطوط لنينغراد (المترجم).

اقتنتها المكتبة على دفعتين سنة ١٨٧١ أعنى بعد عشر سنوات من وفاة الشيخ، وعدد هذه المخطوطات نحو ١٥٠[١٩] مخطوطة ولهذه المجموعة قيمة كبرى بين المخطوطات فى الجامعة العربية إذا استثنينا منها عدة مخطوطات وصلت إلى الجامعة من قازان. وبين هذه المخطوطات عدة مؤلفات لطنطاوى نفسه ومكتوبة بخط يده ومجهولة فى وطنه. ويوجد كذلك بخط يده كثير من قطع منقولة عن مخطوطات أخرى، ومسودات وملاحظات للمحاضرات، وكذلك للمصنفات التى كان ينوى تصنيفها. وفى مجموعة الطنطاوى لا يوجد إلا القليل من المخطوطات القديمة، ولكن نجد بينها مخطوطات فريدة أصبح جزء منها معلومًا لدى العلماء.

وليست هذه المجموعة مهمة فحسب لأنها من مصنفات الطنطاوى نفسه وبينها عدة منسوخة بيده، بل لأنها تدلنا على مدى ما كان يتجه إليه اهتمامه. أما ما يختص ببقية المخطوطات فهى مصحوبة عادة بتصحيحاته للنص، أو بذكر تاريخ اقتنائها أو قراءتها، وكثيرًا ما نتمكن من تحديد تواريخ صحيحة بفضل تعليقاته[٢٠]. ولم يقتصر اهتماد الطنطاوى على مجموعة مخطوطاته بل تعداها إلى غيرها. فعندما وفد إلى بطرسبرج بدأ على ما يظهر، يطالع بانتظام المخطوطات الموجودة فـ المكتبات المختلفة، وطبعًا الموجودة فى المكتبة المرتبطة مباشرة بإدارة خدمته وهى مكتبة القسم التعليمى التابع لوزارة الخارجية. ونرى . على

---

(١٩) أرقام ٦٨٤ - ٧٧١، ٧٧٢ - ٨٣٩. انظر قائمة المخطوطات الفارسية، والتركية التترية والعربية فى مكتبة جامعة بطرسبرج ١٨٨٨، ٥، وفيما بعد سنأتى بالشاهدة مختصرة I = Indices.

(٢٠) مثلا بفضل تعليقاته على المخطوطات تمكنا من تحديد تاريخ سفره إلى وطنه سنة ١٨٤٤.

كثير من المخطوطات المحفوظة الآن فى معهد الدراسات الشرقية التابع للمجمع العلمى. آثار مطالعته لها. فعليها تعليقات وتصحيحات وملاحظات عن قيمة هذا المخطوط أو ذاك[٢١]. وهنا نجد معلومات مكتوبة بيده وتفاصيل عن تاريخ حياته وأحواله النفسية[٢٢]. وبالإجمال فإن المخطوطات التى طالعها طنطاوى ونقحها تفرقت إلى مدن مختلفة حين كان فى القاهرة بعد. وقد وصل بعضها إلى مونيخ بواسطة تلميذه الدكتور Pruner[٢٣].

والمصدر الثالث لتاريخ حياة طنطاوى الذى لم يدرس بعد هو مراسلاته لأصدقائه وتلاميذه من العرب والأوربيين. ومما لاشك فيه أن طنطاوى إنسان من بيئة أدبية وعلمية عربية، فحينما أصبح فى الشمال، فى وسط غريب عنه باللغة والروح، كان يشعر أنه وحيد خصوصًا فى المدة الأولى، لذلك كان حريصًا على علاقته بوطنه النائى وبقيت آثار هذه العلاقات ظاهرة فى مؤلفه عن اللهجة المصرية[٢٤]، حيث توجد بعض رسائله ورسائل أصحابه المصريين كأنموذج للأسلوب[٢٥].

وللأسف تنحصر فى هذه الرسائل فقط المواد التى وصلت إلينا. أما ما يختص بمراسلته لعلماء الغرب. فلدينا نوع واحد منها وهو مراسلاته

(٢١) انظر فى المواد - ب، المواد رقم ٢٧، ٤٤، ٤٥.
(٢٢) مثلاً المواد رقم ٢٧.
(٢٣) المواد رقم ٤٧.
(٢٤) Traite de la Langue arabe vulgaire. Leipsic. 1848.
(٢٥) Ibid 150-170.

إلى تلاميذه. فإلى آخر عهد إقامته فى القاهرة وبدء إقامته فى بطرسبرج تنسب رسائل Fresnel [٥] أول تلاميذه من الأوربيين الذين سيأتى الكلام عنهم مرارًا عندما سنتكلم عن معارفه وعلاقته بهم. وبين تلاميذه فى زمن إقامته فى بطرسبرج كان العالم الفنلندى ڤالن Wallen (١٨١١ - ١٨٥٢) الذى نال شهرة عالمية، وقام برحلة فى الجزيرة العربية[٢٦].

لقد بدأ ڤالن يدرس على طنطاوى فور وصوله إلى روسيا، وكان المعلم والتلميذ فى سن واحدة تقريبًا. ويظهر أنه كانت تربطهما صداقة متينة، ظهرت آثارها فى مذكرات Wallin[٢٧] وفى مراسلتهما الكثيرة باللغة العربية[٢٨] وقد نشر المستشرق الفنلندى Tallqvst باللغة السويدية رسالتى ڤالن Wallin للشيخ[٢٩] وقد تمكنت من الاطلاع على رسالتين من الطنطاوى إلى ڤالن Wallin وهما محفوظتان فى مكتبة جامعة هلسينكفورس، بفضل الأستاذ Tallgren الذى أرسل لى بعض نتف

---

(٢٦) عن الدور الذى لعبه فى الاستشراق الفنلندى انظر:

E. Steny. Die orientalischen Studien in Finnaland, 1828-1875, Studia orientalia. I. Hlelsingfors; 1925, 279-287.

(٢٧) S.G. Elmgren. G.A. Wallin reseanteckningar fron orienten aren 1843-2849. 1864-1860 [فيما بعد Elmgren] Knut Tallqvist Bref och dag-bok santech ningar af Georg August Wallin Helsing fors 1903 (= Skripter utgipna ap Svenska Littera tursalls kapet i Finland. LXX. (Tallqvist فيما بعد)

(٢٨) قد نشر Tallqvist رسالة من Wallin إلى معلمه الآخر فى مصر على البرانى.

(٢٩) (تاريخ أحد التحارير ٣١ ديسمبر سنة ١٨٤٢) و٣٦ وتاريخ الثانى op. cit., 33-35 ١٠ أبريل سنة ١٨٤٣ وقد جرت الترجمة على أساس المسودتين العربيتين المحفوظتين.

منهما[٣٠] وأخيرًا تحتفظ مكتبة قازان بنحو عشر رسائل لطنطاوى مرسلة منه إلى غوتولد، ورسالة كان قد تسلمها الطنطاوى من مصر[٣١]. ولم أستغل كما يجب المواد الموجودة فى محفوظات جامعة بطرسبرج فى بحوثى هذه فهى وثائق رسمية مختلفة تتعلق بخدمته، ويحتل المكان الأول بينهما سجل خدمته الذى يطلعنا على معلومات مهمة وعلى أوراقه الرسمية، منذ تعيينه مدرسًا فى الجامعة سنة ١٨٤٧ إلى سنة ١٨٨٦ والأوراق التى تنتسب إلى ما بعد موته وتختص بالجيل الثالث من خلفه[٣٢]. وكذلك توجد عدة وثائق محفوظة فى كلية اللغات الشرقية، ومحاضر الجلسات من سنة ١٨٥٤ – سنة ١٨٦١[٣٣].

فكل هذه المواد المذكورة وخصوصًا مؤلفات الطنطاوى ومخطوطاته ووثائق الأرشيف عنه تمكننا من وصف حياة الشيخ ونشاطه وصفًا أكمل نوعًا ما مما كتب عنه قبلاً. (فلشخصيته الحق أن تحتل مكانها فى تاريخ

---

(٣٠) تاريخ احد التحارير ١٧ يوليو والثانى ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٥٠. (لربما يعنيهما Tallqvist فى ZA, XXVII, 1912, 10) وجواب Wallin باللغة العربية يذكره Tallqvist فى CIII.

(٣١) انظر ذكر هذا فى: غوتولد عضو شرف وأستاذ للجامعة الإمبراطورية فى قازان ١٩٠٠، ٢٣٩ رقم ١٥١ب، ١٥٥. نرى وصفهما فى مقال آخر.

(٣٢) انظر سجل مجلس الجامعة الإمبراطورية فى بطرسبرج رقم ١٢٥ عن خدمة الأستاذ الشيخ محمد طنطاوى، بدايته سنة ١٨٤٧ وآخره فى ٣ أبريل سنة ١٨٦٢ فى ٩١ ورقة على أن الوثائق تدل حقيقة على أن نهاية السجل كانت سنة ١٨٨٦.

(٣٣) أتى بارتولد على ذكر بعض معلومات عن هذه الوثائق فى مؤلفه «مواد لتاريخ كلية اللغات الشرقية» المجلدات ١، ٢، ٤ بطرسبرج سنة ١٩٠٥ – ١٩٠٩. انظر خاصة المجلد الرابع: استعراض أعمال الكلية ١٨٥٥-١٩٠٥ صفحات ٥٢، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٩، (وفيما بعد بارتولد، المواد، المجلد...)

الآداب العربية فى القرن التاسع عشر، وفى تاريخ كرسى الاستعراب فى جامعة بطرسبرج.

لم يقم أحد للآن بأبحاث وافية لإلقاء الضوء على الدور الذى لعبه الطنطاوى فى الحالين؛ فعلماء الغرب يذكرونه عادة باختصار متابعين بالتقليد خطأ تاريخ وفاته سنة ١٨٧١[٣٤] حتى عند الذين كانوا قريبين من مصر نرى تواريخ حياته خيالية كذلك نرى أن المعلومات عنه فى الآداب الروسية العلمية مختصرة، ومع أن لدى الروس مصادر رسمية نراهم يذكرون السنين دائمًا خطأ، كما نرى مثلاً فى معجم بركغاوز - إفرون[٣٥]، وفى قاموس تاريخ الأعلام الروسى[٣٦] لا نرى هناك تاريخًا

---

(٣٤) انظر مثلاً: Brockelmann, Geschichte der arabischen Litteratur, II, 479. 1909, 247); Huart, Littérature ARABE (طبعة مختصرة) Paris, 1912, 420; Cheikho, La litteéature arabe au XIX Siécle, II Beyrouth, 1910, 19. (وفى الطبعة الثانية سنة ١٩٢٦، ٦٣ يذكر حتى سنة ١٨٨١) ويذكر نفس التاريخ Tallqvist فى القائمة ٢٦٣.

(٣٥) وبهذه المناسبة يمتاز ما قيل فى مصنف فرنسى عربى عن الأزهر عندما دخله سنة ١٨٦٦ محمد عبده الذى اشتهر فيما بعد: "Cet esprit nouveau ne changea rien aux méthodes sur années ENhonneur à al-Azhar, la réforme de l'enseignement n'eut lieu que beaucoup plus trad il se manifesta d'abord par un retour vers classique. Ainci le cheikh al Tantaoui, esprit aventureur, que déjà à cette epoque se décida à quitter la terre d'Islam pour aller enseigner l'arabe à Saint - Pétersbourg, avait pris pour object de son cours, vers 1867, les Maqamates al Hariri..." Cheikh Mohammed Abdou' Rissalat al Tawhied.: Exposé de la religion musulmane' traduite de l'arabe avec une introduction sur la vie et idées du Cheikh Mohammed Abdou par B. Michel et le cheikh Moustapha Abdel-Razik, Paris, 1925, XVIId-XIX.

(٣٥) المجلد ٦٤، ١٩٠١، ٦٠٨.

(٣٦) مجلد سوفورف، تكاتشوف، بطرسبرج ١٩١٢، ٢٨٧-٢٨٨.

صحيحًا بين الأربعة التواريخ(٣٧) المذكورة فيه وليست الحالة أحسن منها فى المعلومات الأخرى. ولم يقم أحد عندنا بتوضيح الدور الذى قام به الشيخ فى الاستعراب الروسى، ما عدا ملاحظة غريغوريف(٣٨) غير الصحيحة، وهى أن تدريس الشيخ للغة العربية فى روسيا لم يترك أى أثر، لأنه لم يكن فى وسع التلاميذ من طراز الذين عندنا أن يستفيدوا من معارفه.

إنى لا أظن أنه يجب بعد هذه التوطئة أن آتى بحجة لإثبات اهتمامى بهذه الشخصية الفريدة، برجل الآداب العربية الحديثة، العامل فى حقل الاستغراب الروسى.

لقد بدأت بدراسة تاريخ حياة الشيخ بانتظام نوعًا ما فى سنتى ١٩١٦ ـ ١٩١٧ عندما كانت النية أن يحتفلوا بمرور مائة سنة على تأسيس جامعة بطرسبرج (١٩١٩)، وبدت إذ ذاك فكرة نشر تاريخ بعض كراسيها التى لم يتحقق إنشاؤها فيما بعد. فأخذت أتفقد مخطوطات الشيخ لأحصل على معلومات عن تاريخ حياته. ولما لم تتحقق تلك الفكرة فقد طال عهد دراستى. والسبب الثانى الذى دفعنى للعمل بهذا التاريخ هو طلب دائرة المعارف الإسلامية Enzyklopadie des Islam سنة ١٩٢٤ أن أكتب مقالاً عن طنطاوى؛ فألزمتنى ضرورة إثبات الحقيقة بين المعلومات المتناقضة أن أوجه نظرى إلى معلومات دار الوثائق والاطلاع

---

(٣٧) ولد طنطاوى سنة ١٨١٠ (وليس ١٨٠٦)، ورحل إلى روسيا سنة١٨٤٠ (وليس سنة ١٨٣٩) وابتدأ بإلقاء المحاضرات فى الجامعة سنة ١٨٤٧ (ليس ١٨٤٨) وتوفى سنة ١٨٦١ ليس ١٨٥٨).

(٣٨) الجامعة الإمبراطورية فى بطرسبرج خلال الخمسين سنة الأولى لوجودها . بطرسبرج ١٨٧٠، ٢٥٣. (وفيما بعد غريغوريف، الجامعة).

على مخطوطاتها بانتظام. واستغرق هذا العمل كل سنة ١٩٢٥. وبهذه المناسبة نشرت عدة نبذ ومقالات عن بعض مؤلفات الطنطاوى ومخطوطاته، وكذلك المقالات والرسائل باللغة العربية التى أشرت إليها سابقًا(٣٩) وقد أنهيت المقالة للموسوعة الإسلامية Enzyklopadie des Islam فى ديسمبر سنة ١٩٢٥(٤٠).

وهنا عزمت عزمًا أكيدًا على أن أكتب كتابًا خاصًا عن طنطاوى. وقد ألقيت فى لجنة المستشرقين فى ٢٥ فبراير تقريرًا تضمن تاريخ حياته. ثم أجلت درس مؤلفاته، آملاً أن أطلع على بعض المعلومات عن طنطاوى فى إسطنبول والقاهرة خلال رحلتى إلى الشرق. وإذا لم تتحقق هذه الرحلة عزمت على إتمام العمل، مكتفيًا بما كان لدى من المعلومات. وقد تناولت بعض المعلومات عن الطنطاوى فى محاضرتى عن خلفه غرغاس التى ألقيتها فى لجنة المستشرقين فى ٣١ مارس سنة ١٩٢٧(٤١). وفى صيف سنة ١٩٢٨ تسلمت صورة مخطوط الطنطاوى الموجود فى إسطنبول وفيه يصف سفره إلى روسيا. فكتبت نبذة(٤٢) وألقيت محاضرة عنه فى اللجنة المذكورة سابقًا فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٧. وأتممت دراسة مخطوطات الطنطاوى فى صيف سنة ١٩٢٨(٤٣) وبهذا قد أنهيت العمل

---

(٣٩) ترجمة جولستان إلى العربية D A H-B, 1224, 102-3 : يوسف المغربى وقاموسه، Une version arabe; UAH, 1926, 277-300; du conte sur les ruses de femmes, DAHB 1926, 23-26.

(٤٠) صدرت المقالة فقط سنة ١٩٢٩ فى الجزء الرابع صفحة ٧٠٩-٧١٠.

(٤١) غرغاس (بمناسبة مرور ٤٠ سنة على وفاته)، 3 KB, III, 1928, 63-90.

(٤٢) مصنف مجهول للشيخ طنطاوى DAH - B, 1227, 181-186.

(٤٣) لقد شرحت النتائج التى حصلت عليها من دراسة المخطوطات كمعلومات عن بعض المخطوطات فى الملحق. ب «المواد لتاريخ حياة طنطاوى فى مكتبة جامعة ليننغراد».

الذى بدأته منذ زمن طويل. وألقيت فى لجنة المستشرقين كلمة عن مؤلفات الطنطاوى التى تؤلف الجزء الثانى من الكتاب. ولقد كانت مفاجأة طيبة عندما وجدنا فى لينينغراد مخطوطًا ثانيًا بخط طنطاوى نفسه عن سفره إلى روسيا. وفى سنة ١٩٢٩ عثرنا على تفاصيل جديدة لوصف أعماله الأدبية بين مخطوطات الغرفة الآسيوية فى ديتسكنى سيلو[٤٤].

وإنى أرجو ألا تحدث المواد والمصادر التى كانت بعيدة المنال تغيرات مهمة فى الكتاب الذى كان موضوع عملى أكثر من عشر سنوات، وفى تلك الصورة التى صورتها.

(٤٤) المخطوطات الشرقية فى قصر كاترينا فى دينسكى سيلو 168-161، و DAH-B, 192.

الفصل الأول:

الطنطاوى فى مصر وسفرهُ إلى روُسيا



كان أبو الشيخ الطنطاوى من محلة مرحوم[١] وهى بلدة صغيرة بقرب طنطا فى إقليم الغربية من[٢] الوجه البحرى، ومن هنا جاء نسبه «المرحومى» الذى احتفظ به ابنه، مما أوقع بعض مؤرخى حياته فى خطأ، إذ كتبوا أنه ولد فى المحلة[٣]. وكان لمحلة مرحوم فى نصف القرن الثامن عشر أهمية أكثر مما لطنطا، التى صارت فيما بعد عاصمة الإقليم. وكانت محلة مرحوم تفوق إذ ذاك طنطا فى الحالة الاقتصادية وتعداد سكانها. ولكن الحالة تغيرت بعدما بنى على بك الكبير، باشا مصر (١٧٢٨-١٧٧٣)[٤] مسجدًا كبيرًا وبجانبه قيسارية كبيرة فى طنطا تبجيلاً للولى المحلى المعروف أحمد البدوى[٥].

فالاحتفال بالسيد البدوى مرتين فى السنة فى هذه المدينة كان مصحوبًا بإقامة أسواق كبيرة[٦] رفعت أهمية طنطا فى وقت قصير لا من الناحية الاقتصادية فحسب من الناحية الروحية أيضًا كمركز محلى

---

(١) هكذا يكتبها طنطاوى فى تاريخ حياته (١٠، ٤٩)، أما على مبارك فيكتبها «محلة المرحوم» بأداة التعريف: الخطط الجديدة، القاهرة، ١٣٠٥، XV، ٢٤.

(٢) تحدد المسافة بين محلة مرحوم وطنطا بسفر نصف ساعة: على مبارك، هناك، الزهراء ١، ١٣٤٣، ٢٤٠.

(٣) هناك: مجلة الزهراء.

(٤) انظر: n.A.K. nig. Enzyklopaedie des Islam, I, 305-307,

نشر فى الوقت الأخير Fr. Charles Roux معلومات مهمة عن أعمال على بك الكبير فى سوريا على أساس تحارير وبلاغات وكلاء التجار الفرنسيين: Charles Roux, les échelles de Syrie et de Palestine au XVIII siècle, Paris, 1928, 92-105. وهناك منشورة صورة على بك

(٥) عن السيد أحمد البدوى انظر: K. Vollers, Enzykl. d. Islam, I - 204-207.

(٦) عن هذا الموسم فى الزمن الأخير (١٩١١) انظر مقالة مرتينوفيتش (مجلة العالم الإسلامى) ١٩١٢، ٥١٧-٥٢٢.

للعلوم الإسلامية. فأخذت أهمية محلة مرحوم منذ ذلك الوقت تقل شيئًا فشيئًا وبدأت بيوتها ودكاكينها وحماماتها تتهدم حتى على زمن طنطاوى[٧].

غادر أبو الشيخ طنطاوى المحلة: محلة مرحوم، ولكنه لم يتوطن طنطا، بل كما كتب ابنه فى تاريخ حياته أن أباه كما قال الحريرى صاحب المقامات[٨] «كل يوم بين تعريس ورحلة»، وذلك لأنه كان يتاجر ببعض البضائع كالأقمشة والبن والصابون ونحو ذلك. فكان يأتى بالبضائع الكثيرة ويفرقها على التجار فى دائرته. وكان يملك بيوتًا فى طنطا والصافية ونجريد[٩]. وكانت أم الشيخ الطنطاوى من الصافية[١٠] أما هو فولد فى نجريد[١١] سنة ١٢٢٥ - ١٨١٠[١٢].

لم يكن محمد وحيدًا فى أسرته بل كان له أخ يسمى مصطفى كان يتاجر مثل أبيه، وقد التقى به الرحالة الفنلندى فالن Wallin مرارًا عندما كان مقيمًا فى مصر، وأعجب به إعجابًا عظيمًا[١٣].

---

(٧) عن هذا كله يتكلم طنطاوى فى تاريخ حياته ١٠، ٤٩-١٠، ٥٠.

(٨) تاريخ حياته ٤٩ : ٤-٥: كان كما قال الحريرى «كل يوم بين تعريس ورحلة»

(٩) انظر تاريخ حياته ٤٩: ٦-٨.

(١٠) انظر تاريخ حياته ٤٩: ٤-٥.

(١١) يذكرون غلطًا محل ولادة طنطاوى مدينة طنطا. حتى لقد وهم فالن Wallin فى هذا ايضًا (انظر Elmgren II, 126).

(١٢) ت ٤٠٤٩٠ (انظر مقالتى فى الزهراء I ١٣٤٣، ٥٥٤).
إن سنة ١٢٢٥ الهجرية ابتدأت فى ٦ فبراير ١٨١٠ على حسب التقويم الشرقى، وكثيرًا ما يشير طنطاوى نفسه إلى هذه السنة، فكل تاريخ غيره لا يمكن أن يؤخذ بعين الاعتبار مثل سنوات (١٨٠٦، ١٨٠٨) الواردة فى المصادر الروسية. كذلك لا أساس للاختلاف على قدر سنه، فأحيانًا نجد فى الوثائق الرسمية سنة ١٨٥٥ أن عمره كان ٤٧ سنة، وفى الشهادة التى نالها عند التقاعد سنة ١٨٦١ : ٥٢ سنة، وعلى حسب شهادة الخطيب عن وفاته ٦٠ سنة (كل هذه الوثائق فى أوراقه).

(١٣) Elmgren I, 254, 310, 38.

واسم شيخنا كاملاً: محمد بن سعد بن سليمان عياد المرحومى الطنطاوى الشافعى[١٤]. أما اسمه المختصر العادى فى عهد إقامته ببطرسبرج فكان محمد عياد الطنطاوى [٦] وقد قال فى تاريخ حياته إن عيادا كان اسم آلة يحمل كل من أفراده كما كانوا يحملون النسبة أيضا.[١٥] وقد كان شيخنا فى زمن شبابه يوقع مؤلفاته ومخطوطاته بمحمد عياد الطندتائى[١٦] متأثرًا بما قرأه فى الكتب عن اسم طندتا بدلاً من طنطا، على أنه مع الزمن صار إمضاؤه «الطنطاوى»[١٧].

سافر والده إلى الحجاز للحج عندما كان عمر محمد أربع سنوات فقط، فبقى عند أخواله فى الصافية[١٨]، وعندما غدا عمره ست سنوات

---

(١٤) قابل تاريخ حياته ٤، ٩٤. إمضاؤه التام مثلاً فى الموارد رقم ٢ واحيانًا كان يزيد هذه الصفات: الأزهرى الأحمدى، المواد رقم ٢٢.

(١٥) تاريخ حياته ١٩٧ .

(١٦) هذه هى التحركات. انظر على مبارك: الخطط Vollers, 45 XIII Enzyklopaedie des Islâm, I, 204) , S.V. Ahmed al-Badawi), Kosegarten, Z K M., VII, 198. Tandata' Tandatai.

(١٧) كان امضاؤه المعتاد فى عهده المصرى الأول دون نسبة كمحمد عياد، او محمد سعد عياد فى المواد رقم ١، ٥ مثلاً وفى رقم ٦ نرى محمد عياد الطندتائى فى رقم ٢، ٤. وفى السنوات الثلاثين نجد إمضاءه العادى الذى احتفظ به طول حياته وهو محمد عياد طنطاوى. المواد رقم ٥. ونرى إمضاءات مختلفة له على المخطوطات التى نسخها او طالعها.

محمد عياد الطنطاوى: رقم ١٩، ٢٧، ٢٩، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٢.

محمد سعد عياد: رقم ٧١، ٨٢.

محمد عياد الطنطاوى الشافعى الأزهرى: رقم ١٨.

محمد عياد الطنطاوى الأحمدى الأزهرى رقم ٢٣.

(١٨) تاريخ حياته ٥٠، ١١ – ١٢. ولربما كان للقب الحاج الذى يذكره صاحب المقالة فى الزهراء I, 1343 420، علاقة بالسفر إلى الحجاز.

بدأ يتردد على الكتاب فى طنطا. فنقله أبوه إلى بيته فى هذه المدينة. وكان التعليم إذ ذاك محصورًا فى حفظ القرآن بداية وعيادة[19] كما كانت العادة. وقد اشتهرت طنطا فى ذلك الحين كأحد مراكز حفظ القرآن بالمعنى المذكور. أما القاهرة فاشتهرت بعلوم الفقه. لذلك كانت طنطا تدعى الأولية لنفسها فى حفظ القرآن. ومن هنا المثل القائل: ما قرآن إلا أحمدى، ولا علم إلا ازهرى. فبعد أن حفظ القرآن مرتين بداية ونهاية[20] لم يخرج من الكتاب، بل حفظ فيه متونًا كثيرة، كمتن [7] المنهج فى علم الفقه[21] وهو فى ضخامة المصحف، وكمتن ألفية ابن مالك فى النحو المعروفة فى أوروبا ... إلخ. بهذا عادة كانت تنتهى الدراسة فى المدارس الإسلامية. أما طنطاوى فلما بلغ العاشرة من عمره بدأ بدراسة العلم. كما يقول فى تاريخ حياته. فحضر دراسة الشروح والتعاليق على المتون التى حفظها قبلاً[22]. ولقد كانت حالة تدريس الصرف والنحو فى طنطا غير مرضية، لهذا كانت دراسة الشروح على متن الفقه. ويذكر طنطاوى بين معلميه رجلاً غير معروف لدينا وهو محمد الكومى[23]، كما يذكر محمدًا أبا النجا الذى يسميه مصنفًا وعالمًا شهيرًا[24]. وأكبر الظن أن الأخير كان أبًا للعالم عبد الهادى نجا الإبيارى

(١٩) يريد إعادة، فالإعادة تقابل البداية والبدء، أما العيادة فهى مصدر الفعل عاد بمعنى الزيارة. المرجعان.

(٢٠) تاريخ حياته ٥٠، ٨-٩، ٥٠، ١٥.

(٢١) تاريخ حياته صفحة ٥٠ سطر ١٧-١٨.

(٢٢) تاريخ حياته صفحة ٥٠ سطر ١٩ وصفحة ٥١ سطرًا.

(٢٣) تاريخ حياته صفحة ٥١ سطر ١ - ٢ يوجد توقيع محمد الكومى على وثيقة حفظها طنطاوى فى (Traité, 176) والوثيقة بتاريخ سنة ١٧١١ (١٧٨٥).

(٢٤) تاريخ حياته صفحة ٥١ سطر ٣ - ٤، وينسبون له أحد شروح الأجرومية العديدة يذكره M. Ben Cheneb, Enzykl.de Islàm II, 382 a

(١٨١٢ ـ ١٨٨٨)[٢٥] كما أنه من المحتمل أن هذا الابن صار تلميذًا للشيخ طنطاوى فى آخر العقد الثالث عندما كان يدرس فى الأزهر. ونرى فى إحدى مخطوطات طنطاوى تعليقات وخمسة أبيات من الشعر مكتوبة بخط عبد الهادى نجا يمدح فيها المخطوطات[٢٦]. ونعرف من مصدر آخر أن مصطفى القناوى الذى سيأتى الكلام عنه كان معلمًا آخر لطنطاوى، حين رجع بعد موت أبيه إلى طنطا[٢٧].

وفى سنة ١٢٣٨هـ. ١٨٢٣م، عندما بلغ طنطاوى الثالثة عشرة من عمره، رحل مع عمه إلى القاهرة، وبعد قليل تبعه أبوه الذى ترك السكنى فى طنطا[٢٨].

لم يفارق الولد وطنه نهائيًا، فكان يزوره دائمًا فى الموالد، ويزور الصافية وطن أمه. وكان بهذا يغتنم الفرصة لمتابعة دراسته عند العلماء المحليين. وفيما بعد قام الطنطاوى بالتدريس هناك «فوفى بذلك دينه»[٢٩] كما يقول فى تاريخ حياته. وقد نهج طنطاوى فى القاهرة المنهج المعتاد للمسلمين الذين كانوا يميلون للعلم، فدخل الأزهر، وقد عد إقامته فى القاهرة سعادة له[٣٠]. ولا شك أن دراسة السنوات الثلاث فى طنطا عادت عليه بفائدة، مع أنه كان يقضى وقته فى اللعب، فكان مستعدًا

---

(٢٥) Brockelmann, GAL, II, 487, N 3:VIII 29-30 مشاهير الشرق. II ١٩٢٢، ١٦٠-١٦١. تاريخ آداب اللغة العربية ١٩١٤، ٢٦٣. زيدان.

(٢٦) المخطوط بتاريخ سنة ١٢٢٥ (١٨٣٧). انظر المواد رقم ٤.

(٢٧) مصطفى القناوى، الزهراء ١، ٢٤٠.

(٢٨) تاريخ حياته صنة ٥١ سطر ٩ - ١١.

(٢٩) تاريخ حياته صفحة ٥١ سطر ١١ - ١٦.

(٣٠) تاريخ حياته صفحة ١٥ سطر ١٦-١٧.

للدراسة أكثر من أترابه[٣١] فى بعض المناسبات. وكان التعليم فى الأزهر فى ذلك الحين ينحصر فى حفظ الشروح؛ ما عدا الفقه وكان لعلم المنطق أهمية كبرى، كما كان علم البلاغة والبديع[٣٢] يحتلان مكانًا مرموقًا. لم يكن إذ ذاك فى الأزهر مناهج أو اتجاهات جديدة[٣٣]، ولكن لا يمكننا أن ننسى أنه كان المركز الثقافى الوحيد فى ذلك العهد فى مصر؛ وكان مستعدًا للتأثر بالأفكار الجديدة. لقد تخرج فيه عدد لا يستهان به من الرجال الذين عملوا فى عهد محمد علىّ وخلفائه من الخديويين، خصوصًا فى ميدان الترجمة والتحرير، فمن هنا تخرج زعماء الآداب العربية العصرية. فكان منهم رفاعة الطهطاوى أحد أعلام النهضة وصديق الطنطاوى الكبير، وسيأتى الكلام عنه. ومن هنا نرى أن البيئة التى دخلها الطنطاوى كانت موافقه، لذلك عد إقامته بينها سعادة له.

كان معلم الطنطاوى الرئيسى على حسب قوله[٣٤]، بل ومعلم جيله أيضًا، علامة الأزهر فى ذلك الحين إبراهيم الباجورى [٨] (١٧٨٣ - ١٨٦١)[٣٥] صاحب الشروح العديدة فى العقائد والفقه والنحو

---

(٣١) تاريخ حياته صفحة ٥١ سطر ١٨ وصفحة ٥٢ سطر.

(٣٢) يذكر طنطاوى فى تاريخ حياته صفحة ٥٢ سطر ٢ ـ ١٢ أسماء المؤلفات التى درسها.

(٣٣) بعد مضى قرن كامل توطدت نهائيًا تلك الإصلاحات التى اطلعنا عليها بفضل الوثائق التى نشرها:

Achille Sékaly, L'Université d'el - Azhar et ses transformations, Revue des Etudes Islamique I, 1917, 95 -118, 465 -529, II, 1928, 47 -165,255-337, 401-472.

(٣٤) تاريخ حياته صفحة ٥٢ سطر ١٢-١٢٠. قابل أحمد تيمور RAA, IV, 1924, 382.

(٣٥) A. Kremer, Aegy ten, II, Lpz. 1863, 322-323; Brockelmann, GAL, II 487, N 2; Fh. W. Juynboll, Enzykl. d. Islâm I, 580-581.

والمنطق[٣٦]، والذى صار فيما بعد شيخ الأزهر (١٨٤٧ - ١٨٦١): وقد خصه الطنطاوى بقصيدة منظومة بالأسلوب القديم التقليدى[٣٧]، وكتب شرحًا لأحد مؤلفاته فى العقائد المحفوظ فى مصر [٣٨]. لقد كان الباجورى من ممثلى المدرسة التقليدية القديمة وعدو التقارب من الأوربيين. فعندما كان طالبًا فضل الرحيل من القاهرة خلال حملة نابليون (١٧٩٨ - ١٨٠١)[٣٩]. كذلك [٩] كان من معلمى الطنطاوى[٤٠]. حسن العطار (١٧٦٦ - ١٨٣٤)[٤١]. ولم يكن الشيخ حسن العطار عالمًا فحسب بل وشاعرًا أيضًا. وقد رأى من المستطاع أن يتقرب من الفرنسيين ليتعرف إلى تفوق ثقافتهم[٤٢]. ولم يرفض فى أيام شيخوخته أن يكون محررًا لأول جريدة عربية مصرية[٤٣] أسسها محمد علىّ. وفى السنوات الأخيرة من عمره صارت إليه مشيخة الجامع الأزهر.

---

(٣٦) لقد حلل Sn uck Hurgronje تحليلاً دقيقًا مصنفاته فى العقائد فى تقريظ مصنف Schau فى الأحكام الإسلامية.I7 - 164 ,ZDMG, III, 1899,144.

(٣٧) نشر هذه القصيدة غوتولد ZDMG, IV, 25-246.

(٣٨) الزهراء I ٤٢٤، انظر الفصل الثانى من مؤلفات طنطاوى.

(٣٩) Bro ckelmann, op. cit., II, 487.

(٤٠) إن طنطاوى لا يذكر اسمه فى تاريخ حياته بل يقول عنه شيخنا ومولانا فى مقدمة احد مصنفاته (انظر المواد رقم ٤ ورقة ١) وتثبت هنا مثلاً الزهراء ١، ٤٢١.

(٤١) Brockelmann, GAL, II, 4 3, NI, Enzykl. d. Islâm, I, 534;

زيدان تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الرابع ٢٥٧.

Cheikho, La littérature arabe au XIX siècle, I, Beyrouth' 1924, 51-2.

(٤٢) لقد وصف انطباعاته من تعرفه بالفرنسيين وصفًا بديعًا فى مقامة ترجمها:

Bescher, Orientalische Miszellen, Konstantin opel, 1925, 229-234.

(٤٣) قابل طرازى تاريخ الصحافة العربية I، بيروت، ١٩١٣، ٤٩ ـ ٥٠

Brockelmann, II, 473.

وما عدا هؤلاء الأعلام كانت هناك شخصيات أقل شهرة ممن ذكرنا تتلمذ الطنطاوى عليهم كإبراهيم السقا مثلاً (١٧٩٧ - ١٨٨٠)(٤٤) وقد كتب طنطاوى فيما بعد تعليقات على تعليقاته(٤٥). والراجح أن علاقته بطنطاوى كانت وثيقة؛ إذ إن أسرته لا تحتفظ فقط بمخطوط طنطاوى، بل بذكريات عنه(٤٦).

ونرى عددًا كبيرًا بين زملاء الطنطاوى تركوا أثرًا واضحًا فى حياة وطنهم الثقافية؛ فلدينا معلومات يسيرة عن بعضهم كمحمد الأشمونى(٤٧) مثلاً، ولكن الآخرين يستحقون ألا نغفل الإشارة إليهم. ويحتل المكان الأول بينهم إبراهيم الدسوقى [١٠] (١٨١١ - ١٨٨٣)(٤٨) الذى كانت علاقته بالأزهر أوهى من علاقات غيره؛ لأن عمله كان منحصرًا فى ميدانى التعليم فى المدارس (الفنية) التى كانت تديرها الدولة أو فى تصحيح مسودات الطبع العلمية فى مطبعة بولاق الشهيرة. وقد كانت له صلة وثيقة بعلماء أوربيين ممن تركوا أثرًا مرموقًا فى العلوم. فقد كان المعلم الرئيسى للمستشرق لاين Lane [١١] ومساعده فى وضع معجمه المهم (٤٩). وقد ترك لنا وصف تعارفه بالمستعرب الإنجليزى الشهير

---

(٤٤) على مبارك، الخطط الجديدة Brockelmann II, 490, N. 3-118. XII.

(٤٥) الزهراء، ١، ٤٢٤ رقم ١. قابل تيمور R A A, IV, 388.

(٤٦) إن المصدر الأساسى لمقالة تيمور ومجلة الزهراء كانت معلومات عبد المعطى السقاء الذى قد يكون ابن معلم الطنطاوى أو حفيده، انظر RA A, IV, 1924, 387 والزهراء ١، ٤٢٠-٤٢١.

(٤٧) الزهراء ١، ٤٢١.

(٤٨) Brockelmann G A L, II, 47, 4; Goldziher, Enzykl. s. Islâm I, 966.

(٤٩) Stanley Lane Poole, Life of Edward William Lane, London, 1877, 177-118, Brockelmann, I.C., Tallqvist' XLIV; Elmgren, I 339.

بصورة حية(٥٠). وكذلك درس عليه Kremer حين إقامته فى مصر، وشهد له بأنه «أكبر عارفى اللغة العربية بين معاصريه» وقد دهش من حفظه عدة مصنفات من الآداب العربية القديمة(٥١). وبين تلاميذ الدسوقى كان ديتريتشى Dieterici(٥٢) والسياسى الروسى تيموفييف(٥٣). ولم يقطع طنطاوى علاقته بصديقه القديم الدسوقى حتى بعد رحيله إلى روسيا، فترى فى كتابه الذى وضعه لتعليم اللغة العربية بعض رسائل الدسوقى كأنموذج للمراسلات فى ذلك الحين(٥٤). وحمل Wallin عندما سافر إلى الشرق رسالة(٥٥) من طنطاوى إليه سنة ١٨٤٤ والتقى به كثيراً ومدح أخلاقه كل المدح(٥٦).

وفيما يظهر لم يترك الدسوقى أثراً كبيراً فى حياة مصر الاجتماعية والأدبية، بخلاف غيره من أصدقاء الطنطاوى، كرفاعة الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣)(٥٧) الذى يعد بحق أحد أركان النهضة. ولم يكن الفرق

---

(٥٠) الوصف حفظه علىّ مبارك فى الخطط الجديدة XI ١٠ ـ ١٢، وهو من أهم المصادر لتاريخ حياة Lane (قابل Goldziher Ic).

(٥١) Aegypten, II, 1863, 325.

(٥٢) Tallqvist XLIV.

(٥٣) Elmgren, I, 346, 381.

(٥٤) (من الدسوقى ١ رمضان سنة ١٢٥٧، ١٧ اكتوبر ١٨٤١) Traitè, 156.

(٥٥) Elmgreen, I, 260.

(٥٦) الشيخ لطيف ورجل طيب ويشبه نوعاً ما طنطاوى وليس «متعصباً» Elmgren I, 292 كما يقول عن نفسه. وهذه شهادة رجل صارم Wallin اتيت بها لأخفف من حدة شهادة Stanley Lane Poole 118 الذى يقول عنه .ill-tempered and avaricious (Life of E. W. Lane 118)

(٥٧) Kremer, Aegypten, II, 326-327; Brockelmann, n. 481, N. 6. Cheikho, II, 8-9; Gibb Studies in Contemporary Arabic Literature, Bulletin of the School of Oriental Studies, IV, 748;

زيدان تراجم مشاهير الشرق ٢٢ - ٢٦؛ طرازى تاريخ الصحافة العربية I ٩٢ - ٩٦.

بينهما فى السن عقبة تحول دون صداقتهما المتينة، فطهطاوى الذى كان يكبر الطنطاوى بعشر سنوات كان رئيساً لأول بعثة للدراسة إلى باريس، حيث بقى ست سنوات، وترك بعده مؤلفًا طريفًا يصف فيه حياته فى «عاصمة العالم» وقد تذكر الطنطاوى مصير صديقه الطهطاوى خصوصًا عندما غدا هو نفسه فى الشمال، ولعله كتب «وصف روسيا» تحت تأثير مؤلفه، فنرى فى إحدى رسائله ذكر بعض صور باريس مرسومة بيد رفيقه،(٥٨) كما تذكر الطنطاوى رفيقه فى المدرسة: محمد قطة العدوى [١٢] حينما وجد مخطوطه فى الشمال النائى بعد وصوله إلى بطرسبرج(٥٩) وكان محمد قطة العدوى قد صنف كتاب العروض بطلب من طنطاوى(٦٠)، ودامت المراسلة بينهما حتى بعد رحيل الطنطاوى إلى روسيا(٦١)، وكان فالن Wallen خلال إقامته فى مصر يلتقى به وكذلك بأكثر أصدقاء معلمه،(٦٢) ولم يحز محمد قطة إعجاب فالن Wallin «بسبب تصرفه النصف أوروبى الطائش وبأدبه المصطنع»(٦٣).

---

(٥٨) Traité 168-170.

(٥٩) المواد رقم ٢٧.

(٦٠) الزهراء I ٤٢٦ رقم ١٠١٤ انظر المؤلف رقم ١٦.

(٦١) تحرير قطة ٤ المحرم ١٢٥٩-٤ فبراير ١٨٤٣ وتحرير من الطنطاوى Traité 154-156 (هناك ١٦٤) مرسل فى وقت واحد إلى الدسوقى وقطة. وربما لأن الأخير كان يعمل فى مطبعة بولاق (الزهراء ١، ٤٢١) وفى هذه الرسالة يتحدث عن أن نهر نفا لم يجمد لأول ديسمبر، وأن القيصر نقولا الأول أمر بوضع مشروع لبناء جسر دائم عبر النهر، حسب قول الطنطاوى فى موضع آخر (وصف روسيا ٦٣ - ٦٤) أن هذا حدث سنة ١٨٤١. فالتحرير إذن مكتوب قبل ٨ ديسمبر عندما جمد النهر.

(٦٢) وفى مكان آخر (Elmgren I, 293) يقول إن قطة كان معلم طنطاوى وهذا أمر ممكن.

(٦٣) Elmgren I, 293 - 294 قابل II 18; III, 61.

لم يتمكن طنطاوى من إنهاء علومه فى الأزهر فى هذا الوسط الطيب، إذ إن أباه توفى فى السنة الخامسة خلال إقامته فى القاهرة سنة ١٢٤٣هـ ـ ١٨٢٧م فتضعضعت أحوال الأسرة المالية، حينئذ اضطر طنطاوى أن يترك الدراسة المنتظمة مدة سنتين لكسب وسائل معيشته. فكان يقضى أكثر أوقاته فى طنطا يزاول التدريس حينًا، والدراسة حينًا آخر،[٦٤] وفى ذلك الحين كان أحد معلميه مصطفى القناوى شيخ المسجد البدوى فى طنطا. والأرجح أنه كان فى هذا الوقت (١٨٢٨) قد بلغ من العمر أرذله؛ إذ إنه فى الوثيقة التى سيأتى الكلام عنها يذكر أحد شيوخه محمد الزبيدى صاحب القاموس المشهور «تاج العروس» الذى توفى سنة ١٧٩١[٦٥]. وباسم مصطفى القناوى ترتبط وثيقة كان لها أهمية فى تاريخ حياة الطنطاوى فى ذلك العهد، وهى إجازة للتدريس أجازه بها القناوى فى ٢٠ من المحرم سنة ١٢٤٤ (٣ أغسطس ١٨٢٨)[٦٦]. وهذه الوثيقة مهمة؛ لأنها تمكننا من الحكم على درجة معارف الشاب طنطاوى، الذى كان له من العمر إذ ذاك ثمانى عشرة سنة، وعلى المؤلفات التى كانت واجبة التدريس فى ذلك الحين. وقد أعطت إجازة لطنطاوى فى تدريس الحديث: البخارى، والنسائى، والترمذى، وأبو داود، ومسلم، وابن ماجة؛ أعنى كتب الحديث النبوى الستة وكذلك موطأ مالك [١٢].

وتنتسب أول مولفات طنطاوى إلى هذه السنوات العصيبة، فمخطوطاته المحفوظة تمكننا من الاطلاع على آلامه وظروفه

(٦٤) تاريخ حياته صفحة ٥٢ - سطر ١٤-٧.

(٦٥) Brockelmann II, 287 ult.

(٦٦) هذه الوثيقة محفوظة عند أسرة السقا المذكورة آنفًا . وقد نشرت فى الزهراء ١، ٤٢٠.

القاسية(٦٧). وقد ابتدأ بالتدريس فى الأزهر عندما كان حديث السن، ولعله كان فى البدء يعمل بصفة معاون فقط، وهذا يفسر لنا أن اهتمامه كان موجهًا إلى النحو والعروض. نعم كان طنطاوى يقرأ تفسير القرآن والمنطق اللذين كانا - حسب رأى الأزهر - فى ذلك الحين أكثر ضرورة. ولكن الطنطاوى رفض تدريس الفقه «حتى إن الأكثرية من عامة أهل الأزهر ظنوا أنى لا أعرفه ولقد كانوا على حق لأنى بترك مزاولته ضيعته»(٦٨) ولا يخلو طبعًا هذا الكلام من بعض المبالغة، إذ إن لطنطاوى بعض مؤلفات فى الفقه تنتسب فى ذلك الوقت(٦٩) إلى الأدب. ومما لاشك فيه أن اهتمامه لم يكن موجهًا للفقه بل لعلوم اللغة وآدابها، مما يظهر بوضوح من أعماله بعد سفره إلى روسيا. ولكنه منذ بدأ تدريسه فى الأزهر أخذ يعطى دروسًا فى الشرح والتعليق على كتب الشعر والأدب(٧٠). ويظهر أنه كان الأول تقريبًا فى هذا الميدان؛ فيقول عندما يتكلم عن المقامات والمعلقات: «وما علمت أحدًا قبلى قرأهما فيه». ويُستثنى من ذلك البردتان(*)[١٤] وهما قصيدتان فى مدح الرسول محمد إحداهما لكعب بن زهير، والأخرى للبوصيرى(٧١). فلما استمر فى شرحهما ابتدأ بشرح مقامات الحريرى والتعليق على شرح الزوزنى للمعلقات. ونرى آثار أعماله هذه فى مخطوطاته كما هى العادة(٧٢).

(٦٧) انظر المواد رقم ٢٥ ورقة ١ (يوليو ١٨٢٩) ورقم ٣٥ ورقة ٦٦ (يونيو ١٨٣٠).

(٦٨) تاريخ حياته ص ٥٢ س ١٢ - ١٤.

(٦٩) المواد رقم ٣٥ .

(٧٠) يتكلم طنطاوى نفسه عن هذا فى تاريخ حياته؛ حيث يتحدث عن المقامة والمعلقات فيقول: وما علمت أحدًا قبل قراهما فيه. تاريخ حياته ص ٥٢ س ٦.

(*) لا محل هنا للاستثناء لأن قصيدة كعب بن زهير وبردة البوصيرى ليستا من المعلقات ولا المقامات - (المراجعان).

(٧١) تاريخ حياته، ص ٥٣، س ٧.

(٧٢) انظر التعليق على المعلقات فى المواد رقم ٢٣، المقامات رقم ٤٧ .

ولا ندرى هل كان تدريس طنطاوى فى الأزهر متصلاً دون انقطاع، لأننا لا نظن أن الأمراض كانت تعوقه عن العمل مدة طويلة. غير أنه يذكر أنه كاد يكون فريسة الوباء الذى تفشى فى القاهرة سنة ١٢٥٢هـ، وكانت حالته خطيرة جداً حتى شاع خبر وفاته فى المدينة(٧٣). فإذا حسبنا، كما يستنتج من تاريخ حياته، أنه بدأ يدرس فى الأزهر فى العشرين من عمره فيكون زمن عمله هناك لا يزيد على عشر سنوات؛ وهذا زمن ليس بالطويل. وعلى الرغم من هذا فلدينا معلومات عن بعض تلاميذه الذين تركوا أثراً فى الآداب العربية والمجتمع. ويحتل المقام الأول بينهم السورى الأصل الشيخ يوسف الأسير (١٨١٥ ـ ١٨٨٩)(٧٤) الذى قضى فى الأزهر سبع سنوات، وتتلمذ على يد الطنطاوى. ومما يثبت استمرار علاقتهما فيما بعد قصيدة مدح نظمها الطنطاوى بعد وصوله إلى بطرسبرج(٧٥). وقد أرسل الشيخ إليه عدة أشعار خلال سفره إلى روسيا(٧٦). والأسير كان فيما بعد مدرساً ومن رجال القضاء فى

(٧٣) «وصف روسيا» يشير طنطاوى إلى سنة ١٢٥٢ التى تبتدئ فى ١٨ أبريل ١٨٣٦: يظهر أن الكلام يجرى عن الوباء العصيب الذى ابتدأ سنة ١٨٣٥. كيف أثر هذا الوباء فى الأهالى؟ نقرأ فى يوميات لاين E.W. Lane الذى انتقل إلى الصعيد فراراً من الوباء Stanley Lane Pool, The life, 75 89, 82، ويذكر كذلك النصولى هذا الوباء فى أسباب النهضة العربية فى القرن التاسع عشر. بيروت ١٩٢٦، ٢٣ (فى هذا الزمن كثيراً ما كان الطاعون يزور مصر، ولكى نتصور قوة الوباء يكفى أن نعلم أنه كان يموت يومياً فى القاهرة نحو ألفى نفس (المقتطف نوفمبر ١٩٢٨، ٢٨٣).

(٧٤) زيدان تراجم مشاهير الشرق ٢ II، ١٦٤-١٦٥ شيخو، II، ٧٥-٧٧ طرازى I، ١٢٥-١٢٨. Hartmann, Das . arabische I. Das Muuwassah, Weimar, 1897, 64, N 87.

(٧٥) زيدان op. cit. ١٦٤ ربما كان هذا الأسير «يوسف الأسير» الذى أرسل تحريراً للشيخ (١٢٥٧، ١٨٤١) والمنشور فى Traité ١٥٨. وربما هو ذلك الشخص الذى نسخ المخطوط لمعلمه. (انظر المواد نمرة ٤٢).

(٧٦) وصف روسيا س ٧٠.

إسطنبول، ومختلف بلدان سورية، وخصوصًا فى بيروت حيث اشترك مع بطرس البستانى فى أعماله الأدبية والاجتماعية. وكان يوسف الأسير فى بيروت معلمًا للسياسى الشاب هرثمان[٧٧] الذى غدا فيما بعد مستشرقًا مشهورًا مطلعًا على الآداب العربية العصرية. وكان لطنطاوى تلميذ آخر عرفناه من رسائل محمد قطة العدوى الذى كان يبعث فى رسائله بسلامه إلى الشيخ وهو فى بطرسبرج[٧٨] وهو إبراهيم مرزوق [١٥] (١٨١٧ - ١٨٦٦)[٧٩]. الذى نصادفه فى تاريخ الأدب شاعرًا مشهورًا، وكان لمرزوق أمثال لافونتين[٨٠].

ومن البدهى أن يكون لطنطاوى تلاميذ آخرون فى الأزهر. فإن فالن التقى فى مدينة معان سنة ١٨٤٥ بفقيه شاب كان من تلاميذ الشيخ[٨١]. ويمكننا أن نعد ـ كما رأينا سابقًا ـ عبد الهادى نجا الإبيارى فى عداد تلاميذه. وربما كان كذلك عبد السلام الحلبى المحفوظة رسالته والرد عليها بين أوراق طنطاوى[٨٢]. على أن التدريس فى الأزهر لم يكن يكفل الكسب الكافى لأهله، لذلك نرى أن طنطاوى كان كغيره يبحث عن عمل ثان. وكان أنسب عمل للإنسان المتخرج فى الأدب فى ذلك الوقت عمل محرر أو مصحح لمسودات الطبع فى المطابع. ففى العقد الثالث من القرن التاسع عشر ـ عندما توطد عمل المطابع فى مصر ـ بدت حاجة

(٧٧) طرازى op. cit ١٢٨.
(٧٨) Traité, 158.
(٧٩) شيخو ١-٨٧-٨٨.
(٨٠) Aegypten. II, 329.
(٨١) Elmgren, III 145.
(٨٢) (التحرير بتاريخ ٣٠ من ذى الحجة ١٢٥٧-١٢ يناير ١٨٤٢). الجواب بلا تاريخ Traité 158-162-166-168.

ملحة لمثل هذه الأعمال وخاصة فى المطابع التى تطورت أعمالها بمساعدة الحكومة واهتمامها. وقد كان أناس ذوو شهرة أدبية محررين ومستخدمين فى جريدة «الوقائع المصرية» كالشيخ حسن العطار أستاذ الطنطاوى، وصديقه رفاعة الطهطاوى، والشاعر شهاب الدين [١٦] (١٧٨٦ ـ ١٨٧٥)[٨٣]. وفوق العناية بالمطابع بدت طلائع نهضة فى فن الترجمة بعناية الحكومة، وخصوصًا كتب التدريس والعلم. وفى المقام الأول: كتب الطب والحساب والعلوم الرياضية. ولم يهملوا غيرها ككتب الجغرافية والاقتصاد السياسى والفنون العسكرية وغيرها. ونظرًا لقلة من كان يعرف اللغات الأجنبية فى ذلك الحين فقد كان سير الترجمة معقدًا جدًا. فكان من يعرف اللغة الأجنبية لا يتقن العربية الفصحى إلا نادرًا؛ لذلك كان المترجم يقدم مسودة ترجمته إلى من يعرف اللغة الفصحى، وهذا بدوره يحرر هذه الترجمة[٨٤] ويصححها. ولم يكن طنطاوى يعرف لغة أجنبية ليكون مترجمًا، إلا أنه كان فى إمكانه أن يكون محررًا ومصححًا. وقد كان لائقًا جدًا لهذا العمل الذى كانت له صفة حكومية (خدمة الباشا كما كانوا يسمونها)؛ وما كان يجوز الجمع بينها وبين التدريس فى الأزهر، الذى كان يقدره الطنطاوى حق قدره[٨٥]. وكان

---

(٨٣) إن تاريخ حياته ووفاته يختلف فى مصادر مختلفة:

زيدان تاريخ آداب اللغة العربية: IV 235-238.

Kermer, Aegypten, II, 294-304' Brockelmann, Ii, 474, N 4, Cheikho II, 84-86.

وعن العلاقات الودية بينه وبين طنطاوى تتحدث قصة زيارة طنطاوى مع فرينل Fresnel لشاعر القاهرة الأول Traité, VI.

وكان يلتقى به Wallin الذى وصفه «بالشاعر الحقيقى» وأنه يحب العرق ويهوى الغلمان Elmgren II, 171, op. 185, 206.

(٨٤) زيدان تاريخ آداب اللغة العربية 204-208 ,IV.

(٨٥) تاريخ حياته ص ٥٤، س ١٧، ص ٥٥، س ١.

هناك سبب آخر جعله يرفض هذا العمل، وهو على حسب قوله: إن المترجم كان يعبر عن أفكاره بصورة يمكن فهمها بعد عناء كبير، وهو معتز بنفسه مفتخر جدًا متغطرس[٨٦]. فبقطع النظر عن دعوته إلى هذا العمل عدة مرات رفض الدعوة، على خلاف الكثيرين من زملائه، ويقول عن نفسه: «إنى آثرت تعليم الفرنج على خدمة الدولة، مع أنى دعيت إليها كثيرًا لأنها تمنعنى من الأزهر». لذلك نراه يدرس العربية مدة فى المدرسة الإنكليزية فى القاهرة. وبعد مدة قصيرة اتسعت حلقة تلاميذه اتساعًا غيّر مجرى حياته فى المستقبل.

لقد جذبت مشروعات محمد علىّ فى مصر كثيرًا من الأجانب الذين عملوا فى وظائف خاصة مختلفة، وكان فى الجالية الأوروبية فى القاهرة كثير من المهندسين والعسكريين، إلى جانب السياسيين. وقد اهتم عدد غير يسير منهم بمكان عملهم الجديد اهتمامًا بالغًا، وتركوا أثرًا كبيرًا فى الاستشراق مع أنهم لم يكونوا مستشرقين.

لقد كان الطنطاوى فى هذا الوقت مشهورًا كعارف باللغة العربية الفصحى، فاجتذبته هذه البيئة الطارئة، وكان الدور الذى لعبته بين فئة من هؤلاء الأوربيين أهم من دور إبراهيم الدسوقى معلم لين، وكريمر [١٧] وديتريشى [١٨] Lane, Kremer , Dieterici، ومن جهة أخرى كان تعارفه بهم عاملاً حاسمًا فى حياته طبع أعماله بطابع خاص ووجهه أخيرًا إلى الشمال، إذ إن رحيله إلى روسيا لم يكن إلا نتيجة مباشرة لتعرفه بالعلماء الأوربيين الشبان، الذين كانوا يعملون فى مصر، وكان أولهم Fresnel ١٧٩٥ - ١٨٥٥، الذى غدا فيما بعد قنصلاً فى جدة

(٨٦) تاريخ حياته ص ٥٥، س ١-٤.

والموصل وتوفى فى بغداد لإدمانه على تعاطى الأفيون[٨٧]. وهو صاحب «الرسائل فى تاريخ العرب قبل الإسلام» التى لا تزال حتى الآن محتفظة بأهميتها[٨٨] كان التأثير بين الطنطاوى وفرنيل Fresnel متبادلاً، ويعترف الأول بفضل الثانى عليه فى «تاريخ حياته». ويظهر أن استعداد Fresnel لتعاطى العلوم، وأسلوبه الأوروبى فى الدراسة، ومطالبه أدهشت الشيخ الطنطاوى فى بدء تعارفهما، فقال عنه: «إن حبه للغة العربية كان كامنًا فى طبيعته. وقد كان دائمًا يحثنى على العمل، وبفضله رسخت قدمى فى علوم الآداب، لأننى قرأت كثيرًا معه. وهو إنسان مدقق رفيع الذوق له ملاحظات قيمة وأفكار طيبة..»[٨٩] ولفرنيل Fernel الفضل على طنطاوى فى دراسة اللغة الفرنسية، لأنه كان أول من أعطاه فكرة عنها، وكان معلمه. وقد أسف جد الأسف لأن ضيق الوقت لم يسمح له بإتقانها. وقبل سفره إلى روسيا شعر بأن بدء اطلاعه على الثقافة الأوروبية كان نافعًا له ومهمًا. ويختم الطنطاوى ذكرياته عن فرنيل Fresnel بهذه العبارة «وبإجمال أشعر بأنه لا يمكننى أن أفيه دينه»[٩٠] ويبدو أن العالم

---

(٨٧) المقالة عن سيرة حياته ووصف شخصيته العبقرية غير المتزنة .J.A الحلقة ٥ المجلد VIII سنة ١٨٥٦، ص ١٢-٢٢: معجم بروكغاوز - إفرون XXXVI 1902, 730

(٨٨) إن دراسة Fresnel للهجة احكيلى هى للآن مع الأسف المواد الوحيدة القيمة فى دراسات اللهجات العربية مما يظهر من مقالة يوتسمانوف غير المطبوعة للآن. انظر مقالته

"La correspondance du D'âd arabe au Aan aram en." D A N B Mahra; Enzyclopaedie

فى مقاله J. Tkatschâ وملاحظات.1926, 42-43 .

(٨٩) تاريخ حياته ص ٥٢ س ١٩ و ص ٥٤ س ٤.

(٩٠) تاريخ حياته ص ٥٤ س ٨ ـ ٩.

الفرنسى الذى كان يكبر معلمه بخمسة عشر عامًا كان يكن للشيخ المصرى عواطف الشكر التى كان هو بدوره يكنها له.

وفد Fresnel إلى القاهرة كهلاً سنة ١٨٣١ وبسرعة برز بين الأوروبيين الذين كانوا يدرسون العالم العربى باهتمام. وتمكن من الاتصال بالمستشرق لاين Lane الذى كان يتجنب الأوروبيين إجمالاً[٩١]، وكثيرًا ما كان يزوره[٩٢]. وقد أشار عليه بأن يتخذ الدسوقى معاونًا له[٩٣]. ويذكر الدسوقى دائمًا نكتة عنه، وهى أنه كان يقابل وزن اسمه باسم الفرزدق الشاعر العربى الشهير[٩٤]. ورافق الحظ Fresnel إذ وجد فى شخص الطنطاوى - البالغ إذ ذاك من العمر اثنين وعشرين عامًا - واحدًا من أكثر العلماء معرفة فى مصر:

un des hommes les plus savants de l'Egypte.

وكانت دراستهما تشمل[٩٥] - ما عدا اللغة العربية - كتب الأدب. فقد ذكر الطنطاوى فى تاريخ حياته أنه قرأ معه ديوان الشنفرى، وأيام العرب[٩٦]؛ تلك المؤلفات التى ارتبطت بها أول مؤلفات Fresnel العلمية. فبعد دراسة اللغة العربية خلال سنتين مع الطنطاوى[٩٧]، والقيام بأبحاث مدة عشر سنوات، عزم على طبع مؤلفه، وهو ترجمة جديدة

---

(٩١) انظر شهادة Elmgren, I, 339 عن Wallin.

(٩٢) Stanley Lane Poole 113, 115, 117, 119.

(٩٣) المصدر السابق ١١٧.

(٩٤) على مبارك الخطط الجديدة XI, 10 (المعروف بمسيو فرنيل الذى طالما كان يتشدق بقوله إن اسمه على وزن دق).

(٩٥) VIII, 1850, 13 مجلد، حلقة J. A. V.

(٩٦) تاريخ حياته ص ٥٤، س ٥-٦.

(٩٧) VIII, 1856, 14 مجلد، حلقة ٥، J. A.

لشعر الشنفرى[٩٨]. ويكتب فى هذه الترجمة[٩٩] وفى الرسائل عن تاريخ العرب قبل الإسلام «أنه مدين لطنطاوى[١٠٠]، وأن هذا الأخير هو الشيخ المصرى الوحيد فى هذا الوقت الذى يدرس لغته بمحبة واهتمام، ويدرس كتب الآداب العربية القديمة»[١٠١] ويظهر أن مشروعاتهما العلمية كانت واسعة، فإن كتابات Fresnel المنشورة فى المجلة الآسيوية، تجعلنا نظن أنه كان قد عقد العزم على طبع «كتاب الأغانى»[١٠٢]. وكان دائمًا يزيد هذه العبارة «إن حفظ الله حياة شيخنا محمد»، ولم يتحقق هذا المشروع لأن الطالب أولاً - ومن بعده المعلم - غادرا مصر وافترقا إلى جهات العالم المختلفة. إلا أن المراسلة الودية بينهما لم تنقطع، وكانت - على ما يظهر - باللغة العربية - وقد قدم الطنطاوى إحدى رسائل Fresnel بتاريخ ٧ يوليو سنة ١٨٣٩ منقولة إلى اللغة الروسية، لنشرها فى مجلة روسية[١٠٣]، كما ذكر فى مؤلفه «وصف روسيا» نتفًا من رسائل Fresnel إليه على عنوانه بمدينة بطرسبرج يتكلم فيها عن الرسم

---

(٩٨) J.A., XIV, 1834, 251.

(٩٩) مغفل ولكن فى صفحة ٢٥٢ يذكر اسم الشيخ. JA, XIV 1834, 251.

(١٠٠) Troisiéme lettre sur l'histiore des Arabes avant l'Islamisme (Le Caire, août 1837) J A ٣ مجلد ٥، حلقة 1838, 60, 62, 63, 64

(١٠١) هناك ٦٣.

(١٠٢) وبهذه المناسبة ربما يوجد مخطوط «كتاب الأغانى» بين مخطوطات الطنطاوى (المواد رقم ٢٠٥). وتوجد بعض قطع منقولة بيده (المواد رقم ٦، الورقة ٢١-٤٠).

(١٠٣) رسالة فرنيل للشيخ محمد عياد ترجمة برتسوف من العربية (ماياك ١٨٤٢ المجلد ٩ و١١٣ - ١١٤) وكان الاهتمام بفرينل فى روسيا قبل وفود الطنطاوى إلى روسيا. نشرت «قطعة من تحرير فرينل من جدة إلى البحر الأسود ١٨٣٨» فى «سيفرنيا بتشيلا» ١٨٣٩ رقم ٤٠، ٢١ فبراير ولم يذكر المصدر واسم المترجم ولكن يظهر من الحواشى أن المترجم كان مطلعًا على أبحاث فرنيل.

والفن[١٠٤]. ولعل Wallin ـ بمشورة من الطنطاوى ـ استغل وجود Fresnel فى مصر فى أوائل سنة ١٨٤٥ فى طريقه من جدة إلى أوروبا، واستشاره بمناسبة سفره إلى الجزيرة العربية، وقدر معرفته بالظروف المحلية حق قدرها، إلا أنه لم يتمالك من إظهار عدم رضاه بدرجة معرفة Fresnel اللغة العربية، فكتب يقول:[١٠٥] هو يتكلم العربية ويلفظها أحسن من أى أوروبى سمعته ، إلا أنه لم يتقنها بالدرجة التى كنت انتظرها من عالم قضى فى البلاد العربية اثنتى عشرة سنة ينشغل بدراسة اللغة فقط. فهو لا يتصنع فى اللفظ فحسب بل وفى انتقاء العبارات، ويظهر لى أن لفظه متكلف وليس طبيعيًا[١٠٦]. يجب ألا نرى فى شهادة Fresnel لطنطاوى مبالغة، فهو الذى قد أذاع صيته فى أوروبا.

إن الإعجاب بالشيخ محمد الطنطاوى كان يتملك كل من كان يلتقى به من الواقفين على حقائق الأمور والظروف. وقد شهد له نفس الشهادة العالم Lane (١٨٠١ ـ ١٨٧٦) الذى كان أكثر رصانة وتدقيقًا من Fresnel، وعندما نقل «ألف ليلة وليلة» إلى الإنجليزية نقلها عن نسخة صححها وعلق عليها الشيخ الطنطاوى الذى «يمكن أن نسميه بلا تردد: أول عالم لغوى فى أول مدرسة عربية فى أيامنا[١٠٧].

---

(١٠٤) تاريخ حياته عن الرسم ٢٠، ٢١ وعن الموسيقى ١٧٦ - ١٧٧.

(١٠٥) وهناك وصف فرنيل إجمالاً قابل Elmgren, III, 20-21. III -33-43, 38, 47, 48.

(١٠٦) يجب ألا ننسى صرامة شهادة Wallin عن معرفة الأوربيين اللغة العربية.

(١٠٧) (طبع E. W. Lane, The thousand and one nights I. London, 1839, XVL (XII, I. 1839 XVI by a person whom I think I may safely pronounce the first philologist of the first Arab college, of the present day the sheykh Mohammed Eiyàd El-Tantawee cr, more properly Et-Tanditaee"

يخطئ كاتب تاريخ حياة Lane عندما يقول إن التعارف مع طنطاوى جرى سنة ١٨٤٧ فإن طنطاوى لم يكن فى هذا الوقت فى مصر.

وبعد أن سافر Fresnel فنصلاً إلى جدة خلفه بيرون Perron فى مسألة إعداد كتاب «الأغانى» للطبع. وبيرن Perron [١٩] هذا هو طبيب مستشرق اشتهر فيما بعد (ت فى ١١ يناير سنة ١٨٧٦)(١٠٨) وترك فى آداب الاستشراق أثرًا لا يقل عن أثر سلفه الذى درس على الطنطاوى(١٠٩) وقد كان طبيبًا فى مستشفى قصر العينى الكبير، ومع ذلك تمكن من دراسة الاستشراق. وكان مزمعًا - على حسب ما ظنه فرنيل - الاستمرار فى إعداد كتاب «الأغانى» للطبع.

ويقول الطنطاوى فى تاريخ حياته: إنه قرأ معه ما عدا كتاب «الأغانى» كتاب «العقد الفريد».(١١٠) وربما كانت مواد هذه الكتب أساسًا لمؤلفه الكبير عن نساء العرب. ونجد فى مخطوطات الطنطاوى أثرًا لاهتمامه بهذه المؤلفات(١١١). وأحد مؤلفات بيرون Perron بالعربية عن علم الخيل وأنسابها مبنى مباشرة على المعلومات التى جمعها الطنطاوى(١١٢). وكانت العلاقة بين التلميذ ومعلمه كعلاقة طنطاوى مع جميع المستشرقين الأوروبيين المعروفين لدينا، فبعد ثلاث سنوات من مغادرته القاهرة كتب Perron عنه مميزًا إياه بين بقية العلماء المحليين كشيخ - فى الحق - ممتاز واسع المعرفة:

Schaych vraiment remarquable et instruit

---

(١٠٨) 26 - 1876, 28 مجلد VII حلقة J A, 7.

(١٠٩) وفى قائمة Tallqvist خلطه بالدكتور السويدى Elmgren, III, 36, Perron.

(١١٠) تاريخ حياته ص ٥٤، س ١٤-١٥.

(١١١) توجد قطع منقولة من هذا الكتاب بين المواد رقم ٦ ورقة ١-١٢.

(١١٢) انظر الفصل عن مؤلفات طنطاوى رقم ٢٢.

واستمر Perron بعد سفر الطنطاوى[١١٣]. فى دراسة اللغة العربية، وصار معلمه الشيخ الشهير الرحالة محمد التونسى [٢٠] (١٧٩٠-١٨٥٧)[١١٤] الذى كان مدرسًا لكريمر Kremer. والتقى Wallin بالمستشرق بيرون عند التونسى فى القاهرة سنة ١٨٤٥[١١٥] وقد شهد له بمعرفة اللغة وسهولة اللفظ فقال: وبالإجمال لا أكاد أسمع أحدًا يحسن التكلم بالعربية مثل Perron فهو ينتقى العبارات ويلفظها بكل سهولة[١١٦].

ولم ينحصر قوام تلاميذ الطنطاوى بالفرنسيين فقط، فنرى «فى تاريخ حياته» أنه درس عليه ألمان أيضًا[١١٧]. فيذكر Weil (١٨٠٨ - ١٨٨٩) الذى اشتهر فيما بعد كمؤرخ الخلافة وكان مراسلاً لـ "Augsburger Zeitung" ومعلمًا بسيطًا للغات الأجنبية فى القاهرة[١١٨]. وقد قضى أربع سنوات فى القاهرة ودرس على الشيخ الطنطاوى فى وقت واحد مع فرنيل Fresnel فحظى سنة ١٨٣٧ بوظيفة أمين المكتبة، ثم مساعد أستاذ فى جامعة هيدلبرج. ولا عجب أن نرى أثر دراسته على الشيخ الذى كان يميل على حسب شهادة Fresnel, Perron إلى هذا النوع من الأدب، ويحتوى كتاب «فيل» على محاضرة تجريبية فى موضوع حددته الكلية[١١٩] وكذلك على ترجمة الشاعر

---

(١١٣) رسالة إلى J. Mohl بتاريخ ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٤٢ فى J. A. 4 مجلد II حلقة 1843, g.

(١١٤) زيدان «تاريخ آداب اللغة العربية» ٤، ٢٠٦-٢٠٤. Kremer, Aegypten II, 324-325.

Brockelmann, II, 491, NI.

(١١٥) Elmgren, III, 36-38.

(١١٦) Elmgren, III, 37.

(١١٧) تاريخ حياته ص ٥٤ س ١١٠.

(١١٨) G. Dugat, Histoire des Orientalistes de l'Europe, I, Paris 1868, 43.

(١١٩) Op. cit., V.

الشنفرى[١٢٠] الذى درسه الطنطاوى درسًا عميقًا، كما نجد فيه شواهد من رسائل Fresnel[١٢١] وحتى على عزم المؤلف وضع الحركات على النص[١٢٢] Wietich von meinem Lehrer in Kahira aussprechen horte.

وبعدما سافر فرينل Fresnel إلى الجزيرة العربية، كان يرسل تحياته للدكتوراين پرون، وبرونر[١٢٣]، كما نراه مطبوعًا فى الترجمة الروسية لرسائله[١٢٤].

وكان يعنى بالاسم الأخير: Pruner العالم الألمانى الثانى من تلاميذ طنطاوى ويذكره الطنطاوى فى «تاريخ حياته»[١٢٥] ويمدح أخلاقه فيقول عنه: «إن هذا الرجل طيب الأخلاق، يشفى المريض ببشره قبل أن يعالجه» ونحن نعرف عن برونر Pruner من بعض المصادر أنه كان طبيبًا أول الأمر فى «أبى زعبل» قرب القاهرة[١٢٦]، ثم انتقل إلى قصر العينى، ورافق الجيش المصرى إلى الحجاز فى حملته ضد الوهابيين[١٢٧]. وقد

(١٢٠) هناك ٩ - ١٣.

(١٢١) هناك V.

(١٢٢) هناك VIII.

(١٢٣) ماياك ١١٧، ٩، ١٨٤٢.

(١٢٤) تاريخ حياته ص ٤٥، س ١١-١٣.

(١٢٥) M. Meyerhof, A short history of Ophthalmology in Egypt during the XIX Century (reprinted from Bulletin of the ophthalmological Society of Egypt vol. XX April 1927), 41.

(١٢٦) تاريخ حياته ص ٥٤ س ١٢ يظهر أن اهتمامه الرئيسى كان بمرض العيون فى مصر. انظر Meyerhof, op. cit., 43.

(١٢٧) Elmgren, I, 320.

حصل على لقب بك، وأصبح طبيبًا فى قصر محمد على[١٢٨]. وعندما التقى به Wallin شك فى معرفته اللغة العربية والعالم العربى، فقال: أرى أن Pruner يتظاهر بمعرفة الأسلوب الشرقى، أو بالأحرى التركى[١٢٩]، أكثر من الحقيقة. سمعته اليوم يتكلم بالعربية فدهشت من أنه لم يتقن الكلام بها بعد إقامته عشر سنوات فى مصر[١٣٠] وبعد أن أقام Wallin فى مصر رجع Pruner إلى أوروبا[١٣١]. ولا نعرف عن مؤلفاته فى الاستشراق إلا القليل. وقد اقتنى مجموعة مخطوطات عربية وفارسية وتركية عددها واحد وخمسون مخطوطًا أهداها فيما بعد إلى مكتبة ميونخ، [١٣٢] وبين هذه المخطوطات مؤلفات الطنطاوى، ومخطوطات كان قد صححها هذا الأخير[١٣٣]. واستمرت العلاقة بينهما حتى بعد افتراقهما.

كانت شهرة الشيخ عياد الطنطاوى بين الجالية الأوروبية فى القاهرة كبيرة، وكان بين تلاميذه من المستشرقين الشباب سياسيان روسيان هما موخين وفرين[١٣٤] وقد تربين وتخرجا فى مدرسة واحدة، وخلف أحدهما

(١٢٨) Aumer, Die arabischen Handschriften der K. Hof-und Staats biblictak München München, 1866, VII.

(١٢٩) Elmgren I, 392.

(١٣٠) المصدر السابق ١٩١، II.

(١٣١) Aumer, op. cit., VII.

(١٣٢) المصدر السابق III و ٢٣٩.

(١٣٣) انظر المؤلف رقم ١٣ والمواد رقم ٣٧.

(١٣٤) تاريخ حياته صفحة ٥٥ سر ٥-٦.

الآخر فى الخدمة فى القاهرة[١٣٥] ويظهر أن موخين كان فى سن الطنطاوى[١٣٦] وقد تخرج فى قسم كلية التاريخ والآداب الشرقية فى جامعة بطرسبرج برتبة مرشح فى الآداب سنة ١٨٣٢[١٣٧]. وكان يسبق المستشرقين غريفورف وسافيليف بفصلين[١٣٨]. وبعد أن عمل سنة فى القسم التعليمى التابع لوزارة الخارجية، أرسلوه إلى سفارة إسطنبول لإتقان اللغتين العربية والتركية، ثم عينوه مترجمًا فى القنصلية العامة الروسية فى مصر سنة ١٨٣٥ ثم أعادوه سنة ١٨٣٧ ثانية إلى إسطنبول بصفة ترجمان رابع فى السفارة. وقد تعرف فى أثناء إقامته فى مصر بطنطاوى، وأخذ عنه دروسًا باللغة العربية وقرأ معه الشعر. وقد مدح الطنطاوى معرفة موخين للغات الأجنبية، وإليكم ما يقوله عنه فى «وصف روسيا»: «وهذا الترجمان كان صاحبى فى مصر خلال عدة أعوام، وقرأ علىّ شيئًا من المعلقات وأخبار شعرائها، وله دراية بكثير من اللغات كالفرنسية والتركية، واسمه نقولا موخين»[١٣٩]. وقد وكلوا إليه أن يصحب الطنطاوى من إسطنبول إلى بطرسبرج سنة ١٨٤٠. ويظهر أن موخين لم يترك أثرًا فى العلم، إلا أنه ينتمى إلى تلك الفئة من

---

(١٣٥) إن معلوماتى الأساسية عن الأول أخذتها من سجل خدمته (١٨٤٧) الذى أهداه إلى المرحوم مدرالفسكى، وقد سلمته إلى المتحف الآسيوى. أما معلوماتى عن الثانى فقد استقيتها من أوراق أبيه: فرين، عضو المجمع العلمى المحفوظ بعضها فى المتحف الأسيوى وبعضها فى محفوظات المجمع العلمى.

(١٣٦) يؤخذ من سجل خدمته أنه كان له ٣٧ سنة من العمر فى سنة ١٨٤٧، يعنى أنه ولد سنة ١٨١٠.

(١٣٧) انظر غريفوريف الجامعة LXXI.

(١٣٨) انظر غريفوريف حياة وأعمال سافيليف، بطرسبرج ١٨٦١، ٦٠.

(١٣٩) وصف روسيا ورقة ١٢.

السياسيين المثقفين، الذين كانوا يهتمون بالبلاد التى يرمى القدر بهم إليها، ولكنهم لم ينسوا الدوائر التى قضوا فيها شبابهم. ونرى اسمه فى قائمة الواهبين والمهتمين بزيادة مجموعات القسم التعليمى والمتحف الآسيوى[١٤٠].

اقتنى موخين خلال إقامته فى القاهرة مجموعة من الآثار المصرية القديمة لجامعة قازان[١٤١] بمشورة من فرين. وفى أرضروم اشترى مجموعة نقود[١٤٢]. ونعلم من رسائله إلى فرين أنه قام بأمور علمية كلفه القيام بها هذا الأخير[١٤٣]. وفى تاريخ حياته المكتوب مؤخرًا نقرأ أنه كان يؤدى مهامه بأمانة وجد[١٤٤].

وعندما عين قنصلاً عامًا فى أدربونيل عد من واجبه أن يعرج على موسكو لمقابلة أكبر علماء اللغات السلافية إذ ذاك: يوديانسكى، ويأخذ منه توصية ويستشيره فى عدة أمور. وكانت ذكرياته عن الطنطاوى

---

(١٤٠) انظر ذكريات غمازوف فى المقدمة Les manuscrits arabes de: V. Rosen
l'Institut des langues Orientales, St-p. 1877, II. أما النقود التى أهداها
إلى المتحف الأسيوى فى سنة ١٨٤١ و ١٨٤٢ فقد كتب فرين عنها بالتفصيل
(Das Asiatische Museum - von. B. Dorn, St-p, 1846, 95, 649-1841, 100, 663-1842).

(١٤١) تحرير من موخين لفرين فى محفوظات المتحف الأسيوى. والتحرير بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٨٤١.

(١٤٢) تحرير لفرين من تفليس بتاريخ ٢ أبريل سنة ١٨٤٧.

(١٤٣) يوجد فى المتحف الأسيوى أربع رسائل تنتسب إلى سنوات ١٨٣٩-١٨٤٧.

(١٤٤) على حسب سجل خدمته نرى أنه كان فى وظيفة الترجمان الثالث سنة ١٨٤٠، وفى وظيفة الترجمان الثانى سنة ١٨٤٣ فى السفارة فى القسطنطينية، ثم عين السكرتير الأول فى السفارة فى طهران سنة ١٨٤٧.

ومصر حديثة العهد انعكست فى حكاية نشرها بودیانسکی. وكانت حياته كحياة أكثر السياسيين غير مستقرة فى مكان واحد. فبعد إسطنبول نراه فى طهران، ثم فى البلاد السلافية، وفى سنة ١٨٥٩ عين قنصلاً عامًا فى بيروت ثم نراه سنة ١٨٧١ فى بالرمو.

ولقد خلف «فرين» خريج قسم تعليم اللغات الشرقية «موخين» فى القاهرة. وررودلف فرين هو الابن الأكبر [٢١] لمؤسس المتحف الآسيوى فى بطرسبرج ومديره مدة طويلة. ولد سنة ١٨١٢، وورث عن أبيه حبه للاستشراق. فمن سنة ١٨٣٧ نراه يهب للمتحف الآسيوى نقودًا قديمة ومخطوطات(١٤٥)، وبين هذه الأخيرة مخطوطات لم تفقد أهميتها إلى يومنا هذا(١٤٦). وفى انتقاء هذه المخطوطات يبدو اطلاعه الكبير على الآداب وربما كانت تساعده على ذلك نصائح أبيه الذى كان فى ذلك الوقت واحدًا من كبار أعلام الاستشراق فى أوروبا. أقام رودلف فرين فى القاهرة إلى بداية السنوات الأربعين عندما نقلوه إلى إيران، ومن هناك استمر فى تزويد المتحف الآسيوى بمخطوطات قيمة. ويذكره الطنطاوى فى عداد تلاميذه أسوة بموخين، ويقول: إن طلبهما كان أول دافع لسفره إلى روسيا(١٤٧)، ويؤكد هذا بودیانسکی فى روايته التى كتبها كما رواها له موخين. ودور هذين السياسيين فى هذا الأمر مفهوم كل الفهم؛ إذ إن علاقتهما بالمدرسة التى تخرجا فيها كانت

(١٤٥) القائمة ٧٥٢ Dorn, Das Asiatische Museum.

(١٤٦) مثلاً تاريخ العينى انظر: V. R Rosen. Notices sommaires 120-123, N 177. أو مروج الذهب للمسعودى (هناك 164, N 219 يتكلم عنه موخين فى رسالة إلى فرين بتاريخ ١٢ أغسطس سنة ١٨٤٠).

(١٤٧) تاريخ حياته ص ٥٥، س ٦ ـ ٧.

وثيقة جداً. فتدريس اللغة العربية من جهة ومركز فرين الحكم الأعلى فى أمور الاستشراق حينئذ فى روسيا أكسبا وصايتهما أهمية حاسمة[١٤٨].

هذه هى الخيوط الداخلية التى ربطت الطنطاوى بروسيا قبل رحيله إليها. أما المكاتبات الرسمية الخاصة بهذا الأمر فإنها جرت فى طرائق غير هذه.

كان ديمانج معلماً للغة العربية فى القسم التعليمى إلى سنة ١٨٢٩. وعندما ترك التعليم كلف وزير الخارجية - المستشار نسلرود الذى كان أحد مؤسسى هذا القسم - الدوق مديم، الذى أرسل إلى الإسكندرية بصفة قنصل عام، ليبحث عن معلم مناسب بين علماء العرب، هكذا يكتب الطنطاوى نفسه فى وصف سفره إلى روسيا[١٤٩] ويزيد على ذلك أن Fresnel عرفه بمديم حين إقامته فى القاهرة، لكن بطرس بكتى مندوب القنصلية الروسية المذكور فى الآداب العربية لعب دوراً فى جميع المكاتبات الأولية. وبكتى هذا كان رجلا فى سن السبعين، نشيطاً، بشوشاً تعرف به Wallin سنة ١٨٤٤، وفد حمل إليه رسالة من الطنطاوى[١٥٠] وقام بكتى بتدبير أعمال Wllin المالية فى أثناء إقامته فى الشرق[١٥١].

---

(١٤٨) يتكلم عن فكرة فرين هذه سافيليف فى مقالته عن الطنطاوى فى جريدة (أخبار بطرسبرج رقم ١٨٩٥ بتاريخ ٢٢ أغسطس سنة ١٨٤٠).

(١٤٩) صفحة ٨ - ٩.

(١٥٠) Tallqvist, 5z Elmgren, 1, 253

(١٥١) Elmgren, IV, 9

وبكتى من أصل لبنانى، ولد فى الجيزة[١٥٢] قرب القاهرة، وخدم عند الفرنسيين[١٥٣] فى أثناء الحملة المصرية، وقد لعب دورًا مهمًا فى الأوساط العربية، وخصه الشاعر شهاب الدين بقصيدة مدحه فيها[١٥٤]. ولم يقطع الطنطاوى صلته به حتى بعد رحيله إلى روسيا[١٥٥].

وقد استغرقت المكاتبة الرسمية الخاصة بسفر الطنطاوى إلى روسيا وقتًا ليس بقصير، لأنه كان يلزم السماح بالسفر من قبل باشا مصر محمد علىّ، ودعا هذا الأخير الطنطاوى وحثه على دراسة اللغة الروسية وإتقانها، ووعده بعطفه وعنايته به[١٥٦]. وأخيرًا تمت كل الرسميات كما هو مدون فى سجل الخدمة، ودعى الطنطاوى بإذن من القيصر سنة ١٨٤٠ من مصر لتعليم اللغة العربية وآدابها فى القسم التعليمى التابع لوزارة الخارجية.

هنا ينتهى تاريخ حياة طنطاوى المكتوب بيده، والذى يفيدنا المعلومات الحقيقية عن أول عهد حياته، ويحل محله وصف روسيا، حيث يصف رحلته من القاهرة إلى بطرسبرج بالتفصيل. فهذان المصدران: أعنى تاريخ حياة الطنطاوى، ووصفه روسيا، هما من

---

(١٥٢) Elmgren, I. 319, III, 44

(١٥٣) المصدر نفسه III, 14

(١٥٤) شيخو I, 85

(١٥٥) نشرت إحدى هذه الرسائل فى Traité163- 164 وطالما جرى الكلام فيها عن اليوبيل النضى المقبل لقران القيصر نقولا الأول، فيكون تاريخ كتابتها سنة ١٨٤٢.

(١٥٦) وصف روسيا صفحة «و».

أهم المصادر للتعرف على حياة هذا الرجل. ثم تكملهما الوثائق الرسمية فيما بعد، فهذه الوثائق كثيرة وصحيحة، لكنها جافة لخلوها من ذلك الشعور الحار الشخصى الذى يسمح لنا أن نتغلغل مباشرة فى نفسية الشيخ الفتى المصرى، وعالمه الروحانى.

ولا عجب أن يكون انتقال الشيخ إلى روسيا حدثًا مهمًا فى حياته، لأنه يقدم للمرة الأولى على سفر طويل بحرًا، ويقطع برًا روسيا من جنوبها إلى شمالها، ولم يكن قبل هذا يقطع إلا مسافات قصيرة من القاهرة إلى طنطا وضواحيها.

وقد غادر الطنطاوى القاهرة يوم السبت ٢٤ من المحرم سنة ١٢٥٦ الموافق ٢٨ من التقويم العربى و ١٦ من التقويم الشرقى سنة ١٨٤٠[١٥٧].

وكان السفر على النيل يتوقف على حالة الجو، فمر الصندل[١٥٨]. بشبرا المشهورة ببساتينها، وبزاوية رزين[١٥٩][٢٢]،

---

(١٥٧) عندما يدل طنطاوى على التاريخ الهجرى يدل كذلك على التقويم المسيحى الشرقى والغربى مثلا ٢٦، ١٤ مارس، ولكن هذه الأرقام لا توافق جدول Wüstenfela Mahler ويمكن أن نفسر هذه الأغلاط الطفيفة بأن الطنطاوى كان يكتب على حسب ذاكرته. أما التاريخ الهجرى فهو صحيح بلا شك، ويثبت ذلك يوم الأسبوع، ولكنه فى كتابة على إحدى المخطوطات يدل على ٢٣ من المحرم (انظر المواد رقم ١٨) ولأن روسيا كان فيها التقويم المسيحى شرقيًا فيشير الطنطاوى إليه وحده فيما بعد فى وصف روسيا.

(١٥٨) كلمة صندل التى يستعملها الطنطاوى قليلة الاستعمال.

(١٥٩) علىّ مبارك الخطط الجديدة XI,33 ويذكرها Lane فى رحلته سنة ١٨٢٣ Zawiyet Razeem بلفظ Stanley Lane

حيث توقف الصندل عن السفر بسبب عاصفة[١٦٠] نظم الطنطاوى فيها قصيدة بعثها لرفيقه فى رسالة له[١٦١]. ووصل إلى الإسكندرية مساء يوم الجمعة فى ٢٢ مارس[١٦٢] وقد أقفلت أبوابها، فاضطر أن يبيت خارج المدينة.

وفى الإسكندرية زار الطنطاوى «مديم» قنصل روسيا العام، وقضى عنده عدة أيام[١٦٣]، وركب الطنطاوى للمرة الأولى فى حياته باخرة نمساوية فى ٢٦ مارس، وقد أصيب خلال سفره بالبحر بدوار دام عدة أيام. وكان السفر عن طريق جزيرة كريت حيث رست الباخرة عندها فى كانه فى (٢٨ مارس؟)، وعند جزيرة سير حيث وصلت الباخرة فى (٣١ مارس؟). وبعد سفر ثلاثة أيام من جزيرة كريت تزودت الباخرة بالفحم الحجرى اللازم للوقود. وقد وصلوا إلى أزمير فى ٣ من أبريل[١٦٤]. ولم يتمكن شيخنا من التجوال فى المدينة فى

---

(١٦٠) لم تنته العواصف على النيل دائمًا بسلامة. نرى موخين يكتب لفرين (١٢ اغسطس ١٨٣٩) من بيرو بأنه فقد كتابًا خلال العاصفة

Dans Le naufrage que nous avons subi sur le Nil.

(١٦١) نرى فى تاريخ حياته جوابًا على هذه الرسالة من يوسف الصيداوى، أعنى من تلميذ الطنطاوى المعروف باسم يوسف الأسير، وكان أصله من صيدا.

(١٦٢) فى وصف الرحلة إشارة إلى اليوم فقط (4) وليس للتاريخ.

(١٦٣) يشير الطنطاوى إلى أنه قضى أسبوعًا، ولكن من سير الحوادث نرى أنه غادر الإسكندرية فى ٢٦ مارس.

(١٦٤) لا يوجد التاريخ فى وصف الرحلة ولكن نرى طنطاوى فى (المواد رقم ١٨) يقول إن أيام الحجر الصحى فى إسطنبول كانت ١٢ بدلا من ١٥، إلا أنهم حسبوا لهم الوقت منذ مغادرتهم أزمير. وصل طنطاوى إلى إسطنبول فى ٦ أبريل فإذا كان خروج الباخرة من أزمير فى ٣ أبريل.

هذه المرة. وإنما أتيحت له الفرصة حينما زارها فى المرة الثانية فى أثناء عودته إلى مصر سنة ١٨٤٤، وبعد أن قطعت الباخرة بحر مرمرة وصلت إلى إسطنبول، حيث أقام الطنطاوى فى الحجر الصحى [٢٣] فى إسكدار، ثم انتقل إلى «غلطة» وقضى فيها عدة أيام زار خلالها السفير الروسى، الذى كلف الترجمان موخين تلميذ الشيخ سابقًا أن يرافق الطنطاوى فى سفره إلى روسيا. ولما زار الطنطاوى إسطنبول ثانية كان السفير الروسى فيها تيتوف، وقد حمل له الشيخ رسالة من مدير المصلحة الآسيوية سينياوين(١٦٥) غادر الطنطاوى إسطنبول فى ٢٣ أبريل(١٦٦) على باخرة روسية بصحبة موخين. ولقد أكب فورًا على دراسة اللغة الروسية معه. وكانت الباخرة فى ذلك الوقت تقطع البحر الأسود إلى أودسا فى وقت لا يزيد كثيرًا على ما هو الآن. ففى تلك المرة استغرق السفر من إسطنبول إلى أودسا أربعًا وخمسين ساعة، وفى المرة الثانية تسعًا وثلاثين ساعة، وقيل إن السفر كان يستغرق أحيانًا إحدى وثلاثين ساعة فقط.

وصل الطنطاوى إلى أودسا فى ٢٥ أبريل. وهنا أقاموا كذلك فى الحجر الصحى. ونرى فى وصف الطنطاوى لهذا الحادث تفاصيل مضحكة(١٦٧). وقد مكن هذا المقام القسرى الشيخ الطنطاوى من دراسة اللغة الروسية، وهنا يذكر شعرين نقلهما نفسه عن الروسية. وأعجبته كل الإعجاب مدينة أودسا بشوارعها وتماثيلها. وزار والى المدينة فورنتسوف

---

(١٦٥) يحدثنا الطنطاوى عن جميع هذا فى وصف رحلته.

(١٦٦) يقع فى وصف الرحلة خطأ فبدلا من ابريل كتب فبراير.

(١٦٧) يظهر ان مدة الحجر الصحى فى أودسا كانت أسبوعين.

المشهور الذى أراه مجموعته من الرسوم ومن الأوانى الصينية. ومما أدهش الطنطاوى فى أودسا كثرة المياه المعدنية التى يشربونها للعلاج. وهنا زار الطنطاوى الأوبرا الإيطالية مرتين فشاهد فى المرة الأولى رواية السلطان محمد، ولم يكن فى المسرح - كما يقول - أحد يلبس العمامة سوى الممثلين وسواه . وفى المرة الثانية شاهد رواية العاشقين.

ونصادف فى وصف الطنطاوى لأودسا كثيرا من التفاصيل المضحكة، كالتقائه بفتاة فى الشارع خاطبته بالعربية، ثم ظهر أنها ابنة أحد التجار المصريين المقيمين فى أودسا(١٦٨)، ووصف الحياة الاجتماعية فى الطرقات وغير ذلك.

غادر طنطاوى أودسا فى ٢٢ مايو يوم الأربعاء بعد شهر تقريبا من مغادرته إسطنبول. وأثرت أهمية الدور الذى يلعبه الجواز لركوب خيل البريد والباسبورتات والورق المنشن [٢٤] فى طنطاوى تأثيرًا شديدًا، وهو يصف كل ذلك وصفًا مسهبًا فى رحلته إلى روسيا. ومن البدهى أن تؤثر كذلك فى شيخنا طبيعة البلاد التى اخترقها من الجنوب، بسهولها الشاسعة وأنهرها العريضة، ابتداء من نهر بوغ، وعبور هذه الأنهر على الطوف المعروف فى مصر.

وصل الطنطاوى إلى كييف فى ٢٥ مايو، ونزل فى فندق «لندن»، ومع أنه أقام فى هذه المدينة وقتًا قصيرًا إلا أنه تمكن من تفقد المدينة، فزار دير اللافرا وكنائس القديسة صوفيا، والقديس أندراوس،

(١٦٨) من الممكن أن يصادف الطنطاوى أحد مواطنيه فى أودسا، إذ إن غريغوريف يذكر فيها شابا عربيا يعمل بالتجارة (فيسلوفسكى وغريغورريف، ٢٧).

وحضر حفل استعراض الجيش يوم الأحد. وسافر الطنطاوى من كييف فى ٢٧ مايو متوجهًا إلى موهلوف، وبلغها فى ٣٠ مايو.

وهنا أقام ٢٣ يومًا، لأنه على ما يظهر كان لموخين أقارب فيها. فتمكن خلال هذا الوقت من التعرف على الحياة الروسية والبيئة المحلية جيدًا، فزار القرى ورأى عن كثب حياة الفلاحين كما رأى فى مدرسة البنات - التى زارها - المغناطيس للمرة الأولى فى حياته، وكثيرًا ما سمع العزف على البيانو فى بيوت الأهالى، وحضر حفلات رقص. ويرى الشيخ أن الحمامات هنا حقيرة بالنسبة لحمامات مصر وإسطنبول.

وفى يوم السبت ٤ جمادى الأولى (٢٢ يونيو) غادر موهلوف وشاهد حريق الإسكندرية(*)، وقد أدهشته كثرة اليهود فى فيتبسك وغربى روسيا.

وكان الجو كل هذه المدة معتدلاً، ولكن بعد فيتبسك كانت تنزل الأمطار مصحوبة بالعواصف، وعندما اقترب من بطرسبرج اشتد البرد وكان هذا فى يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر يونيو واستمر سفره بلا انقطاع، وزار فى تسارسكى سلو حديقة الحيوان ومستودع السلاح، وسكة الحديد الجديدة فى روسيا. ولم يعرج على المرصد الفلكى بولكوفو، ولكنه زاره غير مرة بصحبة سفير تركيا.

وصوله إلى بطرسبرج وفى يوم السبت ١١ جمادى الأولى (٢٩ يونيو) سنة ١٨٤٠ وصل الطنطاوى إلى بطرسبرج بعد سفر دام ثلاثة أشهر ونصف شهر، قضى منها شهرين أو أكثر فى الحجر الصحى وقرية موهلوف.

(*) الإسكندرية مدينة صغيرة فى وسط روسيا (المترجمة)

الفصل الثانى:

الطنطاوى فى روسيا

كان رحيل الطنطاوى إلى روسيا حدثًا كبيرًا ليس فى حياته فحسب. بل وفى الاستشراق الروسى أيضًا، حتى إن الصحافة الواسعة أعارته انتباهًا كبيرًا.

وكان عدد المثقفين فى العقدين الثالث والرابع من القرن التاسع عشر محدودًا فى روسيا، ومع هذا فإن الاهتمام بالشرق كان أشد فى هذا الوقت منه فيما بعد[1] وكان صدى الاتجاه الرومانتيكى فى الآداب يدعم هذا الاهتمام. فبدهى أن تجذب شخصية الشيخ الشرقية أنظار رجال الثقافة.

وكانت المفاوضات الرسمية المتعلقة بوفود الطنطاوى إلى روسيا معلومة لدى دائرة محدودة من الناس، وعلى الرغم من هذا أصبح ظهوره فى أوديسا وروسيا حديث الكثيرين. وصل الطنطاوى إلى بطرسبرج فى أواخر يونيو إلا أن الخبر عنه كان قد سبقه. فالأستاذ غريغوريف الأستاذ الشاب الأوديسكى تلميذ سنكوفسكى. كان قد كتب فى ٢٦ مايو إلى صديقه سافيليف الذى غدا فيما بعد من علماء الآثار المشهورين وأحد مؤسسى جمعية الآثار[2] ما يلى:

«أرسلت مجلة «المنح» الأوديسية مع موخين الذى سافر من هنا فى هذه الأيام الأخيرة[3] وسيكون بعد شهرين فى بطرسبرج، وسيزورك

---

(١) انظر أبرمان: العرب والفرس فى الشعر الروسى. مجلة «فوستوف» العدد الثالث ١٩٢٣، ١١١ ـ ١١٢

(٢) فسيلوفسكى. غريغوريف ٥٥.

(٣) نحن نعلم أنه غادر أوديسا فى ٢٢ مايو.

حتمًا. فتعرف برفيقه العربى، فهو ذلك الإنسان المشهور محمد عياد الطنطاوى الذى امتدحه فرنيل، ويحمل موخين معه مومياء[4] ظنها سكان أوديسا المتعبدون رفات القديسين، فتجمعوا وألحوا عليه أن يسمح لهم بتقبيلها»، فأجابه فى الرابع من يونيو: ننتظر موخين والسيد طنطاوى هنا بفروغ صبر[5]؛ على أن سافيليف لم يتمكن من التعرف بالشيخ حين وصوله إلى بطرسبرج؛ لأنه كان يقوم برحلة فى فنلندا وإستلنديا حين ابتدأ الشيخ فى ٢ يوليو سنة ١٨٤٠ يباشر عمله[6].

ابتدأ الطنطاوى بإلقاء محاضراته فى الكلية فى أوائل أغسطس. وكان سافيليف قد تعرف به قبلاً، ففى ١٦ من هذا الشهر كتب لغريغوريف. يقول: (على كل حال بدأنا بالعمل فأنا أسمع محاضرات الشيخ وأكتبها، وعن قريب سنتكلم معه بالعربية. والشيخ رجل نبيه مجامل هاش باش، ولفظه لا يشبه لفظ سنكوفسكى، بل ألطف ويشبه اللفظ الفارسى، وستكون دراستى معه فى بيته، لأن نصف بقية الطلاب لا يكاد يتقن القراءة. كتبت عدة سطور عن الطنطاوى وأرسلتها

(٤) عن مجموعة موخين من الآثار المصرية انظر أعلاه.

(٥) غريغوريف: حياة ومؤلفات سافيليف.

(٦) على حسب وثائق الجامعة وسجل الخدمة ابتدأ الشيخ بالخدمة فى الثانى من يونيو أعنى شهرًا قبل الواقع، وهو أمر لا يناسب الحقيقة. فلربما استوجبت هذا الأمر مسألة التقاعد حين أثيرت. وكثيرًا ما يذكرون فى المصادر المطبوعة خطأ سنة وفود الشيخ إلى روسيا وهى سنة ١٨٣٩. انظر غريغوريف، الجامعة، ٢٥٢. فسيلوفسكى، المعلومات ١٢٢ (قاموس تراجمة الأعلام المجلد سفورف. تكاتشوف بطرسبورج ١٩١٢، ٢٨٧؛ موسوعة بركناوز ٦٤، ١٩٠١، ٦٠٨) بارتولد، المواد IV. ٥٢

لأوتشكين(٧) لينشرها فى جريدة «فدومستى بطرسبرج» والمقالة مكتوبة جيدًا جدًا بلغة أدبية من أرفع طراز المقالات الرسمية أو الطراز الألمانى. فلأمدح نفسى مادام لا يمدحنى أحد)(٨)

صدرت هذه المقالة التى كان كاتبها معجبًا بها بعد عدة أيام فى عدد ١٨٩ من الجريدة المذكورة فى ٢٢ أغسطس. أما تاريخ كتابتها فكان ١٧ أغسطس(٩) والمقالة تحمل طابع زمنها بأسلوبها وبلاغتها، وتدل فى الوقت نفسه على الاهتمام الواسع لأوساط القراء بمثل هذه الحوادث فى ذلك الزمن. وهى تصف ذلك التأثير الذى أثاره ظهور الطنطاوى فى روسيا، وتستحق بأن آتى بها بحرفها:

«أنت تسألنى: من هذا الرجل الجميل فى لباس شرقى، وعمامة بيضاء. وله لحية سوداء كجناح الغراب، وعينان تشعان بإشعاع غريب، على وجهه سمة الذكاء، وقد لفحت الشمس بشرته، وليست بالطبع شمس بلادنا الشمالية الباردة، لقد رأيته مرتين يسير بخطوات وئيدة على بلاط شارع نفسكى فى جهته المضاءة بالشمس. ولقد لفت هذا الرجل نظرك كما لفت أنظار زائرى هذا الشارع فى أيام الجو الطيب وتريد أن تعرف من هو.

---

(٧) كاتب ومترجم (١٧٩١ ـ ١٨٦٥) كان خلال سنين طويلة محرر جريدة «إزفستياوفدومستى بطرسبورج» (١٨٣٧ ـ ١٨٦٢) انظر قاموس تراجم الأعلام أوبزيانينوف أو تشكين. بطرسبورج ١٩٠٥، ٤٨٠

(٨) غريغوريف حياة ومؤلفات سافيليف ٦٠ ـ ٦١.

(٩) نشرت فى قسم الحوادث المختلفة صفحة ٨٦٨ ـ ٨٦٩ بعنوان الشيخ محمد الطنطاوى تحرير إلى..

هو ضيف جديد من ضفة النيل، الشيخ الفاضل محمد عياد الطنطاوى (المقطع الأخير بلفظ مثل W بالإنجليزية) واسمه الكامل الشيخ محمد بن سعد بن سليمان عياد الطنطاوى، وطنطاوى دون أداة التعرف «ال» هى نسبة إلى مدينة طنطا، وطنه فى مصر.

إن اسم الشيخ محمد الطنطاوى معروف لدى كل من يدرس اللغة العربية، مع أنه لم يؤلف شيئًا. لكن كل السياح الذين انتفعوا بخدماته والمدينين له بنجاح أبحاثهم، يذكرونه بالشكر، ويكنون له المودة مذيعين شهرته فى أوربا.

فى القاهرة فى الجامع الأزهر مدرسة من أحسن المدارس إن لم نقل أحسنها. وهناك عند الأعمدة التى يقوم عليها سقف غرفة كبيرة يجلس الأساتذة ويجلس تلاميذهم بهيئة نصف حلقة حولهم. وكنت ترى حول أحد الأساتذة حلقة تتألف من شعوب مختلفة وعدد تلاميذها أكثر ممن فى الحلقات الأخرى، بينهم شباب أوروبيون من الذين يريدون دراسة اللغة العربية. هنا كان كرسى الشيخ محمد عياد الطنطاوى، من أشهر العلماء الوطنيين، وأكثرهم اطلاعًا على الآداب الوطنية والتاريخ.

هذا هو ذلك الرجل الذى نراه عندنا على شاطئ نيفا، والذى نلتقى به فى شارع نفسكى.

وقد أذاع شهرته فى أوروبا مستشرقان كانا تلميذيه، يجلسان عند أعمدة الجامع الأزهر ثم اشتهرا بمعرفة اللغة العربية واللهجات، أحدهما فولجنس فرنيل القنصل الحالى بمدينة جدة فى جزيرة العرب وصاحب الرسائل عن تاريخ العرب قبل الإسلام Lettres sur l'histoire des Arabes، والثانى غوستاف فيل أستاذ هيدلبرج السابق، ومترجم «ألف

ليلة وليلة» ومؤلف «شعر العرب قبل محمد»، والفضل لظهور البحثين عن جزيرة العرب قبل محمد يرجع لمساعدة الشيخ للمؤلفين؛ إذ إنه بلا مساعدته - كما يشهدان - ما كان لأبحاثهما أن تظهر، ويقول فرنيل:

C'est peut - êtr le seul Peut homm de l'Orient qui se soit voué à la restauration des aneiens monuments de la litérature arabe"(١٠)

فمن هنا نرى ما كسبته كلية اللغات الشرقية المحلية التى دعت الشيخ القاهرى ليحتل كرسى اللغة العربية الشاغر. وكان أحد العاملين على دعوة الشيخ، الأكاديمى فرين، الذى يتصل باسمه جميع ما حققته روسيا من نجاح فى ميدان اللغات الشرقية. فهو كان أول من جاءت على خاطره هذه الفكرة فعرضها على نائب المستشار الدوق نسلر وده رئيس الكلية ومؤسسها.

ويمكنك الآن أن تتعلم الكلام باللغة العربية دون أن تغادر بطرسبرج

وفى الأسبوع الماضى ألقى الشيخ محمد عياد طنطاوى أول محاضرة له فى قاعة الجامعة، حضرها ما عدا تلاميذ المدرسة بعض المستشرقين غير المنتمين إليها.

(ب) سافيليف. فى ١٧ أغسطس سنة ١٨٤٠

ويظهر من مقالة سافيليف التى كتبها تحت تأثره بشخصية الشيخ حين رآه للمرة الأولى أنه لم يكن مطلعًا اطلاعًا صحيحًا لا على اشتغال طنطاوى بالآداب، ولا على أحوال التدريس فى الأزهر، حيث لم يكن مسموحًا للأوروبيين بحضور الحلقات فيه.

---

(10) Flugence Fresnel. Troisième lettre sur l'histoire Arabe avant l'islamisme. Journ. Asiat. 1838. janv., p. 63.

ولما قرأ الشيخ هذه المقالة المترجمة إلى الفرنسية والمنشورة فى Journal de St Peters bourg رأى من الواجب للحقيقة أن يعترض على بعض ما جاء فيها، فكتب اعتراضاته باللغة العربية وسلمها لتلاميذه فصدرت على صفحات جريدة «فدومستى بطرسبرج[11]» بترجمة ستوبين على صفحات تلك الجريدة التى نشرت فيها مقالة سافيليف[12].

ومما يسترعى النظر ذكر الطنطاوى بعض مصنفاته فيقول: «أذكر بعض مصنفاتى: مجموعة أشعار، وكتاب فى البديع، وأصل أسماء البشر والخيل الأصائل، وهذا المصنف الأخير ينقسم إلى قسمين ومكتوب على حسب الأبجدية وهو محفوظ عندى، وما عدا هذا كتبت كتابين فى الصرف والبلاغة وغيرهما من المصنفات الكثيرة الموجودة عند تلاميذى الأزهريين فى القاهرة» ويظهر أن النقاش الفجائى انتهى بهذا. وشاع الخبر عن هذا النقاش فنرى غريغوريف يكتب لصديقه سافيليف فى أواخر سبتمبر من أوديسا يعزيه[13]: آسف لحالك يا سافكا؛ بماذا تشعر بعد تلك الملاحظات التى صدرت فى الجريدة؟ نعم يا صديقى لقد

---

(11) لم أتمكن من تحقيق شخصية ستوبنى. فى مكتبتى عدد من Traité طنطاوى مكتوب عليه باللغة الفرنسية:

A Madame Stoupine de son dévoué serviteur l'auteur

وبالعربية: تذكرة المحبة الصادقة من المصنف إلى الست المصونة إسكندره ستوبين حفظها الله.

(12) كم من كلمة عن الشيخ محمد الطنطاوى. (فدومستى) بطرسبورج رقم ٢٠٧ ص ٩٤٨، ١٣ سبتمبر.

(13) فسيلوفسكى. غريغوريف ٤٨. إن كاتب تاريخ حياة غريغوريف لم يفهم ما ينوه به، ولهذا ينسبه إلى سنة ١٨٣٩. ولكن من الواضح أنه مكتوب سنة ١٨٤٠ وله علاقة بالتحريرين بتاريخ ٣١ اغسطس سنة ١٨٤٠ (ص ٥٧) وبتاريخ ١٩ سبتمبر (ص ٥٨ - ٥٩).

«طعنك»، السيد ستوبين حتى إنه لا يمكنك بعد هذا أن تظهر بين الناس: لقد طعن مجدك فى ذنبه. كيف حال من يشتمونه فى ضاحية النهار، فى ستة آلاف نسخة على مسمع من روسيا كلها... بلا مزاح إن ملاحظات ستوبين والشيخ معًا لا يمكن أن تسرك فى أى حال من الأحوال. وهل يمكن أن تسرك هذه المماحكة الغبية فى الوقت الذى أردت أنت فيه الخير لهذا العربى عندما كتبت عنه، فما كان منه إلا أن اغتاظ.

هكذا بدأ طنطاوى المرحلة الجديدة البطرسبرجية من حياته، لم يقطع طبعًا علاقته بوطنه، ولكن كان من الصعب القيام بها مباشرة. ونحن نعلم حقيقة عن سفرة واحدة قام بها إلى مصر سنة ١٨٤٤ وهو يذكرها فى مخطوطه «وصف روسيا» سنة ١٨٥٠. ولا يوجد لدينا تفاصيل عنها، إلا أنه يمكن تحديد تاريخها بالتدقيق. وزار طنطاوى القاهرة وطنطا فى شهر يوليو عندما كان Wallin فى الصعيد[١٤]، لذلك لم يلتقيا. وربما اهتم الشيخ فى هذه المرة بجمع المخطوطات الشرقية. فالكتابة على أحدها تدل[١٥] على أنه اشتراه سنة ١٢٦٠هـ المقابلة لسنة ١٨٤٤م. وأقام فى الحجر الصحى عند إيابه من مدينة أزمير أول سبتمبر على حسب التقويم الغربى[١٦] ووصل إلى أودسا فى أواخر سبتمبر[١٧] وقد تمكن هذه المرة من أن يجول فى أزمير، ويزور ذوى

---

(١٤) Elmgren, II, 68, 144 - Tallqvist, XIIV

(١٥) المواد رقم ٣٩.

(١٦) فى كتابة على مخطوط (المواد رقم ٣٧) يدل على يوم الأحد ١٧ شعبان سنة ١٢٦٠ يعنى أول سبتمبر سنة ١٨٤٤ على حسب التقويم الغربى.

(١٧) الكتابة (المواد رقم ٣٨) يذكر ١٧ رمضان= ٣٠ سبتمبر.

السلطة كالمرة الأولى[١٨]، وقد كان تيتوف[١٩] سفير روسيا فى ذلك الحين فى إسطنبول ونائب القيصر فى أوديسا فيودرف[٢٠].

ومن الطريف أن نذكر أن السفر من إسطنبول إلى أوديسا يستغرق ٣٩ ساعة فقط[٢١]. ويظهر أن سفر طنطاوى هذا إلى مصر كان الوحيد والأخير، إذ ليس لدينا أية معلومات عن سفر آخر غيره. ومن الصعب أن نجد تفسيرًا لهذا الأمر سوى أنه من المحتمل أن العائق كان انشغاله بالتدريس، لأن السفر والحجر الصحى كانا يستغرقان وقتًا طويلاً لا تكفيه العطلة الصيفية، ولم يكن من الممكن دائمًا مد مدة العطلة. ويجب أن نذكر أن حياة الشيخ السليمة بعد سفره هذا طالت عشر سنوات فقط، وقد تخللتها حرب القرم التى قطعت علاقته بوطنه، ثم أصابه مرض شديد الوطأة أقعده عن الحركة.

ويظهر أنه لم يكن يقضى عطلته الصيفية فى بطرسبرج دائمًا؛ ففى إحدى رسائل ڤالين Wallin نرى أن الشيخ أقام كل سنة ١٨٤٢ فى القرية[٢٢] ولربما فى أحد المصايف بعد مرض شديد أصابه[٢٣] يذكره فى الرسالة نفسها.

---

(١٨) وصف روسيا ١٤.
(١٩) المصدر نفسه ٢٣.
(٢٠) المصدر نفسه ٢٧.
(٢١) المصدر نفسه ٢٥.
(٢٢) Tallqvist, 34 (٢٣) هناك، ٢٣، وطنطاوى يخبر بكتى عن مرضه هذا Traité 163 - 164.
(٢٣) وصف روسيا ١٠٨.

وفى صيف سنة ١٨٤٢ قام برحلة فى البلاد البلطيقية وفنلندا مع زميله فى القسم التعليمى ديموزين. وربما كان الدافع لهذه الرحلة إرادة الشيخ توديع تلميذه Wallin الذى كان عازمًا على أن يقوم برحلة طويلة إلى الشرق.

سافر طنطاوى بحرًا إلى رفيل؛ حيث قضى نحو أسبوع يتفقد آثار المدينة[٢٤]، ثم بقى وقتًا طويلاً فى هلسنكفورس وكان فى ٢٨ يوليو آخر المودعين الذى تمنى لڤالين Wallin سفرًا سعيدًا[٢٥]. وبعد أن ودع تلميذه جال فى فنلندا فزار بورغو وفيبورغ وإيماترا[٢٦].

وكان الطنطاوى يعيش أكثر أوقات الصيف فى ضواحى بطرسبرج. فمن رسائله لغوتولد المحفوظة فى مكتبة جامعة قازان نعلم أنه قضى صيف سنوات ١٨٤٥، و١٨٥١، و١٨٥٢ فى ضواحى بطرسبرج (السنتين الأخيرتين فى لسنويه) ومن إحدى رسائله إلى ڤالين Wallin نعلم أنه قضى صيف سنة ١٨٥٠ فى المصيف[٢٧] وهذا ما يجعلنا نجزم أن الطنطاوى ألف حياته الجديدة بسرعة، وكانت خدمته وأحواله المالية ثابتة لم تتقلقل قط.

خلف الشيخ فى قسم اللغات الشرقية الأستاذ ديمانج[٢٨] المولود سنة ١٧٨٩، وهو تلميذ سلفستر دى ساسى Sylvestre de Sasy [٢٥]

(٢٤) هناك ١١١

(٢٥) Elmgren, I, XIX, 1-2,Tallqvis, XXX,XXXII

(٢٦) وصف روسيا، ١٠٥.

(٢٧) الرسالة بتاريخ ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٥٠ محفوظة فى مكتبة جامعة هلسنكفورس.

(٢٨) قاموس تراجم الأعلام دايلوف - ديادكوفسكى، بطرسبورج ١٩٠٥، ٢٠٦.

المستشرق الشهير، وكان ديمانج أول أستاذ للغة العربية فى دار المعلمين (من سنة ١٨١٦) وفى الجامعة (من سنة ١٨١٩)(٢٩).

ولم يطل زمن خدمة ديمانج هنا فقد أعفى فى يوليو سنة ١٨٢٢ بمناسبة حادث رونيتشف المعروف(٣٠) وكان قبل هذا يخدم فى وزارة الخارجية فى القسم الآسيوى منذ سنة ١٨٢٠ وفى القسم التعليمى(٣١) منذ تأسيسه، حيث ظل يعمل إلى حين وفاته سنة ١٨٣٩(٣٢)، وبعكس زميله شارموا (١٧٩٣ ـ ١٨٦٩)(٣٣) أستاذ اللغة الفارسية. لم يبق لديمانج شىء من الآثار العلمية أو التربوية(٣٤) أو غيرها من المعلومات سوى ما ينسبون له غلطًا من شرف تعليم غريبويدوف اللغة الروسية(٣٥).

---

(٢٩) رجد ستفنسكى، جامعة بطرسبورج فى القرن الأول لعملها. المواد المجلدان الأول والثانى ١٩١٩، 729 يظهر أنه حضر إلى روسيا فى وقت واحد مع شارموا رفيقه الذى عين مدرسًا فى أول سبتمبر سنة ١٨١٧. انظر سافيليف عن حياة وأعمال شارموا، بطرسبورج ١٨٤٥، ٥ بارتولد، المواد IV، ٣٦٠.

(٣٠) رجد ستفنسكى Op. cit LXII, 729.

(٣١) المصدر نفسه، ٧٢٩.

(٣٢) فسيلوفسكى، المعلومات، ١٣٦.

(٣٣) انظر غريكوف فى قاموس تراجم الأعلام تشادايف ـ شوينكوف. بطرسبورج، ١٩٠٥، ٥٣٥ ـ ٥٢٧ حيث توجد المصادر العامة.

(٣٤) يظهر أن تلميذه كان م. غ فولكوف الذى كان مساعدًا لسنكوفسكى فى تدريس اللغة العربية من سنة ١٨٢٢ إلى سنة ١٨٤٦. انظر عنه غريكوف. الجامعة ٤٢، ٥٣، ٥٧، ٦٦،٧٧،٩٨،٩٩،١٢٩،٢٥١، ٢٥٢،١٩، ٢٥ ـ ٢٦، ٣٢، فسيلوفسكى، المعلومات، ١٣٢، بارتولد، المواد. IV ٥٢، رجد ستفنسكى، LXVI، ٣٠٨، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٣٥) انظر نبذتى المذكورة آنفا صفحة ٢، المادة ١ وأيضا عن ديمانج انظر غريغوريف الجامعة، ٢١، ٢٧، ٣٩، ٤١، ٧٧، ١٥، بارتولد، المواد IV ٣٦ ـ ٣٨، ٤٠، قاموس تراجم الأعلام، دابيلوف ـ دياد كوفسكى، بطرسبورج ١٩٠٥، ٢٠٦.

ولم أجد معلومات عن الطنطاوى فى القسم التعليمى. وربما كان يدرس فى بادئ الأمر باللغة الفرنسية التى تعلمها على يد تلاميذه الأوروبيين فى مصر، وعندما عين أستاذًا فى الجامعة سنة ١٨٤٧ كان قد عرف اللغة الروسية نوعًا ما؛ إذ إننا نجد كل توقيعاته على الوثائق الرسمية اللغة الروسية. وكان الكتاب الأساسى لتدريس اللغة العربية الفصحى فى الكلية منتخبات سلفستر دى ساسى Selvestre de Sasy التى كانت مستعملة إذ ذاك فى كل مكان. ومما يشهد على ذلك وجود نسخ عديدة فى مكتبة القسم التعليمى السابق. ونرى اهتمام الشيخ بهذا الكتاب فى مقالته باللغة الفرنسية، وتصحيحات الشيخ للنص التى تصحب المقالة[٣٦]. أما ما يختص بتدريس اللغة العامية فكان يجرى بموجب دروس يكتبها الشيخ، وهذه الدروس محفوظة فى مخطوطاته[٣٧] وموضوعة فى أساس كتابه سنة ١٨٤٨ Traité de la langue arabe vulgaire.

ولقد آتت أعماله التدريسية فى الكلية فى السنوات الأولى ثمارها فنرى تيموفييف أحد تلاميذه يعمل فى القاهرة، وكذلك Wallin تلميذه الثانى الذى خلف أثرًا كبيرًا فى تاريخ الاستعراب وتاريخ الجغرافية.

وبعد مرور سبع سنوات من حضور طنطاوى إلى روسيا اتسع ميدان عمله فشمل الجامعة أيضا؛ حيث عين أستاذًا extra ordinarius بتاريخ ٨ أكتوبر سنة ١٨٤٧[٣٨] بعد تقاعد سيمكوفسكى الذى لم يهتم فى

(٣٦) سيجرى الكلام عنها عندما أذكر مصنفاته رقم ٣٨.

(٣٧) انظر مثلا المواد رقم ٦ ورقة ١٨٢ . ١٨٣ وغيرها.

(٣٨) هذا هو التاريخ الحقيقى الموجود بين وثائقه، وما عدا هذا نرى هناك تاريخ ٨ أغسطس يشيرون إليه بمناسبة إثارة مسألة التقاعد للشيخ؛ وكذلك تدل المصادر المطبوعة خطأ على السنة (١٩٤٨). (انظر الجامعة، ٢٥٣، فسيلوفسكى، المعلومات ١٢٢، الموسوعة =

السنوات الأخيرة من عمله بأمور التدريس، ولذلك لم يلفت أحد نظره إلى غيابه[٣٩]، وعلى حسب معلومات العميد ن. أرستريالوف بدأ الطنطاوى بالتدريس فى الجامعة فى أول نوفمبر. فكان يدرس فى الأسبوع ست ساعات فى الفصل الرابع، وأربع ساعات فى الفصل الثالث، منها ساعتان يجمع فيهما بين الفصلين[٤٠]. وكان يدرس ديتل[٤١] فى الفصول الأولى فى هذه السنة بعد وفاة فولكوف، وهو متخرج فى جامعة قازان وقام بسياحة فى الشرق مع بيرزين[٤٢] دامت ثلاث سنوات، قد تولى الطنطاوى التدريس فى الفصول الأولى كذلك بعد وفاة ديتل فى ٧ سبتمبر سنة ١٨٤٨[٤٣]. ويظهر أن طنطاوى كسب عطف زملائه وصداقتهم فى أسرع وقت، لذلك عندما خلا كرسى الآداب الشرقية بعد ميرزا توبتشباشف قدم القسم الأول من كلية الفلسفة فى ١١ مايو طلبًا للمجلس بأن يشغل طنطاوى هذا الكرسى[٤٤]، على أن هذا الطلب بقى دون جواب، إذ شغل كاظم بك[٤٥] الذى ذاعت شهرته فى هذا الوقت

= المجلد ٦٤، ١٩٠١، ٦٠٨، قاموس تراجم الأعلام سنورف. تكاتشوف، بطرسبورج ١٩١٢، ٢٨٧، بارتولد، المواد IV، ٥٢. ولقد أعدت هذا الخطأ نفسه فى Enzyklopaedie des Islam. وحلف طنطاوى اليمين فى ١٤ نوفمبر سنة ١٨٤٧، وقد وقع اسمه بالروسى، أما الإمام فقد كتب الاسم بالتترى مشوهًا: شيخ محمد تنطافوى، والمرة الثانية الطانتافوى.

(٣٩) غريغوريف، الجامعة ١٥٠ . ١٥١، قابل ما يقول أ. مليوكوف عن أعمال سمكوفسكى فى الجامعة فى العقد الرابع من القرن الماضى، الاجتماعات الأدبية والتعارف، بطرسبرج ١٨٩٠، ٨٧ . ٨٨.

(٤٠) تقديم العميد فى الوثائق.

(٤١) غريغوريف، الجامعة، ٢٥٢، فسيلوفسكى، المعلومات، ١٣٤.

(٤٢) قابل مقالتى جزئيات لوصف أعمال بيرزين 1836 1925 KB, I, 3.

(٤٣) عند غريغورف، الجامعة ٢٥٢ تذكر سهوًا سنة ١٨٤٩.

(٤٤) يحفظ هذا الطلب بين وثائق الطنطاوى.

(٤٥) بارتولد، المواد، ٥٢ IV.

الكرسى بعد أن انتقل من قازان إلى بطرسبرج، فخلف ديتل فى تدريس اللغة العربية فى الفصول الأولى لسنة ١٨٥٥[٤٦] وبعد أن أسست كلية اللغات الشرقية (٢٧ أغسطس ١٨٥٥) أخذ يدرس بدله م. ت نفروتسكى (١٨٢٣ ـ ١٨٧١)[٤٧] المنقول أيضًا من قازان، أما الطنطاوى فنال رتبة أستاذ[٤٨] Ordinarius.

إن المعلومات عن تدريس الطنطاوى فى الجامعة وثيقة نوعًا ما، فهى تستند إلى مصدر واحد يراجع فيما بعد وهى مقالة نفروتسكى عن تاريخ الكرسى المكتوبة فى أواخر العقد السادس من القرن الماضى بمناسبة مرور خمسين سنة على تأسيس الجامعة[٤٩]. فنعلم من هذه المقالة أن الطنطاوى كان يجمع فى تدريسه بين الطرائق النظرية والعملية. فمن جهة كان يدرس قواعد اللغة، ويشرح أمثال لقمان، ويقرأ قطعًا من مؤلفات تاريخية من مجموعة بولدريف ومقامات الحريرى، ومن جهة أخرى كان يدرس الترجمة من اللغة الروسية إلى العربية، والخطوط الشرقية، وقراءة المخطوطات، والمحادثة باللغة العربية[٥٠]

---

(٤٦) غريغوريف، الجامعة، ٢٥٢ . فسيلوفسكى، المعلومات ١٣٤.

(٤٧) المصدر نفسه.

(٤٨) اقر الوزير طنطاوى فى هذه الرتبة فى أول أغسطس على حسب طلب ٢٦ أبريل سنة ١٨٥٥ (الوثائق فى المحفوظات. قابل مجلة وزارة المعارف، ١٨٥٥، الجزء ٨٧، القسم الأول، صفحة ٤١. وقد أشرت خطأ إلى سنة ١٨٥٤ فى Enzyklapaedie des Islam IV, 709 وكان الوزير يقدر أهمية إقرار طنطاوى فى رتبة أستاذ. انظر بارتولد، المواد، الجزء الأول ١٩١ ـ ١٩٢، ١٩٥ ـ ١٩٦.

(٤٩) أصل هذه المقالة محفوظ عندى. وقد تكلمت عنهما بمناسبة المعلومات عن ديمانج.

(٥٠) ويراجع هذه المعلومات غريغوريف فى نبذة. الجامعة ٢٥٣. وفى سنة ١٨٥٥ ـ ١٨٥٦ يذكرون القسم الأخير فقط فى الطلب إلى وزير المعارف، بارتولد، المواد I ٢٥٤ على أنه فى الإعلان المطبوع عن التدريس (دون ذكر السنة صفحة ١٦) يذكرون جميع الأقسام ماعدا أمثال ل

وزاد على ذلك من سنة ١٨٥٥ تدريس تاريخ العرب[٥١]. فنرى من المختصرات المحفوظة بين أوراقه[٥٢] أنه كان يشرح فى محاضراته تاريخ الخلافة حتى عهد فتوحات المغول، على ضوء الحوادث التقليدية المذكورة عند ابن خلدون والسيوطى. وليس لهذه المحاضرات أهمية علمية، ولا أظن أن غريغورف على حق عندما يزعم أن لهذا التاريخ أهمية كبيرة، وأنه نافع حتى للإخصائيين من الدرجة الأولى فى هذا الموضوع[٥٣].

كان تدريس الطنطاوى فى روسيا منتظمًا خلال خمس عشرة سنة وكان يحوز على حسب العادة الجارية فى ذلك الوقت الألقاب والأوسمة، وأحيانًا منحًا خاصةً. ففى سجل خدمته نرى أنه استحق الشكر القيصرى فى ١٥ أغسطس سنة ١٨٥٠ على جهوده فى التدريس لطلاب جامعة بطرسبرج من القوقازيين[٥٤]، وفى سنة ١٨٥٢ حاز «ميدالية» من ملك فيرتمبرج شكرًا على قصيدة باللغة العربية[٥٥]، وفى السابع من شهر يونيو أهدى إليه ولى عهد القيصر خاتمًا مرصعًا بالجواهر شكرًا على جهوده الخاصة فى زخرفة الغرفة التركية فى قصر تسارسكى

---

(٥١) بارتولد، المواد، 115، IV يقابل المواد I، ٢٥٤ والإعلان عن تدريس العلوم لسنة ١٨٥٥ - ١٨٥٦.

(٥٢) انظر مثلا المواد رقم ٦، ورق ١١٥ - ١٥٨.

(٥٣) غريغوريف. الجامعة، ٢٥٣. ونرى فيما بعد أن تدريس طنطاوى منذ سنة ١٨٥٥ لا يكاد يجرى بانتظام بسبب مرضه.

(٥٤) يعنون بهم طلاب الإدارة القوقازية الذين كانوا يتعلمون على حساب الدولة فى الجامعة، ولهم حقوق خاصة على حسب القانون الصادر سنة ١٨٤٩. انظر بارتولد، المواد IV، ٥٧.

(٥٥) الكلام يجرى كما نعلم من رسالة الشيخ إلى غوتولد، عن Traite والقصيدة إلى ملك فيرتمبرغ محفوظة فى المواد رقم ٨٥، III.

سيلو. وبفضل هذا الحادث يتضح لنا سبب وجود قصائد طنطاوى مكتوبة بخط يده على جدران الغرفة التركية فى جناح الإسكندر فى قصر كاترينا فى ديتسكى سيلو. والقصائد منظومة بمناسبة بعض حوادث فى حياة القصر. وفى مشكاة الغرفة المذكورة يحتفظ بعدة من مخطوطات طنطاوى وكتبه[٥٦].

إن مراحل أعمال طنطاوى التدريسية فى بطرسبورج لبسيطة، وطبعًا ليست هى التى تهمنا هنا. إنما يهمنا أن نوضح هل أثرت إقامته فى روسيا نوعًا ما فى تطور حركة الاستعراب؟ يجيب غريغوريف كاتب تاريخ الجامعة لسنواتها الخمسين الأولى عن سؤالنا هذا بالنفى[٥٧] إذ يقول: إن تدريس الشيخ المشهور لم يبق أى أثر فى روسيا، إذ إنه كان يمكن أن يستفيد منه طلاب ليسوا من الطراز الذى كان عندنا. فهذ الحكم عادل فى جملته؛ إذ إن طلابه المشهورين فى مصر وكذلك فى روسيا لم يكونوا بين طلاب الأزهر المتوسطين العاديين، ولا من طلاب القسم التعليمى والجامعة فى روسيا. لم يكونوا من مواطنى مصر أو روسيا بل كانوا أولئك الذين حضروا إلى مصر أو روسيا ليدرسوا عليه. نعم إننا رأينا أن الرحالة الفنلندى ڤالين Wallin التقى فى سنة ١٨٤٥ فى مدينة معان الواقعة شمالى الجزيرة العربية بالإمام الشاب الذى تخرج على يد الشيخ طنطاوى فى الأزهر، كما رأيناه يلتقى برفيقه تيموفييف أمين القنصلية

---

(٥٦) وصف كل المواد المختصة بطنطاوى هنا تجدها فى مقالتى: المخطوطات الشرقية فى قصر كاترينا فى ديتسكى سيبلو 168 - 161 D A m, B, 1929 (إن تسارسكى سيلو «قرية القيصر» فى ضواحى لنينغراد: حيث كان القياصرة يقضون الصيف، سميت بعد الثورة «بديتسكى سيلو» أعنى قرية الأطفال. المترجمة)

(٥٧) غريغوريف، الجامعة، ٢٥٣. وهذا القول يراجعه فسيلوفسكى، المعلومات 133

العامة فى مصر وتلميذ طنطاوى فى القسم التعليمى. على أن أثره الحقيقى لم يكن فى تلك العناصر، بل فى أولئك الذين خلفوا أثرًا لا يستهان به فى الآداب والعلم. يكفينا أن نذكر بين تلاميذه المصريين يوسف الأسير [٢٦] وأمثاله بين تلاميذه فى روسيا. كان طنطاوى كأغلبية العلماء الشرقيين لا يملك أسلوبًا لتوجيه المبتدئين فى دراسة اللغة، ولكنه كان يفيد جدًا كل من يتقدم إليه بطلب معين من العارفين(٥٨) ويكفينا شهادة Lane, Fresnel البليغة له، فهى لم تكن مصادفة فقد تحققت فى روسيا وذاع صيته فى أوروبا.

لقد رأينا كيف استقبله المستشرقون الجادون أمثال غريغوريف وسافيليف(٥٩) فاحتل طنطاوى بينهم المكان التى يستحقها، ففى هذه البيئة نرى آثار جهوده. ولم يندم فرين كبير المستشرقين الروسيين فى ذلك الحين على سعيه لدعوة الشيخ إلى روسيا. ففى سنة ١٨٤٥ أعاد فرين طبع مؤلفه «بعض معلومات مأخوذة فى أكثرها من الآداب التاريخية والجغرافية للعرب والفرس والترك لموظفينا والرحالين فى آسيا» فنرى فى مقدمة هذا الكتاب شهادة(٦٠) المؤلف بأن الطنطاوى ساعده على تحقيق لفظ عناوين الكتب العربية وأسماء مؤلفيها وصحة كتابتها. حتى فى أمور دراسة النقود التى كان فرين حجة عصره فيها،

---

(٥٨) كان غريغوريف على حق عندما قابل (الجامعة ٢٥٥) تدريس طنطاوى بتدريس ميرز اتيتشبايف المعروف للغة الفارسية.

(٥٩) ماعدا المقالة المذكورة سابقًا فى «فيدومستى بطرسبورج» كتب سافيليف عدة سطور عن طنطاوى فى مقالة «الآداب الشرقية والمستشرقون الروس» روسكى فيستنيك ١٨٥٦ أبريل، التاريخ المعاصر ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

(٦٠) صفحة LIV

كان يستشير الشيخ ولا يعد من النقص أن يوافق على قراءته وإشاراته(٦١).

كان طنطاوى قريبًا من مدير المتحف الآسيوى دورن الذى خلف فرين، وكان مدرسًا فى القسم التعليمى(٦٢)، كما ربطته علاقات ودية بأمين المكتبة العمومية غوتولد (١٨١٣ - ١٨٩٧)(٦٣) الذى أصدر كتاب المؤرخ حمزة الأصفهانى(٦٤) [٢٧] وانتقل إلى قازان سنة ١٨٤٩(٦٥) ؛ حيث عد أستاذًا وعضوًا مراسلاً للمجمع العلمى الروسى سنة ١٨٧٠. ولد غوتولد فى سليزيا وتخرج فى جامعة برسلاو، وقد حضر إلى روسيا قبل حضور طنطاوى إليها بزمن قصير، وبدأ يعمل موظفًا فى المكتبة العمومة بتوصية من فرين(٦٦)، وقد جمعت بينه وبين شيخنا وحدة الاهتمام بأمور الاستعراب، مما أدى إلى قيام صداقة متينة بينهما.

---

(٦١) انظر مثلا دورن، 652-657 ,653 ملاحظة Das Asiatische Museum, 649، وقد أهدى طنطاوى نفسه سنة ١٨٤١ عدة نقود للمتحف الآسيوى، هناك، ٩٤، ٦٤٧.

(٦٢) نعلم عن صداقتهما من رسالة طنطاوى لغوتولد.

(٦٣) كتب البارون روزن مقالة تأبين غوتولد. N A H, m, VII 1897 XXXV- XXXVI قابل المعجم الجديد ٥٧٢، XIV وكتانوف: أستاذ وموظف فى المكتبة غرتولد عضو شرف للجامعة الإمبراطورية فى قازان، قازان ١٩٠٠.

(٦٤) من الطريف أن نشير إلى أن نسخة من هذه الطبعة قد أهداها طنطاوى نفسه إلى الكلية، وتدل على ذلك كتابة بخط يده: Pour l'Institut Ori ntal de la part du Scheikh Tantawy Hamzae Ispahanensis Annalium I ibri X Edictit Gottwaldt. I - II. Lépsiae I 44- 1448، وهذا الكتاب موجود الآن فى موسكو فى المكتبة باسم لنين، وأنا مدين بهذه الإشارة لروزنوها.

(٦٥) بارتولد المواد، ١٨٥٠، ٢٤٣ ـ ٢٤٨.

(٦٦) المصدر نفسه، ٦٠.

وكان غوتولد مطلعًا على مشروعات طنطاوى العلمية ونياته فعرف سنة ١٨٤٧ العلماء الأوروبيين(٦٧) بآثار الشيخ العلمية وأفكاره، وأدخل سنة ١٨٥٠ تصحيحات جوهرية فى ترجمة تاريخ حياته إلى الألمانية(٦٨) ودامت المراسلات بينهما بعد انتقال غوتولد إلى قازان. وعندما التقى بعد أربعين سنة بعبد الله فكرى (١٨٣٤ - ١٨٩٠)(٦٩) وزير المعارف المصرى سابقًا ومندوب مصر فى مؤتمر المستشرقين فى استوكهولم تذكر المرحوم الطنطاوى وأبلغ مواطنه بعض تفاصيل عن حياته مدة إقامته فى بطرسبرج لم تكن معلومة فى وطنه(٧٠).

صادف الطنطاوى فى روسيا تقديرًا وانتباهًا لا من قبل المستشرقين وحدهم، بل ووجد - منذ أول وصوله إليها - تلاميذ متعطشين للعلم فيها.

بدأ طنطاوى بإلقاء محاضراته كما قلنا فى شهر أغسطس ١٨٤٠ وقد حضر قبله فى ربيع سنة ١٨٤٠ إلى بطرسبرج مساعد أستاذ Georg Wallin مبعوثًا من جامعة هلسينكفورس لدراسة اللغات

---

(٦٧) ZDMG,I,1847,213

(٦٨) المصدر نفسه IV, 1850,243 248

(٦٩) Brockelmann, GAL II, 474 - 476

(٧٠) ذكر هذا نراه فى وصف السفر إلى المؤتمر تاليف أمين بن عبد الله [٢٨] فكرى أرشاد الألبا إلى محاسن أوربا. القاهرة سنة ١٨٩٢، ٦٠٩ - ٦١٠. (انظر أحمد تيمور: مجلة المجمع العربى IV، ١٩٢٤، ٣٩١.

(٧١) إن عادة إرسال المستشرقين الشبان الفنلانديين إلى القسم العلمى لإتقان اللغات الشرقية كانت موجودة وقبل Wallin. هنا درس سنة ١٨٢٤ G. Geitlin (١٨٠٤ - ١٨٧١) انظر أيضًا الدور الذى لعبه فى الاستشراق الفنلندى H Steny Die Orientalischen Studien 273 - 274 ibid, 277 - 2 - 9.

الشرقية، إذ إنه كان عازمًا على رحلة طويلة إلى الشرق[٧٢]. ويظهر أنه قضى الربيع فى وضع برنامج لدراساته العتيدة، والتعرف بمعاهد العاصمة العلمية. بدأ دراسته مع الطنطاوى فى خريف تلك السنة، وهذه الدراسة وطدت عزمه على الرحلة إلى الشرق.

كان موضوع رسالة Wallin للحصول على درجة ماجستير «الفرق بين اللغة العربية الفصحى واللغة العامية»[٧٣] مما يدل على مدى استعداده الكافى للدراسة التى كان ينويها مع طنطاوى، وإلى جانب إتقانه اللغة كان ذا إرادة قوية وعزم أكيد. وجد Wallin فى شخص معلمه المرشد الذى كان يتمناه، كما أن المعلم أصبح مغتبطًا بتلميذه الذى كان يصغره بسنة فقط[٧٤]. فمن المفهوم - على حسب قول مؤلف تاريخ حياة Wallin الأخير[٧٥] - أن Wallin لم يجد فى شخص شيخنا معلمًا ماهرًا فحسب بل وصديقًا فاضلاً مخلصًا، فدامت صداقة متينة بينهما طول حياتهما. ففى خريف سنة ١٨٤١ كتب Wallin إلى رئيسه الأستاذ المستشرق Geitlin [٧٦] يخبره بأنه يزور طنطاوى ثلاث مرات فى الأسبوع، وقد ترجم معه نصف مؤلف لمترجم مجهول، ويكاد ينهى معه ترجمة شيلر Der Naffals Onke «والآن ابتدأنا نتحدث مساء ففى إحدى الأمسيات نتكلم بالألمانية فقط، وقد يبدى الشيخ بعض النجاح فى

---

(٧٢) Tallqvist, XXI- XXIV

(٧٣) Depraecipua inter hodirnam Arabum linguam differentia, Helsingfors 1839, 16,47.

(٧٤) ولد Wallin فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٨١١ (Tallqvist, II)

(٧٥) Tallqvist, XXV

(٧٦) قطعة من الرسالة Tallqvist XXVII وانظر مطولا عند Elmgren, I, XVI - XVIII

هـذه اللغـة[٧٧] وفـى أمسـية أخـرى نتكلم بالـعربيـة متبادلين معلومـاتنـا الأدبيـة» ثم يتكلم عن صفـات الشيخ فيقول: إن طيبـة قلبه وطبعه تشبه صفات الأطفال، وذكاءه واستقامته يستدعيان احترامى المتزايد. ولم تعد علاقاتنـا رسـمية كمـا بين المعلم والتلميذ بل أصبحت علاقـات ودية، علاقـات صـداقـة. ونبـدأ عـادة بشـرب الشـاى ثم نسـتـريح عـلى أريكتـه الكبيرة، فيشعل حديثه عن مصر المحبوبة ورواتها ومغنياتها وراقصاتها وغيرها من المسرات عزمى على السفر أكثر فأكثر إذا كان هـذا ممكنًا. إن الطنطاوى إنسان قد تغلب على التعصب، وهـذا أمر رئيسى، فهو لم يعد يعمل من عبقريته سرًا (كذا)، ويجيب عن كل الأسئلة حتى ولو كان هـذا السؤال فـى غير محله... وقد بدأت بقراءة الرسـائل التى تصله من أصدقائه المصريين، وأردت أن أكتب لكم هـذه الرسالة بـاللغة العربية لأريكم نتيجة دراستى مع الشيخ، ولكن هـذا الأمـر يتطلب وقتًا طويلاً وحالة هـادئة أكثر ممـا هـى حـالتـى الآن. ويظـهـر أن نجاح Wallin كان بـاهـرًا، إذ إنه احتل المكان الأول فى المسـابقـة الجـامـعيـة التى جـرت فى ديسمبر سنة ١٨٤١ لنيل منحة السفر فى بعثة[٧٨] علمية إلى الشرق. وقد كتب طنطاوى فى شهادته لڤالين Wallin أنه «يقرأ ويكتب ويتكلم العربية بسهولة» ولا نعلم هل هذه الشهادة هـى التى لعبت الدور الحاسم فى فوز Wallin، ولكن على كل حال قد فـاز فى المسابقة؛ إذ حصل على ستة أصوات وحصل Gastren على أربعة، والباقون على أقل من هذا.

---

(٧٧) ربما أرسل Wallin لمعلمه كتابًا باللغة الألمانية هدية وتذكارًا لهذه الدراسة باللغة الألمانية بصحبة رسالة بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٨٤٢ (Tallqvist, 35).

(٧٨) كانت المسابقة جدية إذ اشترك فيها ماعدا Wallin خمسة علماء شباب بما فيهم: Castren الشهير رفيق Wallin فى الجامعة انظر Tallqvist, XXIX.

دامت المراسلة بين المعلم وتلميذه بانتظام[٧٩]، وعندما بدأ Wallin يستعد للسفر إلى الشرق فى ربيع سنة ١٨٤٣ أخذ يلح على الطنطاوى بأن يسافر معه إلى مصر[٨٠]. ويظهر أن الشيخ لم يتمكن إذ ذاك من السفر، بل اكتفى بسفره إلى فنلندا لتوديع تلميذه كما رأينا من قبل. ففى يوميات Wallin تقرأ السطور التالية بهذه المناسبة[٨١]: «لقد كان الشيخ مرحًا عطوفًا كالعادة لذلك أحبه الجميع عندنا كما أحبوه فى كل مكان. أعجبته مدينتنا وشعبنا ومناخ بلادنا الذى وجد فيه مشابهة لمناخ بلاده، وقال إنه يزورنا ليس المرة الأخيرة».

كان اعتناء طنطاوى بڤالين Wallin مصاحبًا له حتى فى سفره. فقد أشار الشيخ عليه أن يتخذ [٢٩] اسمًا إلاميًا «ولى»[٨٢] وزوده برسائل لعدة شخصيات فى مصر تعرف[٨٣] Wallin بهم، كما قام برحلته معروفًا بالاسم «ولى» الذى أشار عليه به الشيخ. وصار «بكتى» ترجمان القنصلية الروسية الذى اشترك فى ترحيل طنطاوى إلى روسيا صيرفيًا له. كذلك زار أخا طنطاوى: مصطفى، وشهد له باللطافة، كما تعرف بمعلمى ورفقاء معلمه، الدسوقى ومحمد قطة[٨٤]. وكان Wallin يصادف استقبالاً حسنًا

---

(٧٩) يعطى Tallqvist ترجمة رسالتين إلى اللغة الأسوجية من Wallin للشيخ بتاريخ ٢١ ديسمبر سنة ١٨٤٢ صفحة (٣٢ ـ ٧٥)، وبتاريخ ١٠ أبريل سنة ١٨٤٣ (صفحة ٣٦) وفى الرسالة الأولى يشكره على إرساله الرسالة (ص ٣٣)، وفى الثانية يشكو من أنه لم يحصل على جواب على كتابه السابق (ص ٣٦).

(٨٠) Tallqvist, XXX, 35, 36

(٨١) Elmgren, I, 1.

(٨٢) Talavist XXXVIII, Elmgren, I, 180

(٨٣) وكان بينهم القنصل الإنكليزى Elmgren I, 254

(٨٤) لقد تكلمنا عن هذه الشخصيات بإسهاب فيما سبق لنا من القول.

حيثما حل بفضل توصيات الطنطاوى. وقد تعرف بشخصيات تهمه جداً، إلا أنه كان يردد هذه العبارة دائماً: لم ألاق مثل طنطاوى أحداً(٨٥).

وعندما رجع ڤالين Wallin إلى وطنه بعد غياب طويل سنة ١٨٥٠ عرج على بطرسبرج ليرى الشيخ الطنطاوى(٨٦) وقد استمرت المراسلة بينهما بلا توقف، فنرى Wallin يطلب شروحاً بمناسبة تعليقات على أحد أشعار ابن الفارض الذى كان(٨٧) ينوى نشره، فيجيبه الطنطاوى برسالة بتاريخ ١٧ يوليو سنة ١٨٥٠ يشرح له فيها بعض الإشكالات شرحاً دقيقاً، ويعرض عليه عنواناً عربياً(٨٨) لمصنفه فيقبله، ثم فى رسالة بتاريخ ١٩ أكتوبر(٨٩) يجرى نقاش بينهما وتصدر «لامية الأفعال» [٣٠] مطبوعة على الحجر بجميع التصحيحات التى عرضها الطنطاوى فى رسالته(٩٠). وبعد هذا أخذ Wallin يفكر فى مشروع جديد، وهو سفر أطول أمداً إلى الشرق، على أن المنية هدمت كل مشروعاته إذ اختطفته فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٨٥٢(٩١) قبل معلمه بتسع سنوات، وفى السنة التى توفى فيها مواطنه الكبير Castren(٩٢).

---

(٨٥) كلامه عن الدسوقى. Elmgren. I, 292.

(٨٦) Tallqvist, C II.

(٨٧) Elmgren, IV, 378: Tallqvist, cn.

(٨٨) الرسالة محفوظة فى مكتبة جامعة هلسنكفورس.

(٨٩) Tallqcist, C, III.

(٩٠) العنوان: القصيدة الحائية من الأشعار الفارضية. وباللاتينية: Garmen elegi. Acum Ibnu - L - Faridi cum commentario Abdu- L Ghabyi e duobus codicibus Londinensi et - Petropolitano in lucem editum. Helsing - fors, 1850.

(٩١) Tallqvist DXXV فى ١٨ أكتوبر نشرت «سيفرنايا بتشيلا» خبر وفاة Wallin رقم ٢٢٣ سنة ١٨٥٢

(٩٢) توفى فى ٧ مايو سنة ١٨٥٢. انظر بوغوراز: كاسترن كإنسان وعالم (المجموعة لذكرى ٧٥ سنة على وفاة كاسترن. ليننغراد ١٩٢٧) ١١،٣.

بعد وفاة Wallin صار كليجرن Kellgren مساعد الأستاذ للغة السنسكريتية خليفته فى جامعة هلسينكفورس (١٨٢٢ - ١٨٥٦)(٩٣)، وكان قد سمع محاضرته فى قواعد اللغة العربية، ودرس على يده «لامية الأفعال»(٩٤) سنة ١٨٥١. وقد سافر إلى بطرسبرج ليدرس على الطنطاوى. وقد كان هذا العالم على خلاف Wallin يميل إلى المطالعة فى المكتبة، فقرأ على يد الطنطاوى مؤلفات النحويين العرب، وأعد رسالة عن الضمائر المتصلة وألحقها بترجمة «لامية الأفعال» لابن مالك(٩٥) وقد شارك طنطاوى فى هذا البحث، فوجد له مخطوطًا مغربيًا جيدًا فى(٩٦) مصر ساعد به Kellgren على إدخال عدة تصحيحات فى النص الذى أصدره Wallin على الحجر. وأعد الترجمة الألمانية لبحثه لكن الموت دهمه فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٥٦ وله من العمر أربع وثلاثون سنة، فلم يتمكن من أن يرى ثمار بحوثه مطبوعة. وقد طبعها المجمع العلمى فى بطرسبرج فيما بعد، تحت إشراف الأستاذ Volck (٩٧) من

(٩٣) Tallqvist, 355, Stenij 282 - 284

(٩٤) Tallqvist CIV, CVII, Stenij 280 - 281

(٩٥) H. Kellgren, Om Affix Pronomeni Arabiskan, Persiskan och Turkistan, samt Ibn - M àliks allamija med textkritik och amarkningar. Hels ingfors, 185

(٩٦) Cp: cit, Forord وبعد وفاة Kellgren ملك المخطوط Fleischer (انظر كلامه فى (Z D M G, XIX, 1865, 673

(٩٧) pan Máliks Lamiyat al - afâl mit Badraddin's Commentar. Ein Lehr-gendicht ubr die Formen der arabischer Verbe und der davon ab-geleiteten Nomina, Überstzt unb mut Kritischen Anmerkungen veschen von Prof. Dr. Kellgren. Auf Grund des handschriptlichen Nachlasses Kellgren's Car eitet mit Zusatzen vermehrt und unter Beig le des arabs-chen Textes herausgegelen von Dr. W. Volk, St- Petersburg 1864. ZDMG (1865, 678-679).

جامعة دريث، وقد أعاد طبعها مصححة، كما طبع نص Wallin العربى[٩٨]..

وقد شكر مستشار جامعة هلسنكفورس - الذى كان فى ذلك الوقت ولى عهد القيصر ألكساندر نيقولا يفتش - طنطاوى على جهوده فى مساعدة Kellgren على الدرس، وهذا الشكر مكتوب فى سجل خدمة طنطاوى، وقد يكون المستشار شكره على النقاش البارع فى الأطروحة التى قدمها Kellgren للحصول على درجة علمية.

وكان من نتيجة تعليم طنطاوى للعالمين الفنلنديين أن أصبح - على سبيل العادة لزمن ما - إرسال العلماء الشباب بانتظام إلى بطرسبرج لدراسة اللغات الشرقية فى قسم وزارة الخارجية التعليمى. وكان أول من حضر E. A Straclman (١٨٣٢ - ١٩٠٠)[٩٩] الذى درس وقتًا طويلاً مخطوطات المتحف الآسيوى وتتناول أطروحاته الثلاث المواد التى جمعها نتيجة هذه الدراسات[١٠٠]. ويظهر من تاريخ كتابة هذه الرسائل أن Straclman لم يدرس على طنطاوى، لأنها تنتسب إلى العقد السادس من القرن التاسع عشر، بل درس على خليفته. واستمرت هذه العادة ردحًا من الزمن. ونحن نعلم أن المستشرق الفنلندى K. P. Eneberg (١٨٤١ - ١٨٧٦)[١٠١] الذى صار فيما بعد رفيقًا للبارون روزن، درس فى

(٩٨) Ibn nàli's lamiyat alafâl mit Badraddin's commenter revidierte Textausgarle von Dr W. Volek lpz 1866.

قابل تقريظ فليشر لهذا المصنف 678- 973 , ZDMG 1865

(٩٩) Stenij, op. cit. 302 - 308

(١٠٠) عن اهمية أطروحتين منهما انظر ما قلته فى مؤلفى (أبو الفرج الوأواء الدمشقى) بطرسبرج ١٩١٤، ٢٤.

(١٠١) Stenij, op. cit 310 - 311.

بطرسبرج. وقد[١٠٢] درس الاثنان على فليشر [٣١] وعلى أستاذ اللغات السامية وعلم اللاهوت K. A. R. Totterman (١٨٣٥ - ١٩٠٧).[١٠٣]
وليس لدينا معلومات معينة عن تلاميذ طنطاوى الروسيين، لكنهم بلاشك كانوا - وعلى وجه العموم - فى القسم التعليمى، ويمكننا أن نحكم على صفاتهم بأمثال تلميذيه فى القاهرة، السياسيين موخين وفرين، وكان قبلهما يدرس فى القسم التعليمى عندما كان يدرس Wallin تيموفييف[١٠٤]. وبعد عدة سنوات سافر الاثنان إلى القاهرة حيث تجددت الصداقة بينهما[١٠٥]، ويظهر أن تيموفييف كان أصغر سنًا من Wallin. وبقطع النظر عن أن Wallin كان إنسانًا منطويًا على نفسه، إلا أنه كان يحنو على تيموفييف، فكتب عنه أنه صبيانى مرح فرح، كما كان أيام دراسته فى الكلية[١٠٦] غير أن هذا لم يكن عقبة فى طريق اهتمام تيموفييف بالآداب العربية. ويذكر Wallin أنه كان عند رفيقه مشروعات مختلفة لترجمة بعض الآداب العربية[١٠٧]. وحين كان Wallin فى القاهرة عين تيموفييف سكرتيرًا لفوكين القنصل العام الروسى فى الإسكندرية[١٠٨]، وانتقل إليها ولم يقطع علاقته بـ Alma - Mater

---

(١٠٢) انظر مقالتى «بعض ملاحظات لوصف بريزن 3KB, 1 سنة ١٩٢٥ ص ١٨٣، وهناك رسائل منه للبارون روزن محفوظة فى محفوظات المتحف الروسى تنتسب للسنوات السبعين.

(١٠٣) Stenij, 368 - 310

(١٠٤) Elmgren, I, 322, Tallqvist, XIIV

(١٠٥) Elmgren, II 269

(١٠٦) Elmgren, I, 284, II, 253

(١٠٧) هناك III, 5

(١٠٨) وبوساطته فى الإسكندرية أرسلت الرسالة لطنطاوى المحفوظة بين أوراق غوتولد.

بالوطن الأم كأغلبية خريجى القسم التعليمى، فأهدى إلى مكتبة هذا القسم مخطوط تاريخ مصر للجبرتى فى ثلاثة مجلدات(١٠٩).

وأقل من هذه المعلومات معلوماتنا عن بقية تلاميذه فى الكلية، أما فيما يختص بزعم غريغوريف(١١٠) أن غرغاس كان تحت تأثير طنطاوى فلا أساس له(١١١).

لقد دامت أعمال الطنطاوى التدريسية والعلمية المنتظمة فى روسيا خمسة عشر عامًا فقط يقع ازدهارها فى النصف الأول من العقد السادس(١١٢)؛ حيث كان الطنطاوى فى أوج شهرته وفى آخر سنة ١٨٥٣ رسم مرتينوف(١١٣) صورة بديعة للشيخ تمكننا أن نتصور قوة تأثير شخصية الشيخ الشرقية، كما صورها سافيليف فى مقالته المذكورة قبل(١١٤) ونرى أن آخر مقالة للشيخ مكتوبة بالفرنسية ومطبوعة بتاريخ ٢٨ مارس سنة ١٨٥٥، وإلى هذا الوقت تنتسب قصيدته التى يرثى فيها

---

(١٠٩) يوجد فى مكتبة الجامعة المجلد الرابع لهذا المخطوط من غرغاس. انظر مقالتى: المخطوطات الشرقية من مجموعة غرغاس فى مكتبة جامعة لينيغراد .DAH, 1927 .162- 136

(١١٠) غرغاس 3KB.III, 1928, 82 .

(١١١) هناك ص ٦٤.

(١١٢) و (١١٣) الرسم مطبوع تحت الحجر فى مطبعة منستيرا على ورقة مع غيره من أساتذة جامعة بطرسبرج (كاظم بك، ومخلينسكى وغيرهما) وسماح المراقبة بتاريخ ٢١ ديسمبر سنة ١٨٥٢ . وتجد صورة هذا الرسم فى أول هذا الكتاب.

(١١٤) الطنطاوى مرسوم وعلى صدره وسام «أنا». وكان الطنطاوى نفسه ينكت بهذه المناسبة من وجهة نظره باعتباره مسلمًا فنرى فى مصنفه (وصف روسيا ١٥٤ ورقة ٨٢) هذين البيتين من الشعر

إنــى رأيــت عجيبــا ... فــى بتــربــورغ وإنــه

شيــخ مــن المسلمــين ... يضم فى الصدر «حنه»

القيصر نقولا الأول(١١٥). ولا نصادف بعد هذا شروحًا ولا تواريخ على مخطوطاته(١١٦). وهذا أمر مفهوم، لأنه بعد افتتاح كلية اللغات الشرقية سنة ١٨٥٥ بقليل نكب فى صحته فصارت حياته فى السنوات الست الأخيرة همودًا مطردًا. إننا لا نعرف تفاصيل الظروف السابقة لهذه النكبة، إلا أنه يمكن فرض تاريخها بالدقة.

نرى فى سجل خدمته طلبًا بتاريخ أبريل سنة ١٨٥٦ بأن يمدوا له الإجازة قدر ٢٨ يومًا ليسافر إلى بوهيميا(١١٧) للعلاج بمياهها الساخنة، ويظهر من شهادة الطبيب كاريل أن الطنطاوى أصيب منذ سبتمبر سنة ١٨٥٥ بشلل فى رجليه. ويظهر تاريخ مرضه أكثر دقة إذا نظرنا إلى زمن جلسات كلية اللغات الشرقية، فنرى أن طنطاوى حضر جلستين: الأولى بتاريخ الخامس من سبتمبر والثانية بتاريخ العاشر منه، ولكنه لم يحضر جلسة فى ١٢ من هذا الشهر. فبعد هذا التاريخ لم نصادف توقيعه على محاضر الجلسات ولا اسمه فى عداد حاضريها أو الاشتراك فى النقاش الذى كان يجرى لمنح درجة ماجستر باللغة العربية(١١٨). وليس لدينا من وثائق تثبت لنا سفره إلى الخارج للمعالجة أو أنها ساعدته على طلب ذلك، وقد أعيد الطلب فى شهر

---

(١١٥) انظر المواد رقم ٨، VIII.

(١١٦) الكتابة الأخيرة التى أعرفها تنتسب إلى سنة ١٢٦٩ (١٨٥٢ ـ ١٨٥٣) انظر المواد رقم ٤٢.

(١١٧) فى رسالة لفوتولد بتاريخ ٥ أبريل سنة ١٨٥٦ يكتب الشيخ Je suis toujours mal-ade وترجمتها: إنى دائما مريض.

(١١٨) تصادف أحيانًا توقيعه على وثائق الكلية مثلا على شهادة مع نفروتسكى عن Guide de Voyageurs en Orient. TN. Beresin Moscou et st. Péters - bourg 1857. لتقديمه للمراقبة بتاريخ ١٧ نوفمبر سنة ١٨٥٦. وعن هذا الكتاب انظر مقالتى فى 3KB, I 1925. 188 - 91.

مارس سنة ١٨٥٧[١١٩] وهنا نرى توقيعه بالروسية بصورة مروعة بالنسبة لتوقيعه الأول، إذ يظهر أن يده لم تعد تطيعه. فمنذ هذا الزمن لم يعد فى طاقة طنطاوى التدريس على ما يظهر، ومن وثائق الكلية نعلم أن زملاءه اقتسموا بينهم ساعات تدريسه بسبب مرضه «٢٣ سبتمبر سنة ١٨٥٧[١٢٠] و٢٦ مايو سنة ١٨٥٨، ١٢ أكتوبر سنة ١٨٥٨[١٢١] و٢ فبراير سنة ١٨٥٩[١٢٢]» كما نرى من الوثائق ذاتها إعلان العميد عن نقاهة الطنطاوى.

إلا أن الإعلان عن نقاهة طنطاوى نصادفه فى تواريخ تجعلنا نظن أنها كانت شبه رسمية، حتى لا يحرم الشيخ فوائد الخدمة (١٨ ديسمبر سنة ١٨٥٧ مايو سنة ١٨٥٩ أما فيما يختص بالقسم التعليمى؛ حيث كان طنطاوى المعلم الوحيد، فإنه اضطر أن يترك الخدمة هناك. وقد خلفه [٣٢] سليم نوفل[١٢٣] من أهل مدينة طرابلس فى سوريا. أما الجامعة

(١١٩) توزيع الدروس فى وثائق الكلية رقم ٢٤.

(١٢٠) تكليف نفروتسكى إلقاء محاضرات عن تاريخ العرب adjunctus باللاتينية فى كرسى الآداب العربية بسبب مرض الأستاذ، ويقال فى تقرير العميد إن حالة الطنطاوى الصحية لا أمل فى تحسينها (انظر بارتولد المواد I، ٢٣٥ - ٢٣٨).

(١٢١) هذا هو التاريخ الموجود فى تقرير الكلية؛ حيث يذكر أن توزيع الدروس «كتوزيع السنة الماضية، وتناصيل تعقد الحالة فى الكلية ومجلس الجامعة بمناسبة التوزيع مشروحة عند بارتولد، المواد IV، ص ١١٢ - ١١٤. فى يوميات تكيتنكو، (محرر هام. ك. لا مكه) يذكر احد مراحل هذا الحادث، إذ إن المحرر اخطأ فى قراءة الاسم فبدلا من طنطاوى قرأ تايتوف (أ. بطرسبورج، ١٩٠٥، ٥٢٤) (وبهذه الصورة المشوهة دخلت فى القائمة II ٦٠٧).

(١٢٢) بارتولد. المواد IV، ١١٩، الحاشية ٢.

(١٢٣) يظهر أن هذا جرى نحو سنة ١٨٦٠. ففى طلب الرئيس الرسمى بتاريخ ٣ اغسطس سنة ١٨٦٠ الذى يرشح فيه نوفل للكرسى، قال إن نوفل يعمل فى وزارة الخارجية بدلا من طنطاوى، ويشير طرازى فى تاريخ الصحافة العربية II، بيروت ١٩١٣، ١٧٣ خطأ إلى زمن حضور نوفل لروسيا. والمعلومات عن تاريخ حياته فى مقالتى بعنوان مخطوط جديد فى وصف رحلة الشيخ طنطاوى إلى روسيا.

فرفضت أن يحتل مكان طنطاوى غيره من الخارج عندما شاع خبر استعصاء مرضه. وكان الكاهن أغابى[١٢٤] قد تقدم فى سنة ١٨٥٩ بترشيح نفسه للتدريس بدله، إلا أن الجامعة رفضت طلبه، كما رفضت طلب سليم نوفل سنة ١٨٦٠[١٢٥] ويظهر أنه بمناسبة طلب الأخير رشح عميد الكلية نفروتسكى لهذا المنصب أستاذًا extra ordinarius فلم يلبوا طلبه إلا بعد تقاعد الطنطاوى فى جلسة ١٧ فبراير سنة ١٨٦١[١٢٦].

قدمت الجامعة طلبًا لتقدير معاش تقاعد لطنطاوى بمناسبة مرور عشرين عامًا على خدمته معلمًا فى روسيا وبسبب مرضه فى سنة ١٨٥٩، وسارت جميع الإجراءات فى هذا الأمر ببطء؛ إذ إنه دعى للكشف الطبى فى سبتمبر فقط، فأجاب أنه لا يمكنه المجيء بسبب مرضه[١٢٧]. ويظهر أن الكشف الطبى جرى فى بيت الشيخ، وقد استعفى من الخدمة فى ٣١ يناير سنة ١٨٦١[١٢٨] أما التقاعد فقد قضى له فى يوليو من السنة عينها بمبلغ ١٤٢٩ روبلاً[١٢٩] ولم يطل زمن انتفاعه بهذا التقاعد فقد توفى فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٦١[١٣٠]

---

(١٢٤) وثيقة المدير عنه فى وثائق الكلية بتاريخ ١١ أغسطس سنة ١٨٥٩. قابل بارتولد المواد ١٢٠ IV.

(١٢٥) التفاصيل عند بارتولد. المصدر نفسه.

(١٢٦) وثيقة بتاريخ ٢٥ فبراير.

(١٢٧) توقيعه على هذه الوثيقة مروع.

(١٢٨) انظر بارتولد، المواد، ١١٩، IV وربما سلم العميد بهذه المناسبة لمكتبة الجامعة ١٨ نسخة من Traité طنطاوى فى ٢٧ فبراير سنة ١٨٦١.

(١٢٩) ربما أخذوا بعين الاعتبار معاشه فى الجامعة عندما عينوا له التقاعد، وكما نرى من سجل خدمته فى وزارة الخارجية كان معاش الطنطاوى ١٧١٤ روبل وبيتا للسكن.

(١٣٠) هذا هو التاريخ فى الوثائق الرسمية فى الكلية والجامعة وعلى أساسه يذكرونه فى عدة مصادر روسية وعربية، بارتولد المواد ١١٩و IV، فسيلوفسكى، القائمة ٢٣، كراشتكوفسكى B.A.A. II 1324, 563 هو: الزهراء، ٤٢٨ و ١٢٤٣ هو : Enzyklopedie des Islam. V 789

أما على قبره فالتاريخ ٢٧ اكتوبر كما أشرت قبلا.

كمـا يذكـر فى شهـادة لإمـام مسجـد بطـرسبـرج أنـه مات من مـرض الأكلة.

ولم يكن الطنطاوى وحيدًا فى غـربته فسجل خدمته يدل على أنه كان له زوجة تدعى أم حسن، وعلى حسب قول غوتولد كانت مصرية[١٢١]. وتوجد حكاية تتصل بها لم أتمكن من إثبات صحتها، فيقال: إنه عندما ظفر السياسى موخين تلميذ طنطاوى فى القاهرة بوظيفة قنصل عام فى أدرنوبل فى أواخر العقد الرابع حضر قبل سفره إلى موسكو لاستشارة الأستاذ الشهير بوديانسكى المختص الشهير بالأمور السلافية، وفى أثناء الحديث معه حكى موخين حكاية أدهشته لحد أنه رأى من اللازم أن يذكرها فى يومياته[١٢٢] فقال: إنه بينما كان يجول فى مصر التقى بشيخ عالم عرض عليه بأن ينتقل إلى روسيا لتدريس اللغة العربية فى بطرسبرج، فقبل طلبه ورحل إلى روسيا بعد مدة استعد خلالها بما يحتاج إليه لسفره، فاشترى جارية فى عشيرته وأرسلها لتحصيل العلوم إلى باريس ثم تزوجها.

ومع أن اسم الشيخ غير مذكور فى قصة موخين؛ فإنه من الواضح أن الكلام يجرى عن طنطاوى، ولم أتمكن من العثور على أى مصدر يثبت هذه الحكاية، وقد يكون واجبًا أن ننسبها لخيال موخين بقدر ما يمكن أن ننسب كلام سافيليف عن الأوروبيين الذين كانوا يدرسون فى الأزهر. وفى التاسع عشر من مايو سنة ١٨٥٠ ولدت امرأة طنطاوى ولدًا أسموه

---

(١٢١) غوتولد (شاهده عند أحمد تيمور BA. A, IV. 1924. 361 يصفها بأنها علوية (= شيعية أو من آل علىّ).

(١٢٢) «روسكاباستارينا 415 .1888 N II.

(١٢٣) التاريخ فى سجل الخدمة.

أحمد، وقد توفيت قبل زوجها، فنرى الطنطاوى يتوسل فى ١٧ أكتوبر سنة ١٨٦٠ بأن يأخذوا ابنه ليعيش فى داخلية إحدى المدارس الوسطى على حساب الدولة، بسبب مرضه وفقدان زوجته[١٢٤]. وفعلاً دخل أحمد جمناز لارينا فى ١٩ نوفمبر كما أمر رئيسها، وتوسل عميد الكلية لدى ذوى الأمر فى ١٩ ديسمبر سنة ١٨٦١ أعنى بعد وفاة طنطاوى بأن يبقى معاشه لابنه، وصار الوصى الرسمى على أحمد، الأستاذ كسوفينش الذى عرض سنة ١٨٧٠ باسم أحمد على جامعة بطرسبرج شراء مجموعة مخطوطات الطنطاوى[١٣٥]، وقد اشترتها المكتبة سنة ١٨٧١[١٣٦]. وهكذا استوطن الشاب أحمد الطنطاوى روسيا. ونجد بين وثائق الجامعة طلبًا بتاريخ ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٧٢ من أحمد عياد الطنطاوى التابع العثمانى لإدارة الجامعة أن يعطوه سجل خدمة أبيه؛ ليقدمه للإدارة الروحانية المسيحية فى بطرسبرج لأداء القسم حتى يستطيع الحصول على التبعية الروسية. وتوفى أحمد فى أواخر العقد الثامن من القرن التاسع عشر[١٣٧].

وقدم الوصى سولفيوف فى ٢٣ أبريل سنة ١٨٨٦ طلبًا إلى إدارة الجامعة بأن يعطوه وثيقة عن قسم طنطاوى الابن ليقدمها لمجلس الأشراف لإدخال حفيدة طنطاوى هيلانه فى طبقة الأشراف، وبذلك

---

(١٢٤) وهذا يدحض إخبار غوتولد عن أن زوجة طنطاوى توفيت بعده (أحمد تيمور).

(١٢٥) تقريظ غرغاس للمخطوطات محفوظ فى أوراق الجامعة بتاريخ ١٨ يناير سنة ١٧٨١ انظر مقالتى : غرغاس 3KB. III. 1928. 81.

(١٣٦) Indices. 5.

(١٣٧) يقول غوتولد إن قبر ابن طنطاوى وأمه كان معروفا على زمنه فى جبانة المسلمين (تيمور 391 - 1924 IV) . أما الآن فتوجد آثار قبر طنطاوى نفسه.

يمكن تربيتها فى دار أيتام الأشراف[١٣٨] وهكذا نرى أن حفيدة طنطاوى غدت مسيحية. وبهذه الوثيقة القصيرة تضيع آثار أسرة أصلها من بلاد الأهرام فى روسيا.

ولا يجوز أن يضيع اسم الشيخ طنطاوى حتى ولو قبلنا مع التحفظ قول غريغوريف بأن تدريس الشيخ لم يبق أثرًا فى روسيا، آخذين بعين الاعتبار الدور الذى لعبه فى الاستشراق الفنلندى، وتلك الخدمة القيمة لوطنه الثانى يجمع المخطوطات الشرقية، تلك المجموعة التى آلت فيما بعد إلى مكتبة جامعة بطرسبرج، والتى مكنتنا من إلقاء الضوء على الناحية الثانية من تاريخ حياته، وهى الناحية العلمية الأدبية. ولما كتب سافيليف سنة ١٨٤٠ «بأن اسم طنطاوى معلوم لدى كل من يدرس اللغة العربية مع أنه لم يؤلف شيئًا» لم يكن يعلم بأنه كان لدى الشيخ ما لا يقل عن ١٥ مصنفًا منتشرة على حسب عادة ذلك الزمن فى المخطوطات [١٣٩]. وقد تضاعف عددها خلال وجوده فى روسيا، كما زادت عدة مقالات مطبوعة باللغة الفرنسية.

ولوصف آثاره الأدبية وصفًا كاملا عدا دراسة مجموعة مخطوطاته ينبغى دراسة آثاره فى وطنه وفى هلسنكفورس. وإنى أشك فى أن تساعدنى الظروف على القيام بها، لذلك اكتفيت بتلك المواد التى بين يدى فى لينينغراد فقط.

---

(١٣٨) الطلب فى أوراق طنطاوى.

(١٣٩) فى المقالة التى نشرها ستوبين رأى الشيخ أن يذكر فقط خمسة من مصنفاته، وهى أكبرها.

الفصل الثالث

مصنفات الطنطاوى

كان الشيخ محمد عياد الطنطاوى (سنة ١٨١٠) معاصراً لأغلبية رجال النهضة الأدبية العربية البارزين فى القرن التاسع عشر[1]، لكنه سار على خطة غير التى سار عليها معاصروه الشهيرون، فلقد بقى فى عزلة عن الحركة العامة ولم يشترك فيها ويؤثر فى تطورها. وتاريخ حياته المعلوم الآن لدينا يفسر لنا بلا صعوبة هذه الظاهرة.

إن الطنطاوى كان ربّى الأزهر؛ حيث كانت التقاليد الكلامية ثابتة فى ذلك الحين، بعكس كثير غيره من رجال الأدب الذين كان أصلهم من سورية. أجل إن رفاعة الطهطاوى أحد المشاركين الأساسيين فى الحركة الجديدة فى مصر، لكنه عاش سنوات طويلة فى فرنسا، ورجع منها حاملاً نظريات جديدة. أما الطنطاوى فقد كان بعيداً عن دائرة صحفى ذلك العهد، الذين تحلقوا منذ سنة ١٨٢٨حول الجريدة العربية الأولى، وقد انضم الطهطاوى إليهم. ولا ندرى كيف يمكن أن نكيف حياة الطنطاوى فيما بعد لو لم يرحل إلى روسيا وله ثلاثون سنة من العمر، وبذلك قد انعزل عن حياة وطنه الروحية. لقد بدأ تأثير الاتجاه الجديد نوعًا ما فى الآداب فى العقدين الخامس والسادس من القرن التاسع عشر حين دهم المرض الطنطاوى. فى هذه السنوات فقط تكيفت أعمال البستانى والشدياق الأدبية، كما تكيفت المدرسة المصرية. وقد كان الطنطاوى فى هذا الحين منعزلاً عن وطنه لا علاقة له به حتى كاد ينسى، فنرى أن العلماء المصريين المندوبين للاشتراك فى مؤتمر المستشرقين المنعقد فى ستكهولم سنة ١٨٨٩ ما كانوا يعلمون عن وفاة

---

(١) ولد ناصيف اليازجى سنة ١٨٠٠، والطهطاوى سنة ١٨٠١، والشدياق سنة ١٨٠٤، وبطرس البستانى سنة ١٨١٩.

مواطنهم التى كانت قبل المؤتمر بثمانية وعشرين عامًا[٢]، لقد كان ازدهار أعماله الأدبية بين السنوات العاشرة والخامسة عشرة من إقامته فى روسيا. فهنا كتب أحسن مؤلفاته «وصف روسيا» المكتوب فى نسختين بخط يده. على أنها لم تبلغ فى الشرق إلا إسطنبول. فهذا الكتاب بموضوعه الجديد وأسلوب كتابته الحى يجعله يحتل مكانًا مرموقًا فى الآداب العربية الجديدة، ولو أنه مكتوب باللغة الفصحى المحض.

وليس من العدل أن نعد الطنطاوى ممثل المدرسة التقليدية تمامًا، لأن لمصنفاته صفة أخرى تميزه تمييزًا ملموسًا من غيره من رجال الأدب الجدد. فقد تكيفت تمامًا بعد انتقاله إلى روسيا مع أن أساسها نشأ فى مصر، وهذه الصفة هى اهتمامه العلمى نوعًا ما وأسلوبه المناسب لدراسة لغته وآثارها الأدبية. وبعكس غيره من رجال الأدب المصريين الذين تخرجوا فى مدارس المبشرين الأمريكان والفرنسيين والإيطاليين التقى الطنطاوى فى وقت مبكر بالمستشرقين الأوروبيين مما كان له أكبر الأثر فى عقله الحى الذكى. ونحن نعلم كيف أثر أسلوب E.W. Lane فى البحث العلمى على الدسوقى[٣] رفيق الطنطاوى وصديقه. وقد اشترك الطنطاوى فى ترجمة «ألف ليلة[٤] وليلة» التى قام بها Lane مؤديا له مساعدة فعالة، ولكن صداقة وثيقة ربطته بفرنيل Fresnel العالم الفرنسى، ومن الطريف أن تلميذه الأول هذا كتب: «ربما كان طنطاوى هو ممثل الشرق الوحيد المخلص والجاد فى إنعاش آثار الآداب العربية

---

(٢) انظر ما سبق.

(٣) انظر ما ذكر آنفًا.

(٤) انظر ما ذكر آنفًا.

القديمة الآن[٥]». ويمكن أن يكون الطنطاوى مدينًا لهذه المعاشرة بمعرفته نوعًا ما أساليب البحوث اللغوية الأوروبية وتوطد اهتمامه بهذه الأساليب تمامًا خلال إقامته فى بطرسبرج. فقد أعار نقد النصوص انتباهًا جديًا لم يكن معروفًا بين معاصريه، وسعى فى التحليل ليس للغة الفصحى فحسب بل وللعامية كذلك، مما كان نادرًا بينهم كذلك. وقد وجهت أعماله التدريسية - التى تطلبت كتبًا مناسبة للتدريس - اهتمامه هذا، فبذل الطنطاوى جهودًا كبيرة لإعداد هذه الكتب، محاولاً تكميلها حتى عندما كان المرض يحرمه استخدام يديه. ولم يكن رحيل الطنطاوى إلى روسيا مرحلة خارجية جديدة فقط فى حياته، بل إنه يمكننا أن نقسم مصنفاته إلى نوعين: القاهرى والبطرسبرجى، ومن الصعب أن نقيم حدًا بينهما، لأننا لا نكاد نعرف أكثرية مصنفاته إلا بالاسم فقط، ولعدم وجود تاريخ على أكثر مصنفاته يدل على زمن كتابتها.

بدأ الطنطاوى يكتب فى سن مبكرة كأكثر العرب الذين تعلموا فى المدارس. ويكاد يكون مستحيلاً أن نضع حدًا لكتاباته المدرسية ومحاولاته فى التصنيف، كما أنه يصعب علينا أن نشير إلى الجهة التى كان اهتمامه موجهًا إليها، ويعمل التقليد المدرسى عمله، فها هو الطنطاوى ينسخ بعض المصنفات القديمة ويصنف غيرها فى موضوعات مختلفة. فنراه فى السادسة عشرة ينسخ فى الأزهر رسائل مختلفة فى علم الفلك[٦]، وفى الثامنة عشرة يكتب بالأسلوب التقليدى [٣٢] ختمًا

(٥) انظر ما سبق.

(٦) انظر المواد رقم المادة vII, g VI, l.

على «شرح القطر [٣٤]» لابن هشام[٧]؛ وبعد وفاة والده عندما قضى فى حزنه كما يقول سنتين فى طنطا، كتب تعليقًا على شرح نظمه التعليمى «منتهى الآراب فى الجبر والميراث والحساب» مع[٨] أنه كتب فى تاريخ حياته أنه ما كان يميل إلى دراسة العقائد[٩]. وفى التاسعة عشرة والعشرين كتب حاشية على تعليق رسالة فى العروض[١٠]. ولا يمكن تحديد الرابطة التى تربط هذه المصنفات المختلفة الموضوعات، إنما التقليد فى سن الشباب كان يلعب الدور الرئيسى، والعادة المدرسية تحل محل كل استقلال فى العمل؛ لذلك نرى كل العلوم التى كانوا يلقنونها تنعكس فى المخطوطات المنقولة، وكذلك فى محاولات تصانيف شخصية مستقلة. ومن البدهى أن تكون هى الكتب المدرسية والرسائل، وخصوصًا التى كتبها معلموهم. فمن حيث الصيغة لا نرى إلا القليل من مصنفات الطنطاوى تصنيفًا مستقلاً، إذ إن أكثرها استقصاء فى مؤلفات غيره، ما بين شرح وتعليق أو تقييد وختم ونظم... إلخ.

وتتمثل العقائد والعلوم اللغوية فى مصنفات الطنطاوى فى عهده الأول على السواء تقريبًا. على أن البحوث اللغوية زاحمت فيما بعد كل شىء. ونرى أنه فى هذا الوقت قد روعيت المساواة المدرسية، إذ إننا نعلم أن له فى العقائد أربعة مصنفات أحدها مستقل والآخر استقصاء لمؤلفات غيره:

١ ـ غنية المريد فى علم التوحيد: توجد معلومات عن هذا المصنف المنظوم شعرًا فى مصر عند أسرة السقا[١١].

---

(٧) هناك رقم ٧.

(٨) المادة رقم ٢.

(٩) انظر ما ذكر آنفًا.

(١٠) المادة رقم ٢.

(١١) الزهراء I 426,1343 رقم ١٥.

٢ ـ حاشية على رسالة الباجورى [٣٥] فى العقائد: المخطوط موجود فى القاهرة فى مكتبة محمد الإنبابى، ورسالة الباجورى المنقولة بيد الطنطاوى محفوظة عند أسرة السقا ومصحوبة ببيتى شعر فى تقريظ هذا المصنف[١٢] يذكره أحمد تيمور[١٣] وسيقول: إنه مكتوب على أساس رسالة المعلم طنطاوى[١٤].

٣ ـ حاشية على التحفة السنية والعقائد السُنية: المخطوط فى مكتبة عبد المعطى السقا[١٥]، وضعت فى أساسه تعليقات إبراهيم السقا أحد معلميه[١٦] على شعر محمد بليح. يذكره أحمد تيمور[١٧].

٤ ـ شرح منظومة الشيخ السلمونى فى العقائد: يذكره أحمد تيمور[١٨]، والزهراء[١٩]. المخطوط مكتوب بالنثر المسجع. ولم أجد معلومات غيرها عنه.

٥ ـ ختم على متن الجوهرة [٣٦] فى العقائد للقانى: تذكر الزهراء[٢٠] هذا المخطوط على أساس معلومات عائلة السقا. ورسالة اللقانى (توفى سنة ١٠٤١ ـ ١٦٣١) منظومة شعرًا، ومعروفة بعنوان

---

(١٢) ٤٢٤ رقم ٢.

(١٣) RAA,IV,1924,388.

(١٤) انظر Brokelmann, GAL, II,487, 2. لقد سبق الكلام عن واضعه.

(١٥) الزهراء، ibid, 424,N1.

(١٦) انظر أعلاه.

(١٧) L.C., 388.

(١٨) ibid.

(١٩) ibid, 424, N3.

(٢٠) ibid. 425, N17.

«جوهرة التوحيد» عليها شروح وتعليقات للباجورى[٢١] تفسر لنا اهتمام الطنطاوى بهذه الرسالة.

ويوجد عدد كهذا تقريبًا من مؤلفات الطنطاوى فى القواعد مكتوبة فى عهده القاهرى، وربما كان بينها رسائل من تأليفه، وعلى كل حال يتكلم الطنطاوى فى رسالته التى نشر ترجمتها ستوبين[٢٢] عن:

٦ـ قواعد الصرف: وقد ترك الطنطاوى مخطوطه هذا عند تلاميذه فى الأزهر. ولا يوجد بين مؤلفاته التى عندنا شىء يشبه هذا المؤلف؛ لأن كل المؤلفات التى لدينا هى استقصاء مؤلفات غيره سواء أكان ذلك فى عهده الأول أم الثانى.

٧ـ نظم تصريف الزنجانى[٢٣] [٢٧]: المخطوط مكتوب بخط الطنطاوى ومحفوظ فى مكتبة جامعة لينن‍غراد وهو بتاريخ ١٢٥٥ ـ ١٨٣٩[٢٤]، ولا أظن أن هذا التاريخ صحيح، وربما كتبه قبلاً، لأن هذه الرسالة نفسها مكتوبة بغير صورة.

٨ـ حاشية الزنجانى: فيما عدا تاريخ حياته[٢٥] نرى هذا المخطوط مذكورًا عند أحمد تيمور[٢٦] والزهراء[٢٧] ، وهو أقدم مصنفاته عهدًا التى وصلت إلينا فى هذا الموضوع.

---

(٢١) Brockelmann, II,186-137.

(٢٢) انظر أعلاه.

(٢٣) توفى سنة ٦٥٥ ـ ١٢٥٧ Brockelmann. I 283,N 16.

(٢٤) انظر المواد رقم ٥ المخطوط مذكور فى القائمة ٢٩: كراتشوفسكى, RAA,IV. 1924,563 الزهراء I ١٣٤٣، ٤٢٥ رقم ٥.

(٢٥) تاريخ حياة طنطاوى ص ٥٣، س ٨ ـ ٩.

(٢٦) R A A,IV, 1924 -388.

(٢٧) I, 1343, 425 N 5.

٩ ـ ختم على شرح القطر لابن هشام[٢٨]: مخطوط مكتوب بيد الطنطاوى ومحفوظًا فى مكتبة الجامعة بتاريخ ٢ شعبان سنة ١٢٤٣ (١٨ فبراير سنة ١٨٤٨)[٢٩] عندما كان عمر طنطاوى ثمانية عشر عامًا، ولربما كان ينتسب إلى عهد دراسته فى الأزهر قبل وفاة والده التى اضطر بعدها إلى رحيله إلى طنطا. ويوجد مخطوط ثان لهذا المصنف فى ميونخ[٣٠] نسخة دغيمش الطحطاوى ناسخ مؤلف آخر لطنطاوى «حاشية على منظومة» المحفوظ هناك أيضًا[٣١]. وربما كان الدكتور Pruner الذى درس على الطنطاوى فى مصر[٣٢] هو الذى قدم المخطوطين لمكتبة ميونخ. والمخطوط معروف فى مصر وطن الطنطاوى، تذكره الزهراء[٣٣] عن لسان السقا. وينتسب المؤلف التالى إلى زمن بعده.

١٠ ـ تقييدات على شرح الأزهرية [٢٨]: نسخة الجامعة بخط يده بتاريخ ١٢٥٢ . ١٨٣٧[٣٤] فى زمن تدريس الطنطاوى فى الأزهر. وفى أساس الرسالة المعروفة فى الأزهر برسالة خالد الأزهرى فى قواعد اللغة، مصحوبة بتعليقات الشيخ حسن العطار الذى كان معلمًا

---

(٢٨) المعلومات عن الكاتب «توفى ١٣٦٠/٧٦١» انظر .Brockelmann, II, 23.

(٢٩) انظر المواد رقم V, I: قابله بالنهرست ٣١.

(٣٠) J. Aunmer, Die arabischen Handschriften der K.No7-und Stasts bibliotnek in Münchèn, Münchèn, 1866. 332, N743.

(٣١) ibid, 313, N687.

(٣٢) عن الكتاب انظر فيما يلى.

(٣٣) انظر أعلاه: I,426,NI6.

(٣٤) المواد رقم ٤، ويذكره الفهرست ٢٦: كراتشكوفسكى RAA, IV 1927, 563.

لطنطاوى[٣٥]. ولربما كان أحمد تيمور يعنى الرسالة نفسها بعنوان «حاشية على شرح الأزهرية»، والنسخة الثانية فى مصر ملك أسرة السقا.

ويذكر طنطاوى فى رسالته عن مؤلفاته فى البلاغة:

١١ ـ رسالة فى علم البلاغة: تركها عند تلاميذه فى الأزهر. على أن كل مصنفاته الأربعة لدينا فى هذا الموضوع هى استقصاء رسالات غيره. وكانت المنظومة السمرقندية[٣٥] [٣٩] معلومة فى المدارس الإسلامية حتى عهد قريب. ويرتبط اسم الطنطاوى بالمؤلفات التالية:

١٢ ـ نظم السمرقندية: المعروفة لذكرها عند مؤلفى تاريخ حياة طنطاوى الشرقيين[٤٠].

١٣ ـ شرح السمرقندية: بهذا العنوان يذكرها أحمد تيمور[٤١] والزهراء[٤٢]، ويشار إلى أن المخطوط موجود عند عائلة السقا، ولربما كان هناك مخطوط آخر من المصنف نفسه محفوظًا فى ميونخ بخط دغيمش الطحطاوى يسمى «حاشية على منظومة»[٤٣] بتاريخ ١٢٥٥هـ

---

(٣٥) توفى سنة ١٤٩٩/٩٠٥ Brockelmann II 27,N4.

(٣٦) انظر أعلاه.

(٣٧) RAA, IV, 1924, 388.

(٣٨) الزهراء: I, 425, N7.

(٣٩) نظمت نحو سنة ٨٨٨ ـ ١٤٨٣ Brockelmann, II,194, N 7.

(٤٠) أحمد تيمور R A A, IIV, 1924,563 والزهراء رقم ٧ صفحة ٤٢٥.

(٤١) Ibid, 388.

(٤٢) Ibid, 425, N 8.

(٤٣) d Aumer,of.cit. 313, N 687; Brockelmann, II,194'N 7.

١٨٣٩م، والذى يمكن أن نعده واحدًا من استقصائه الباقيين. وهما على كل حال لا يحملان صفة مستقلة، وفى المصدر الوحيد الذى يذكرهما يسميان «تعليق - تعاليق».

١٤ - تعليق حاشية الباجورى على السمرقندية: وهذا المؤلف معروف لذكر الزهراء[٤٤] له فقط، حيث يعد فى جملة ملاحظات الطنطاوى على كتب الدراسة المستعملة فى الأزهر، ولقد كان الباجورى معلمه، لذلك يصبح من المفهوم بداهة اهتمام الطنطاوى بمصنفاته، وكذلك نعلم عن استقصاء الطنطاوى لمؤلف الباجورى فى العقائد[٤٥]. وعلى ما يظهر أن مصنف الطنطاوى التالى يحمل زيادات قليلة فقط. وهو:

١٥ - تعليق حاشية الأمير [٤٠] على الملوى على السمرقندية فى البيان[٤٦]: وهذا المؤلف تذكره الزهراء[٤٧] فقط، أما ما يتعلق بالعروض والشعر العربى فنعرف لطنطاوى:

١٦ - لذيذ الطرب فى نظم بحور العرب: بداية الكتاب محفوظة فى مصر[٤٨] ومنها نعلم أن الطنطاوى كتبه بطلب من صديقه محمد قطة الذى نصادفه فى تاريخ حياة الطنطاوى غير مرة[٤٩]. والغاية من الكتاب

---

(٤٤) I, 1343, 426, N2.

(٤٥) انظر المصنف رقم ٢.

(٤٦) عاش المؤلفان فى الجيل الثامن عشر: توفى الملوى سنة ١١٨١ - ١٧٦٧ وأنهى محمد الأمير تعليق الحاشية نحو سنة ١١٨٥ - ١٧٧١ Brockelmann II, 194, N7,I, 4, 5.

(٤٧) L.C., 426, N 19.

(٤٨) الزهراء I ٤٢٦، رقم ١٤.

(٤٩) انظر ما سبق.

أن يكون للتدريس على نمط الرسائل العديدة فى البحور التى كانت تستعملها الأجيال السابقة. على أنه يجب أن نرى فى هذا المؤلف الكتاب المذكور فى رسالة الطنطاوى التى نشرها ستوبين. وكان الأحسن أن نترجم كلمة Poictika بعلم البديع، لكنا لا نعرف مصنفًا لطنطاوى بهذا الموضوع، ولربما كان ضعف معرفة اللغة الروسية فى بدء إقامته فى روسيا سببًا فى عدم استعمال المصطلح اللازم.

١٧ ـ حاشية الكافى [٤١] فى علمى العروض والقوافى: المخطوط الأصلى الذى تمت كتابته فى ذى الحجة سنة ١٢٤٥ (مايو ـ يونيو سنة ١٨٣٠)(٥٠) والمخطوط مهم جدًا وحافل بعدة زيادات وتعليقات بيد طنطاوى تحوى مواد قيمة لتاريخ حياته، فتبين منها أن الطنطاوى كتبها بعد وفاة أبيه فى عهد إقامته فى طنطا، عندما بلغ منه الكدر كما هو معلوم لدينا من تاريخ حياته، وانتهى منها فى ذى الحجة سنة ١٢٤٥ أعنى بعد سنتين تقريبًا من حصوله على الإجازة من شيخه فى طنطا القناوى فى ٢٠ من المحرم سنة ١٢٤٤ (٣ أغسطس ١٨٢٨)(٥١)، والتاريخ الثانى المهم هو نهاية نسخ الأصل، وهو يحدد لنا وقت إقامة الطنطاوى فى (الحجر الصحى) فى إسطنبول خلال سفره إلى روسيا ٢٨ أبريل سنة ١٨٤٠. ويثبت هذا التاريخ فى وصف سفره حيث يقول: إنه غادر إسطنبول فى ٢٣ أبريل على حسب التقويم الشرقى(٥٢). ومؤلف

---

(٥٠) المواد رقم٢. مؤلف الكتاب أحمد بن عياد القناوى توفى سنة ٨٥٨ ـ ١٤٥٤ ومخطوطاته والتعليقات الأخرى عليها معروفة فى أوربا. انظر Brockelmann.II, 27, N 15 .

(٥١) انظر ما ذكر آنفًا.

(٥٢) انظر ما ذكر آنفًا.

الطنطاوى هذا معروف فى مصر[٥٣] ، ومن هذا المخطوط نعلم أن لطنطاوى مصنفًا خاصًا لهذا[٥٤] الكتاب وهو:

١٨ . **تعليق الكافى فى علمى العروض والقوافى:** فى مقدمة: المصنف السابق[٥٥] يقول الطنطاوى: إنه انتقى بعض قطع من الرسالة ذاتها قبل كتابة المصنف السابق، وجعله تعليقًا على المتن المعروف بالكافى فى علمى العروض والقوافى. ثم أهمله ونسيه. وبما أن المصنف السابق يرجع إلى سنة ١٢٤٥ (١٨٣٠) فمن الممكن أنه كتب «التعليق» عندما كان يدرس فى الأزهر.

وتنتمى إلى العهد القاهرى مصنفات الطنطاوى فى موضوعات لم يكن - على حسب قوله - يميل إليها فيما بعد. وبوجه الإجمال يجب أن ننظر إليها طبعًا باعتبارها محاولات لطالب فى عهد الطلب، لا سيما أنها تكاد تكون أول مصنفاته المعلومة لدينا.

١٩ . **منتهى الآراب فى الجبر والميراث والحساب:** وهى منظومة من وزن الرجز تتناول أمور وأحكام الميراث المرتبطة عمليًا عادة بمسائل حسابية. وفى المقدمة لتعليق طنطاوى التى وصلت إلينا[٥٦] يسمى المؤلف: منظومة فى علوم الإرث والحساب والجبر، وهى محفوظة كأساس لمصنف آخر.

---

(٥٣) أحمد تيمور: R A A, IV, 389.

(٥٤) يذكرها الفهرست، ٢٩؛ كرتشوفسكى ٥٦٣ R A A, IV والزهراء: I, 425, N 9.

(٥٥) النص فى المواد رقم ٢.

(٥٦) انظر المواد رقم ٢.

٢٠ ـ **مشتهى الألباب على منتهى الآراب**: مخطوط هذا التعليق محفوظ فى مكتبة الجامعة[٥٧] ويظهر منه أن المخطوط المكتوب بيد الطنطاوى ينتسب إلى ذلك العهد الحزين فى حياته، عندما كان عائشًا فى طنطا، ففى المقدمة يقول: وقد اختلست هذه العجالة من أيدى الزمان، ونافحت بها صروف الحدثين، مع ما أنا فيه من تجرع صاب الأوصاب، ونبو الأهل والأحباب. وقد انتهى من كتابة المسودة فى العاشر من المحرم سنة ١٢٤٥ (١٢ يوليو سنة ١٨٢٩) وبيضها فى السابع من ربيع الأول (٦ من سبتمبر)[٥٨].

وفى عداد مؤلفات الطنطاوى فى هذا العهد التى نعرفها بعناوينها فقط نذكر:

٢١ ـ **تعاليق على حاشية المقولات للعطار** [٤٢]: تذكرها الزهراء فقط عن لسان السقا من جملة تعاليق الطنطاوى على كتب التدريس فى الأزهر[٥٩]، قد كان العطار معلمًا لطنطاوى فمن المفهوم أنه كان مهتمًا بدراساته، كما كان مهتمًا بدراسات الباجورى من قبله كما رأينا من قبل، وليس لدينا معلومات عن أى مصنف للعطار يجرى الكلام عليه.

أما ما يختص بالمصنفين الباقيين فكأنهما يمثلان الانتقال إلى أعماله فى عهده فى بطرسبرج. الأول منهما:

٢٢ ـ **عن أصل أسماء الناس والخيل الأصائل**: هكذا يذكره الطنطاوى فى رسالته التى نشرها ستوبين، ويقول: إن هذا المصنف الأخير ينقسم

---

(٥٧) انظر المواد رقم ٢.

(٥٨) يذكر الفهرست ٤٢ المخطوط: كراتشكوفسكى RAA, IV, 563 والزهراء 25, N 10.

(٥٩) I, 426, N 18.

إلى قسمين، ومكتوب على حسب الأبجدية، وهو محفوظ عنده. ولا يوجد أثر لهذا المصنف فى المواد المحفوظة فى مكتبة بطرسبرج، ومما لا شك فيه أن هذا المصنف كان له وجود. وأكبر الظن أن الطنطاوى كتبه أو بالحرى الجزء الثانى منه بوحى من الدكتور Perron الذى نشر:

Nobiliaire des chevaux arabes d'après le Cheikh Mohammed Ayâd de Tantah.(٦٠)

وهذا المصنف دخل فى القسم المناسب من العلوم الأوروبية بفضل كتاب perron ويذكره(٦١) Mercier و Hammer (٦٢) فى بحوثهما ولا نعلم المكان الذى يحفظ فيه، فربما كان طنطاوى قد أعطاه لـ pelron بعد رحيله إلى روسيا. ويذكره طنطاوى كذلك فى الكتيب الذى نشره ستوبين والذى ذكرناه مرارًا كمصنف مستقل بذاته.

٢٣ ـ «مجموعة اشعار»: وليس معلومًا: هل كانت هذه الأشعار مجموعة فى ديوان واحد؟ وعلى كل حال لا يوجد أثر له للآن، على أن عددًا كبيرًا من أشعار متفرقة للطنطاوى معلومة لدينا إليها نظم المسائل العلمية شعرًا، مما هو محبوب عند العلماء فى جميع الأزمنة. وأشعاره إما قصائد مدح أو رثاء، وإما مقطوعات قصيرة. وكما رأينا كان الطنطاوى

---

(٦٠) للأسف، لأنى أعرف المخطوط من حاشية عند L. Mercier. La chasse et les sport chez les arabes. Paris, 1927. 238. ولا يوجد ذكره فى المقدمة لبحث جديد لـ:
G. Levi della Vida, les. "livres des chevaux" de Hisham ibn al Kalbi et Muhammad ibn al-A'rabi. Leyde, 1928.

(٦١) Das P ferd bli den Arabern. Wien. 1856. 14.N 85 [٤٢].

(٦٢) وانظر ايضًا مؤلفه: La parure des cavaliers et l'insigne des, Preux paris 1924. 427.

ينظم بكثرة فى وطنه كقصيدته فى مدح الباجورى[٦٣]. وقد زاد نظمه خاصة بعد رحيله إلى روسيا بمناسبة احتفالات كانت تجرى فى القصر. ويمكننا أن نقدر قيمتها حينما نقرأ القصيدة المنشورة[٦٤] وتلك الأشعار العديدة المحفوظة فى المواد الموجودة فى مكتبة الجامعة[٦٥]، وفى الغرفة التركية فى قصر كاترينا فى ديتسكى سيلو.

ويتفنن طنطاوى فى نظمه الأشعار كغيره من الأدباء، لإظهار إتقانه اللغة والشعر، ونصادف التواريخ الشعرية فى كل منظوماته وقصائده تقريبًا. ومثال تفنن الشيخ فى قصائده يمكن أن نراه فى قصيدة مدح فيها السلطان عبدالمجيد[٦٦]. ونرى فى «وصف روسيا» عددًا كبيرًا من المقطوعات القصيرة فهى بسيطة مرحة لا تخلو من الذكاء. وبجانب الأشعار الكلاسيكية نرى فى كتابه للدراسة أكثر من أربعين قصيدة يحاكى فيها الشعر الشعبى «المواويل»[٦٧].

ويجب أن نقسم مراسلات الطنطاوى إلى عهدين كما فعلنا بأشعاره.

٢٤ ـ الرسائل[٦٨]، لا يوجد شىء لدينا من رسائله فى عهده المصرى، وربما لم يكن داع لذلك إذ ذاك، ولكن فى بداية إقامته فى بطرسبرج كان

---

(٦٣) انظر ما ذكر آنفًا.

(٦٤) Traité فى أول الكتاب صفحات دون أرقام، والمخطوط محفوظ فى مكتبة الجامعة (انظر المواد رقم ٦، XVIII).

(٦٥) انظر المواد خصوصًا فى رقم ٨.

(٦٦) وصف روسيا، ٣. الأحرف الأولى من الشطرات الأولى تؤلف كلمات حضرة السلطان عبد المجيد خان، والحروف الأولى من الشطرات الثانية: خلد الله ملكه إلى آخر الزمان.

(٦٧) Traité ١٧٦ ـ ١٩٨. الأصل محفوظ فى مكتبة الجامعة. انظر المواد رقم ٦، XIX.

(٦٨) كتبت عن رسائل طنطاوى المعلومة لدى، ووصفتها فى النظرة العامة لمصادر تاريخ حياته، واستغلت المعلومات المذكورة عنده فى الفصول المناسبة.

حريصًا على علاقته بوطنه، لذلك كثيرًا ما كان يلجأ إلى المراسلة خصوصًا مع رفاقه. وقد حفظ لنا فى كتابه للتدريس أسلوب مكاتبته الرفيع. فنصادف بين مراسليه عددًا من أصدقائه الحميمين كطهطاوى وقطة والدسوقى، وله عدة رسائل ليست من هذا الطراز الأدبى الذى كان يفتن فيه. بل هى عملية ودية. ومثال لهذه الأخيرة رسالتاه إلى Wal-linj المحفوظتان فى مكتبة جامعة هلسنكفورس، ورسالة إلى غو توالد فى مكتبة جامعة قازان[٦٩]. ولا نحتاج إلى الإشارة إلى أهمية هذه الرسائل وتلك كمواد قيمة لتاريخ حياته. ولكن من الجهة الأدبية فإن رسائله الأولى هى مثال للأسلوب العربى الرفيع فى نصف القرن الماضى، وفى آخر حياته نضب ينبوعه هذا بمناسبة إلحاح المرض عليه.

وكمقدمة لعهده البطرسبرجى نرى.

٢٥ ـ تاريخ حياته. إن أصله واضح لدينا. فقد كتبه الشيخ للمستشرق فرين ليكون له بمثابة منهج حيوى (curriculum Vitale) عندما تحتاج شهادته إليه. ويظهر من العبارة الأخيرة فيه: أنه كتبه بعد حضوره إلى روسيا. ولا نعلم أين الأصل، فإن بين المواد التى فى الجامعة ورقة واحدة مكتوبًا عليها ـ على ما يظهر ـ مسودة النص الأولى[٧٠]. والفرق أنه لا توجد فيه إشارة معينة إلى تلك المصنفات التى درسها أو شرحها طنطاوى، ولربما كان هذا زيادة كتبها طبقًا لمشورة فرين، وعلى أساس نصى تاريخ حياته أتيت به فى الملحق.

---

(٦٩) لقد ذكرتها فى مجلة المجمع العلمى العربى ١٧، ٥٦٣ وعنى نقلتها الزهراء I، ٤٢٦ رقم ٢١.

(٧٠) انظر المواد رقم ٢ الورقة ٦٦.

وأصبح تاريخ حياة الطنطاوى سهل المنال للعلماء، بفضل النشرة التى كتبها[٧١] Kosegarten وقد استمد أصلها من فرين، وربما كان ذلك بمناسبة الاهتمام بشخصية الطنطاوى فى أوربا، حين إصداره وقد أصدر أيضا Kosegarten الترجمة "Traité de la langue arabe vulgaire" (1848) وشرح له الطنطاوى بناء على طلبه . العبارات الغامضة. وأهم من هذا كانت تصحيحات غوتولد[٧٢] الذى كان فى هذا الوقت فى قازان، وتمكن من تحقيق كل المصنفات التى تدرس فى الأزهر، والتى أشار إليها الطنطاوى، وهكذا نالت آثار تاريخ حياة الشيخ اهتمامًا حقيقيًا فى الأوساط العلمية، فنرى غريغوريف يسميه بحق، «أطرف مصنف للشيخ العالم»[٧٣]. وكثيرا ما كان هذا التاريخ مرجعًا للعلماء عندما كان الكلام يجرى على حياة المسلمين الثقافية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، وخصوصًا على التدريس فى الأزهر[٧٤]. وهو يحتفظ بأهميته للآن[٧٥] كوثيقة أساسية عن حياة الطنطاوى ولا سيما عند وصف حياته فى العهد المصرى[٧٦] ، ومن الجهة الأدبية يثير هذا المؤلف الاهتمام باعتباره مثالا فريدًا نادرًا فى الأدب العربى للتراجم الذاتية. ومما[٧٧]

(٧١) Z K M, VII, 1850,43-63, 197-200.

(٧٢) Z D M G, IV, 1850, 213-248.

(٧٣) الجامعة الإمبراطورية فى بطرسبرج، ٢٥٣.

(٧٤) انظر مثلا مقالتى ف.ف. غرغاس 3K 52 III, 1928, 67-68.

(٧٥) بقى تاريخ حياة طنطاوى بقلمه مجهولا لدى مؤلفى تاريخ حياته (تيمور وكاتب المقالة فى الزهراء)، وقد ذكرته فى مجلة المجمع العلمى العربى، العدد الرابع، ٥٦٢ ونقلتها الزهراء I، ٤٢٦ - ٤٢٧، رقم ٢٢٥.

(٧٦) شرحت أهمية هذا المخطوط لتاريخ حياة طنطاوى فى باب المصادر من هذا الكتاب.

(٧٧) هذا النوع من الآداب نادر الاستعمال. انظر ما قلته بمناسبة تاريخ حياة أسامة بن منقذ.

يدعو إلى الأسف أنه قصير وينتهى سنة ١٨٤٠، ويعطينا صورة كاملة عن رحيل طنطاوى إلى روسيا وتأثره بهذه البلاد الجديدة.

٢٦ ـ **تحفة الأذكيا بأخبار بلاد روسيا**(٧٨). وهو بلا شك أكبر مؤلفات الطنطاوى الأدبية، أهداه إلى سلطان تركيا عبد المجيد (١٨٣٩ ـ ١٨٦١) وقد كتبه نحو سنة ١٢٦٦ ـ ١٨٥٠، وهو محفوظ فى نسختين فالنسخة الأولى التى وجدها العالم الألمانى Rescher(٧٩) فى أحد مساجد إسطنبول هى النسخة الأصلية. ومن الممكن أن يكون هذا المخطوط هو النسخة التى أهداها الطنطاوى إلى السلطان، ثم آلت إلى أحد المساجد. وبفضل مساعدة الأستاذ M. F. Kuprelu Fouad تمكنت من الحصول على صورة هذا المخطوط وإعطاء معلومات أولية عنه(٨٠).

ثم بعد هذا فى خريف سنة ١٩٢٨ وجدت فى ليننغراد النسخة الثانية، والحرفان .F.N المحفوران على التجليد يجعلاننا نزعم أنها كانت ملكًا لسليم نوفل، خليفة الطنطاوى فى القسم التعليمى التابع لوزارة الخارجية (سليم بالروسى Friney)، والنسخة مكتوبة بيد الطنطاوى نفسه، ويظهر أنها المسودة(٨١).

ويعطينا فهرس المخطوط(٨٢) صورة واضحة عن أهمية هذا المؤلف من الوجهة الأدبية والوجهة التاريخية الثقافية لتاريخ حياة المؤلف. فمنه

---

(٧٨) عن أهمية هذا المخطوط لتاريخ حياة طنطاوى انظر «التوطئة».

(٧٩) . Zeitschrift fur Semitistik, III, 1924.252

(٨٠) مؤلف مجهول للشيخ طنطاوى D A H. B 1927, 181-186.

(٨١) التفاصيل فى مقالتى: مخطوط جديد فى وصف روسيا للشيخ طنطاوى وخاتمة المخطوط بخط الشيخ تراها فى هذا الكتاب D A H. 13. 1928, 302-305.

(٨٢) . D A H-R, 1927, 182-186

نتعرف ببرنامج سفره من القاهرة إلى بطرسبرج بالتفصيل، وبوصف كل ما صادفه ورآه: وما عدا هذا نعرف منه بعض تفاصيل عن حياته خلال السنوات العشر الأولى من إقامته فى روسيا، لأنه أنهى كتابة المخطوط سنة ١٢٦٦ ـ ١٨٥٠ كما رأينا من قبل.

لقد ساعد حب الاطلاع والتأمل الشيخ الطنطاوى على أن يصف تفاصيل لم تفقد أهميتها للآن عن حياة روسيا فى نصف القرن الماضى، كما وصف بطرسبرج وموقعها. أما من الجهة الأدبية فهذا المخطوط يدل على ازدهار عبقرية الطنطاوى وتفتح إمكانياته الكامنة فيه، ومع أن المخطوط مكتوب باللغة العربية الفصحى الخالصة، فإنه لا يخلو من الخفة والأناقة، والأشعار فيه منثورة فى أوله وكذلك فى نهايته، فتقرؤه باشتياق، ولا سيما أن كاتبه لا يخلو من المرح وروح الفكاهة.

أما الصفحات التى يصف فيها بطرسبرج القديمة، وتاريخ بطرس فقد فقدت أهميتها لنا، إلا أنها تحتفظ بها للعرب حتى الآن. فهذا المخطوط هو الوحيد الذى يستحق بحثًا خاصًا، فالبحث الخاص يمكننا من تقدير أهميته تقديرًا تامًا.

أما بقية مؤلفات الطنطاوى فهى تنتسب إلى عهده البطرسبرجى، لا بزمنها فقط بل وبروحها، فإذا رأيناه يستمر فى نظم القصائد بمقتضى خدمته، فإننا كذلك نرى تغير نظريته بالنسبة لأعماله تغيرًا أساسيًا، إذ إنه بدأ يفهم أساليب البحوث العلمية الأوربية. فاستدعت عوامل مختلفة ظهور مؤلفات كان الداعى لتأليف بعضها اهتمامه بالبلاد الجديدة واستجابته لمطالب ومهام العلم العصرى، والأخرى - وهى أكثرها- متعلقة بأعماله المدرسية. فمن النوع الأول:

٢٧ - «ترجمة تاريخ الروسيا الصغير لأوسترالوف». فقد عرفنا بوجود هذه الترجمة من عبارة مكتوبة فى «وصف روسيا»، فبعد أن ينتهى من الفصل الأول يقول[٨٣]: «وفيما ذكرناه هنا كفاية لمعرفة أصل الروسيا، ومن أراد بقية التاريخ فعليه بترجمتى لتاريخ الروسيا الصغير لأوسترالوف».

ومن الصعب أن نقول: كيف قام الطنطاوى بهذه الترجمة؟ ويظهر أنه ألم باللغة الروسية نوعًا ما فى العقد الخامس، ويدل على هذا نقل الكلمات الروسية نقلاً صحيحًا فى مخطوطه «وصف روسيا» وترجمة بعض أشعار مدرجة فيه. ولكننا نشك فى إتقانه اللغة الروسية؛ إذ إن ترجمته للأمثال التى سيأتى الكلام عنها[٨٤] تشير إلى ذلك. ولا يعنى هذا أنه لم يترجم بنفسه من الروسية أو من غيرها من اللغات الأوربية الغربية، بل إنه قد قام بهذه الترجمة بمساعدة تلاميذه الروسيين، أو أصدقائه العلماء.

وعندما بدأ الطنطاوى يعلِّم فى الجامعة كان أوسترالوف عميد الكلية، فمن الممكن أن يكون الطنطاوى قد عَرِفَ بمؤلفاته[٨٥] التى صدرت قبل ذلك بقليل، فترجم كتابًا منها. على أننى لم أتمكن من الوقوف على أثر هذه الترجمة.

وفى عهده البطرسبرجى ظهرت بعض مؤلفاته نتيجة اهتمامه وبالآداب الشعبية (بالفولكلور) ، وربما كان ذلك تحت تأثير العلماء الأوروبيين وبحوثهم.

---

(٨٣) تاريخ حياته ٥٩.

(٨٤) المواد رقم ١٠.

(٨٥) رسم التاريخ الروسى (بطرسبرج ١٨٣٩)، وكتاب لدراسة تاريخ روسيا (١٨٤٠) انظر غريغوريف، الجامعة ٢٢٣.

٢٨ - حال الأعياد والمواسم فى مصر. مقالة صغيرة محفوظة فى مكتبة الجامعة[٨٦] بخط يد الطنطاوى، ويظهر أنه كتبها بمناسبة نقله فصلاً من الخطط للمقريزى، فزاد عليه شيئًا وكتب شيئا فى وصف الأعياد المعاصرة له فى مصر، والمقالة مهمة بلا شك لأنها توقفنا على العادات والتقاليد المصرية فى فترة خاصة من تاريخها.

٢٩ - كتاب الحكايات: مجموعة فيها ثلاث وعشرون حكاية مختلفة الحجم، مكتوبة بيد الطنطاوى ومحفوظة فى مكتبة الجامعة[٨٧]. فبعضها معروف من المصادر الأدبية، والبعض الآخر مكتوب على أساس محفوظاته المصرية، ولذلك نرى أنه كثيرًا ما يخلط اللغة العامية بالفصحى، والحكاية التى نشرتها نقلاً عن المخطوط رقم (٥) تمكننا من أن نتصور صفة المجموعة كلها[٨٨].

واستدعى التدريس عدة بحوث نجد بعضها فى المسودات فقط. منها:

٣٠ - «ملاحظات فى تاريخ الخلافة والشرق الإسلامى» مبعثرة فى بعض مخطوطات مكتبة الجامعة[٨٩]. ويدل برنامج الدراسة فى الجامعة على أن الطنطاوى ألف فى وقت ما قراءة تاريخ العرب[٩٠]، ويظهر أن هذه الملاحظات كانت مواد للتدريس، وليس لها أهمية علمية.

---

(٨٦) المواد رقم ٦، IV، الورقة ٥٠×٦٠٧.

(٨٧) المواد رقم ٧ يذكر iadices 40 هذا المخطوط؛ كراتشكوفسكى: RAA, IV, 563 الزهراء .I, 425 N II.

(٨٨) حكاية «كيد النسا يغلب كيد الرجال» D A M-B., 1926.23-26.

(٨٩) انظر المواد رقم ٥، III ورقة ٢٤٧،٣٢؛ رقم ٦، XVII ورقة 115-158 تذكرها الزهراء عن لسانى.

(٩٠) انظر ما سبق.

٣١ ـ قواعد اللغة العربية (باللغة الروسية) هذا المخطوط محفوظ فى مكتبة الجامعة[٩١] وأكثره منسوخ (مبيض)، وكان تحرير هذا المخطوط النهائى فى نصف العقد الخامس[٩٢]، والمخطوط يتناول اللغة الفصحى فقط. ولا يمكن أن نحسبها «قواعد اللغة العربية العامية» التى قال عنها غوتوالد فى سنة ١٨٤٧[٩٣] إنها معدة للطبع منذ سنتين. كما لا يمكننا أن نرى فيها تلك القواعد الموجودة فى القاهرة عند أصدقائه، كما ذكر الطنطاوى فى الرسالة التى نشرها ستوبين. والنص مقسم قسمين وكل منهما مقسم إلى فصول، وهذه بدورها تنقسم إلى عدة أجزاء تحت الأرقام أو بعنوان: جملة.

وعنوان المخطوط مكتوب بالعربية: «النحو العربى» وتليه توطئة تتناول الحديث المعروف عن أبى الأسود وسيبويه والكسائى وغيرهم. ففى الرزمة الأولى نرى الجزء الأول: الحروف الرزمة السابعة من ١٩٤ عن الكلام وأجزائه بالعربية مثلاً (المنصوبات)، وينقطع النص عند المادة ٣٨٨ (حروف الجر).

والقواعد مشروحة بالتفصيل على حسب الأسلوب العربى الموضوع فى أساس الكتاب، ولبعض تفاصيله أهمية علمية بلا ريب، ولو درست درسًا جديًا لكانت مواد قيمة لبعض المسائل. وكثيرًا ما يأتى المؤلف بأمثال من الأشعار. ومما يسترعى النظر تصحيحاته الجدية المنتظمة لكتاب سلفستر دى ساسى Silvestre de Sasy، من النوع الذى نجده فى مقالات الطنطاوى باللغة الفرنسية. ومما له أهمية كبرى أيضًا بعض

---

(٩١) المواد رقم ٩.

(٩٢) انظر وصف المخطوط. 1. 425 N 12.

(٩٣) . Z D M G. I. 1847, 213

الفصول التى تخرج عن حدود القواعد الرسمية المهمة بأمثالها وبالمواد غير المرتبطة باللغة الفصحى، مثلاً الأسماء المصغرة، المادة الـ ٢٥٩ ـ وزن فعال، ٣١٠ ـ أسماء العلم، ٣٢٧ ـ أسماء الأصوات، ٣٧٠ وخصوصًا ٣٧٣ ـ أسماء المهن... إلخ.

ولا تقل أهمية هذا المخطوط عما ذكرته من قبل فى تاريخ الاستعراب الروسى: فهو يدخل على أنه حلقة بين بحوث بولديرف ونفروتسكى فى قواعد اللغة، وكان نفروتسكى قد اشترك[٩٤] فى نسخ مخطوط الطنطاوى، لذلك عندما أصدر نفروتسكى كتابه فى قواعد اللغة برز سؤال عن العلاقة بين الكتابين، إلا أن الأمر يتطلب بحثًا خاصًا، لأنه عند موازنة بعض الفصول فى البحثين موازنة خاطفة لا نرى مشابهة بينهما.

كان كتاب النحو أول مصنف كتبه كاتب عربى باللغة الروسية للتدريس فى مدارس روسيا العالية، وأمثاله كما هو معلوم نصف كتب الصرف والنحو التى صدرت فى روسيا خلال المائة سنة الماضية[٩٥].

٣٢ ـ التحيات المعتادة فى كلام العامة. مواد هذا البحث محفوظة فى مسودة إحدى مخطوطات مكتبة الجامعة[٩٦] ودخلت فى القسم المناسب من كتابه للتدريس[٩٧]، والفرق بين النص المطبوع والمخطوط طفيف، وليس لهذه المواد أهمية جوهرية.

---

(٩٤) انظر وصف المخطوط.

(٩٥) تفاصيل عن كتب القواعد باللغة الروسية خلال هذا الزمن تراها فى المقدمة لكتاب يوشمانوف «قواعد اللغة العربية الفصحى». ليننغراد، 1928 صفحة XV-VII.

(٩٦) المواد رقم ٦، XX ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٩٧) تهنئة ونحوها.

٣٣ ـ مجموعة أمثال عربية: وهى محفوظة فى مخطوط الجامعة مصحوبة بترجمة الطنطاوى إلى الروسية[٩٨]. يظهر أنه كتبها فى المدة الأخيرة من حياته، لأن الخط فيها ردىء وهى غير كاملة. وفى آخرها ترد أسماء الأشهر والأيام. ولم نتمكن من ملاحظة أى ترتيب فى تقسيم هذه الأيام: وأكثر أصول الأمثال شعبية، إلا أنها مكتوبة باللغة الفصحى، ولا مشابهة بينها وبين الأمثال المطبوعة فى Traite[٩٩] يظهر أن الترجمة إلى اللغة الروسية لم تصحح كنص كتاب النحو بالروسية؛ لذلك كانت بعض الترجمة مضحكة مثلا. ٢٢٧ . من قرصته الحية من الحبل يخاف(*).

ولهذه المواد أهمية علمية بلا شك، لكن فك رداءة الخط يتطلب جهودًا كبيرة.

٣٤ ـ ترجمة الباب الأول من كلستان السعدى: مسودة بداية هذه الترجمة محفوظة فى مخطوطات الجامعة[١٠٠]، واسترعت نظرى عندما كتبت مقالتى عن ترجمات كلستان[١٠١] إلى اللغة العربية. وهناك أثرت أهمية ترجمة الطنطاوى. ومن الصعب أن نحدد الوقت الذى درس فيه الطنطاوى اللغة الفارسية، وأشك فى أنه تعلمها فى القاهرة، على أنه فى العقد الخامس كان قد تعلمها. ويدل على هذا الشعر الفارسى الذى أدخله فى كتابه «وصف روسيا» وهو شعر صديقه وزميله فى التدريس

---

(٩٨) المواد رقم ٨٨.

(٩٩) صفحة ١١٠ ـ ١٢٣.

(*) إذا ترجمنا إلى العربية الترجمة الروسية فتكون: من قرص الحية يخاف الحبل (المترجمة).

(١٠٠) المواد رقم ٦، XVI ورقة ١٠٩ ـ ١١١.

(١٠١) . D A H - R, 1924, 102-103

فى فى القسم التعليمى ميرزا تبتشباشف[١٠٢]، وربما كان مدينًا لزميله هذا فى تعلم اللغة الفارسية.

٣٥ ـ القاموس التترى ـ العربى: عدة أوراق من مسودته محفوظة فى إحدى مخطوطات الجامعة[١٠٣]، وليس لهذه المواد أهمية جدية. فربما كان تأليفه تحت تأثير تعرفه ببعض التتر من بين أهالى بطرسبرج، أو بإيعاز من دميزون، زميله فى التدريس فى القسم التعليمى، الذى يشير إليه مرارًا، والذى كان يدرس اللغتين التترية والتركية.

بهذا تنتهى معلوماتنا عن مؤلفات الطنطاوى باللغة العربية أو الروسية، وبقيت عدة بحوث بالفرنسية تعبر عن جهوده العلمية. وهنا نتساءل: هل كان الطنطاوى يتقن اللغة الفرنسية؟ هذا أمر لا نعلمه، وليس لدى معلومات مباشرة عن هذا. على كل حال إنه تعلم اللغة الفرنسية عن تلاميذه الفرنسيين وأجادها لدرجة مكنته من استعمالها حين رحيله إلى روسيا فى التدريس، فنرى من مقالاته النقدية أنه كان يفهم البحوث العلمية باللغة الفرنسية فى ميدان الاستعراب إلى درجة أنه كان يميز تفاصيل دقيقة فى الترجمة، وربما كان يكتب بالفرنسية،

---

(١٠٢) طبع هذا المصنف فى كراسة «تذكارا للإمبراطور إسكندر الأول، قصيدتان باللغة الفارسية والتركية نظم بتشباشف بطرسبرج ١٨٢٥» وترجم فسيلوفسكى ف. غريغوريف ١٨ وب سافيليف. يشير بتشباشف إشارة خفيفة فى المقدمة عن ترجمة مستشرقين شابين يسمعان المحاضرات فى كلية اللغات الشرقية»، وهذه الطبعة مذكورة فى مجلة وزارة المعارف سنة ١٨٣٥ رقم ١٧٧ . ١٧٨، وعند Fr.(larmoy J A. 3. m.IV, 1837. 358 ومن الطريف ان نذكر أن قصيدة تبتشبا (١٢ بيتًا) موجودة فى وصف روسيا فقط.

(١٠٣) المواد رقم١١.

ولكن مقالاته كانت تحتاج إلى تصحيحات لغوية. أما حكاية موخين تلميذ الطنطاوى للأستاذ بودیانسکی عن زوجة الطنطاوى التى تعلمت فى فرنسا فلا يمكن تحقيقها(١٠٤)، وربما كان أصدقاؤه العلماء يصححون بحوثه؛ ففى مقدمة(١٠٥) Traite يشكر دميزون على هذا العمل، ويظهر أن غيره من زملائه كانوا يساعدونه فى الظروف الأخرى.

ويجب أن نذكر إجمالا أن الطنطاوى كان يميل إلى البحوث اللغوية أكثر بكثير من أغلبية معاصريه، فكان كما رأينا يستعمل من اللغات الأوروبية الفرنسية والروسية بسهولة. ويذكر Wallin دراسته معه باللغة الألمانية، لكننا لا نعلم مقدار إجادته لها. أما اللغات الشرقية فكان يعرف منها التركية والفارسية، وتدل الشواهد التى كان يأتى بها فى بحوثه على ذلك. وقد دفعته إقامته فى روسيا إلى الاهتمام بدراسة اللغة التترية، ومسودة القاموس التترى - العربى المذكور تشهد له بهذا. وهكذا إلى جانب لغته العربية كان له إلمام بست لغات أخرى.

وهذا أفق كان بعيدا عن مواطنيه فى ذلك الحين.

أما بحوث الطنطاوى باللغة الفرنسية فهى كتاب واحد وثلاث مقالات تقريبا فى موضوع واحد:

٣٦ - (Traité de la langue arabe vulgaire) par le Scheikh Muhammad Ayyad el -Tantavy. Leipsic. 1848 - 1264 (80XXv-231).

---

(١٠٤) انظر ما ذكر قبلا.

(١٠٥) صفحة XXV.

العنوان العربى: «أحسن النخب فى معرفة لسان العرب»

هذا الكتاب أكسب طنطاوى شهرة علمية عظيمة فى بيئات غربى أوربا، ولم يكن اسمه قبل هذا غريبًا عن المستشرقين الأوربيين، إذ إن شهادة فرنيل Fresnel المذكور من قبل مرارًا كانت قد لفتت النظر إليه فى السنوات الثلاثين. كذلك عرفته ألمانيا بفضل Weil. فلا عجب أن ينتظروا صدور الكتاب الذى سمعوا عنه باهتمام كبير، إذ نرى فى المجلد الأول من Z D M G نبذة[١٠٦]. وقد استقبل فليشر Fleischer رئيس المستعربين الألمان[١٠٧] الكتاب حين صدوره بتقريظ رحب به فيه، مشيرًا إلى أنه خطوة كبيرة إلى الأمام بالنسبة لوقته، إذ فى ذلك الوقت فقط بدت دراسة اللهجات العامية والاهتمام بها من عالم محترم كأنها حدث أدبى كبير..

ولا شك فى أن اللغة الفصحى فى الكتاب والمراد منها كانت أرجح من "Vulgaire"، وكثير منها لم يدخل فى هذا المفهوم. ولربما كان الأصح أن نسميه Traité de la langue arabe ونعنى بذلك صيغتى اللغة الفصحى والعامية، ومع هذا فالمواد من الأخيرة contemporaine كافية للبحث. وقد تزايدت أهمية الكتاب المبدئية لأن واضعه كان عالمًا عربيًا تخرج فى مدرسة تقليدية، اعترف للمرة الأولى بأنه يجب لفت النظر ليس إلى الفصحى فقط بل إلى العامية، وبيّن بعمله هذا أى المواد يجب الاهتمام بها مباشرة. ولقد كان الطنطاوى مفردًا فى فهمه علم اللهجات بين معاصريه من رجالات النهضة العربية الكبار، وبقى كذلك عدة عقود فيما بعد.

ولا ينبغى أن نرى خلفاء الطنطاوى ومتممى كتابه هذا، فى تلك الكتب العديدة التى يؤلفها العرب بين حين وآخر لتدريس اللغة العربية

---

(١٠٦) I. 1847, 212 - 213.

(١٠٧) III. 1849 474 - 475.

للأوروبيين، بل فى تلك البحوث اللغوية الدقيقة التى أخذت تصدر فى أيامنا بفضل بحوث العالم [٤٤] السورى العربى M. Feghali(١٠٨)، ولقد كانت شهادة فليشر Fleiseher عن كتاب الطنطاوى عادلة، ويدل على ذلك تاريخ تطور علم اللهجات فيما بعد. ويرجع كل الباحثين فى اللهجة المصرية إلى هذا الكتاب حتى فى أيامنا هذه.

ومن السهل علينا أن نتكلم عن نقائص هذا الكتاب بعد ثمانين سنة، على أنه كان ظاهرة كبيرة فى وقته، ولقد كتب نفروتسكى ممثل الاستعراب الروسى فى السنوات الستين فى تقريظ غير مطبوع(١٠٩) لهذا الكتاب ما يلى:

«إن هذا الكتاب يكاد يكون فقط لدراسة اللغة المصرية العامية العربية دراسة عملية، وهو يحتوى على: (١) أمثال لأوزان الأسماء والأفعال ومعنى الحروف (٢) صيغ دينية وتحيات وتهان... إلخ. وأهم أجزاء الكتاب هى الشواهد الكثيرة على معنى الحروف، ومنها حروف العطف والظروف. ومجموعة الأمثال فى هذا الكتاب مشابهة للمجموعات التى أصدرها فريتاغ وبركهارت. ومهما كان هذا الكتاب غنيًا بمواده، فإنه لم يبلغ غايته، لعدم وجود الحركات والعلامات فيه...»

إن الحالة الأخيرة التى يشير إليها نفروتسكى ربما كانت بسبب صعوبات فنية، وكفى وجود أية حركات كائنة ما كانت لتساعد على ضبط

---

(١٠٨) أعنى بذلك بحوثه

Le parler arabe de Kfar Abida, Paris, 1919; Etude sur les emprunts syriaques dans parlers arabes du Liban, Paris 1918; Syntaxe des parblers arabes actuels du Liban, Paris 1928.

(١٠٩) موجودة فى المخطوط الذى ذكرته فى Uop. XXIII, 1919, 189.2 .

لفظ الكلمات فى اللغة العامية، وكان يلزم لهذا transcriptis عملية تسجيل صوتية لم يكن يفكر فيها أحد من المستعمرين الأوروبيين فى العقود الأربعة الأولى من القرن الماضى(١١٠)

ويظهر أن هذا الكتاب هو المصنف الوحيد لطنطاوى المعروف من مؤلفاته البطرسبرجية فى الشرق(١١١)، على أن "Traité" لم يكن أول مؤلفاته المطبوعة، لأنه قبل ظهوره بسنة صدرت مقالته:

٢٧ ـ Observations sur L'Extrait du Voyage d'Ebn- Djobeir par M. Amari.(١١٢)

(ملاحظات على مختارات من رحلة ابن جبير)

هذه المقالة كانت نتيجة طبع قطعة من رحلة ابن جبير فى Journal Asiatique ؛ لأن قراءة بعض الكلمات الواردة فى الطبعة أثارت الشك عند الطنطاوى، فعرض تصحيحات مهمة فى قراءة النص. وقد أخذت تصحيحاته بعين الاعتبار عندما طبع(١١٣) Wright de Goeje المؤلف كاملاً. ويظهر من التاريخ أن كتابة المقالة انتهت فى ١١ نوفمبر سنة ١٨٤٦(١١٤)، وللمقالتين الفرنسيتين الأخريين الصفة ذاتها.

٣٨ ـ (ملاحظات على ترجمة بعض الأشعار العربية).

Observations sur La traduction de quelques vers arabes

---

(١١٠) أقابل كلمات Fleischer Z Dm C III 11849.475.

(١١١) أحمد تيمور B A A I 427. N 23 الزهراء.

(١١٢) JAc. 4.m IX. 1847. 351.

(١١٣) The Travels of ibn Jubair-ed by Wright . Le iden. 1925 Second ed rev. by M. J de goeje.Leiden-London. 1907 (انظر المقدمة Wright المنقولة فى الطبعة الثانية صفحة ٢٠).

(١١٤) يذكره Brockelmann NZ: I. 478.

قرأ الطنطاوى هذه المقالة فى القسم التاريخى اللغوى التابع للمجمع العلمى فى ١٠ أكتوبر سنة ١٨٥١، وطبعت أولاً فى[١١٥] Bulletin historique philologique ومنها نقلت إلى[١١٦] Mélanges Asiatiques وهى تحمل الطابع ذاته من الاهتمام بتصحيحات النص.. على أن الطنطاوى يبدى بعض ملاحظات على الشواهد الشعرية المأخوذة من كتاب أبى الفداء طبع Rinaud, Garcin de Tassy، وخصوصاً فى كتاب النحو[١١٧] Syilvertre de Sacy ، وأكبر اهتمامه موجه إلى الكتاب الأخير، وتسترعى الانتباه كل تصحيحاته بلا استثناء، سواء أكانت للنص أم للترجمة[١١٨]. والمقالة الأخيرة باللغة الفرنسية صدرت فى مطبوعات المجمع العلمى أيضاً:

٣٩ ـ Obsevrtions sur la Rhetorique des nations musulmanes

ملاحظات عن البيان العربى عند الشعوب الإسلامية ـ قرئت فى ٦ ـ ١٨ أبريل سنة ١٨٥٥[١١٩]، [١٢٠] وطبعت أولاً فى B. H. P. ثم نقلت

---

(١١٥) المجلد التاسع، ١٣٣ ـ ١٤٤، ١٤٥ ـ ١٥٠.

(١١٦) 495 - 474 .I ويذكره ميجوه فى المصادر عن آسيا المجلد الثانى سنة ١٨٩٢ رقم ٦٧٤٨.

(١١٧) صفحة ٤٨١ ـ ٤٩٥.

(١١٨) يكتب نفروتسكى رأيه فى هذه المقالة كما يلى: تصليحات ترجمة غير صحيحة أو غير دقيقة كتصحيحات النصوص نفسها دخلت فى مقدمة رينو لطبعة جغرافية «ابو الفداء». وكتاب القواعد إسلفستر دى ساسى. فهذه تصحيحات عالم عربى يعرف الشعر العربى جيداً ويفهم روحه وصيغته بدقة. لذلك فلمقالاته قيمة كبيرة بالنسبة لتلك المؤلفات التى نتناولها.

(١١٩) المجلد الثانى عشر ص ٢٤١ ـ ٢٥٦.

(١٢٠) يذكر المقالة ميجوف فى المصادر عن آسيا المجلد الأول سنة ١٨٩١، ٥٢ وقم ١١٠٢ ـ ١١٠٣.

إلى Mélanges Asiatiques والمقالة كانت جوابًا على مقالات Garcin de Tassy المطبوعة فى المجلة الآسيوية[١٢١]، والتى كانت فيما بعد أساس بحثه الكبير فى البيان عند الشعوب الإسلامية والعروض[١٢٢] ولم يكتف الطنطاوى هذه المرة بتصحيحات النص فقط، بل شرح معنى عدة عبارات لم يفهمها المؤلف تمامًا كما أضاف بعض زيادات[١٢٣]. لقد كان الموضوع معلومًا جيدًا لدى الطنطاوى فى دراساته المدرسية، لذلك تستحق ملاحظاته الاعتبار[١٢٤].

ويظهر أن هذه المقالة كانت الأخيرة قبل مرضه وعليها تاريخ ٢٨ مارس سنة ١٨٥٥، وهى السنة التى فى خريفها أقعده الشلل عن العمل.

ولم تنحصر مؤلفات الطنطاوى المطبوعة باللغة الفرنسية فى المقالات المذكورة آنفا، والتى نعلم عن وجودها . ويالأسف فقط عن وجودها . لأن معلوماتنا عنها لا تتجاوز ذكرها . ولكن عندما ذكر غوتولد صدور Traite سنة ١٨٤٧ ذكر كذلك أنه يوجد عند الطنطاوى إلى جانب هذا الكتاب بحوث ناجزة معدة للطبع. لقد ذكر إذ ذاك منها :

---

(١٢١) السلسلة ٤ المجلد الرابع والسادس والثامن والعاشر لسنوات ١٨٤٤ ـ ١٨٤٨.

(١٢٢) Rhetorique et prosodie des langues de l'Orient. Musulman Par Garcin de Tassy. second édition. paris. 1873.

(١٢٣) يقول Garcin De Tassy de Tassy مقدمة الطبعة الثانية لكتابه (الحاشية الأولى الصفحة السادسة) Dane cett second édition. J' ai suiviplusieurs Bienveillantes indications du savant musluman Tantaui de Saint-pétersbourg. وربما تكون indicatians متعلقة بالبحث المذكور.

(١٢٤) وهذا رأى نفروتسكى الذى كتب: «وهذه المقالة تحوى على السواء تصحيحات وشروحًا وزيادات وافرة على المؤلف المذكور «Garcin de Tassy» : لذلك تكسب ضوءًا جديدًا موضوعًا قلما يعرفه الأوربيون، كالبيان عند الشعوب الإسلامية.

٤٠ ـ قواعد اللغة العربية العامية. وقال: إن لها سنتين معدة للطبع.

٤١ ـ قاموس عربى فرنسى فى اللهجة المصرية، وهو الذى كان قد انتهى من وضعه فى ذلك الوقت، ولا يوجد أساس للشك فى صحة هذه المعلومات لاسيما أن غوتولد كان إذ ذاك يقيم فى بطرسبرج «قبل انتقاله إلى قازان سنة ١٨٤٩»[١٢٥]، وكان صديقًا حميمًا لطنطاوى، مطلعًا جدًا على مشروعاته العلمية.

ومع هذا فلم تصلنا أية آثار لهذين البحثين، فكتاب القواعد المذكور لايشبه ما كتب عنه الطنطاوى فى رسالته التى نشرها ستوبين، ولا المخطوط غير الكامل الموجود فى مكتبة الجامعة. واهتمام الطنطاوى فى ميدان لغة وطنه ظاهر فى مقدمة كتابه Traite. ويظهر أن مطالب التدريس فى الكلية، بما فيها تدريس لغة الحديث جعلت الطنطاوى يفكر فى تأليف كتاب فى هذا الموضوع، ولربما أعد الطنطاوى البحث المذكور لسد هذا العوز، وأظن أنه كان من الممكن أن نجد فى البحث المذكور مواد مهمة حتى من الوجهة العلمية، كما هى الحالة فى Traite الذى كانت مهمته مماثلة.

وأقل من هذا لدينا ما يمكننا أن نعرف شيئًا عن المعجم المذكور؛ لقد ظهر واضحًا من أعمال الطنطاوى التدريسية أنه كان مضطرًا إلى أن يهتم بمفردات اللغة، ونرى سلسلة من المواد من هذا النوع ناجزة فى Traite كان يمكن إدخالها فى «القاموس»؛ كما نرى ضمن أوراقه، التى بقيت بعد وفاته، فى مكتبة الجامعة، كثيرًا من هذه المواد، ولكن مترجمة عادة إلى الروسية. على أن الخط المكتوبة به يدل على أنها كتبت فى

---

(١٢٥) . Z D M G, 1, 1847, 213

سنوات حياته الأخيرة، مما يجعلنا نستثنى إعدادها لإدخالها فى المعجم الذى ينسب غوتولد انتهاءه إلى نحو سنة ١٨٤٧. ولربما كان هذا المعجم ناجزًا بل ومعدًا للطبع سنة ١٨٤٢، كما يظهر من رسالة Wallin لطنطاوى بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٨٤٢، إذ يقول: إذ كان «القاموس» المعجم العربى الفرنسى قد طبع، فآمل أن ترسلوا إلىّ نسخة منه[١٢٦]. ولا أدرى هل حفظت ولو بعض أجزائه.

وهنا أضطر إلى أن أنهى نظرتى العامة فى بحوث الطنطاوى المطبوعة والمخطوطة المعروفة لدينا سواء أكانت معروفة مباشرة أم بالذكر فى مصادر مختلفة. شرقية وغربية. والأرجح أن نظرتى العامة هذه غير كاملة، ولكن نيتى فى البحث عن آثاره فى وطنه أو غيره من الأماكن لم تتحقق، وأرجو ألا يتهمنى أحد بالقصور على ما فاتنى من ذكر مؤلفاته، لأن الأمر لم يكن بيدى.

لقد مرت أمامنا فى الأجزاء الأولى من هذا الكتاب حياة الطنطاوى ابتداء من قرية نجريد الصغيرة، عبر مركزى العلوم العربية طنطا والقاهرة، وعبر بطرسبرج عاصمة روسيا إلى قبره المنسى الآن فى جبانة فولكوفو[١٢٧]. إنها حياة أشبه برواية. وفى حكاية موخين لبود يانسكى عن الطنطاوى صيغة أخرى: حياة أشبه بمأساة. نعم يمكن أن يتصور هذه المأساة من رأى بأى خط كتبت مئات من الأوراق بيد الطنطاوى، المتشبث بإمكان العمل العقلى الذى حرمه مرضه منه فى السنوات الأخيرة من حياته، التى كانت تنطفئ باطراد، والتى أحرقتها «الأكلة».

---

(١٢٦) Tallqvist, 35.

(١٢٧) صورة القبر المطبوعة فى الكتاب صورها يا كوبوفسكى.

وفى الجزء الأخير فى النظرة العامة لمؤلفاته مرت أمامنا جميع مراحل أعماله العقلية، ابتداء من تمارينه المدرسية، إلى كتابة التعاليق، ونظم الأشعار فى الرسائل التى قراها والتى نظم فيها من قبله قرونًا، إلى البحوث التى دخلت العلوم الأوربية باعتبارها بحوثًا مستوية قيمة. وهنا نرى أن أفقه العلمى لم يكن أضيق من أفق حياته الشخصية. وهنا تجعلنا شخصية الطنطاوى ننظر إليه بغير المقياس الذى نظر أسلافنا به إليه، إن الطنطاوى يبرز فى تاريخ الاستعراب الروسى والآداب العربية الجديدة فى صورة فريدة لا نظير لها حتى الآن.

ملحقات

(أ) ترجمة ذاتية للطنطاوى

إلى حضرة الجناب الوقور الخواجة فرين يقول الفقير محمد بن سعد بن سليمان عياد الطنطاوى ولدت بقرية، بقرب طنطا تسمى نجريد سنة ١٢٢٥، والسبب فى ذلك أن أبى كان كما قال الحريرى «كل يوم بين تعريس ورحلة» وذلك لأنه كان تاجرًا فى الأقمشة والبن والصابون ونحو ذلك، فكان يأتى بالبضائع الكثيرة، ويفرقها على التجار فكان له بيت بطنطا، وبيت بنجريد وبيت بالصافية. وأنا ولدت بنجريد مع أن أمى من الصافية. وأصله من محلة مرحوم بلد كبيرة بجوار طنطا، وكانت منذ ثمانين سنة أثرية وأكثر سكانًا من طنطا. مثلما بنى علىّ بك جامع السيد البدوى، وبنى حوله القيسارية أى سوق التجار ودكاكينهم ما زالت محلة مرحوم تضمحل شيئا فشيئًا حتى تلاشت، ولم يبق منها إلا القليل فترى بيوتها ودكاكينها وحماماتها متهدمة، وبقدر ذلك أخذت طنطا فى العمارة وزادت إلى يومنا هذا، وسبب ثروتها أن السيد البدوى أحد الأقطاب الأربعة الذى مزاره فيها له مولدان مولد صغير ومولد كبير. وفى كل منهما يأتى أهل مصر والصعيد وسائر النواحى فيبيعون ويشترون وبها علماء وفقهاء وقراء. وتعليم القرآن بها أحسن من مصر بخلاف العلم. ولذلك يقال فى المثل: ما قرآن إلا أحمدى ولا علم إلا أزهرى أحمدى، نسبة لجامع سيدى أحمد البدوى وأزهرى نسبة للأزهر، وقد سافر أبى وأمى إلى الحجاز وعمرى نحو أربع سنين وتركونى بالصافية عند أخوالى.

ثم لما ترعرعت ذهبت إلى طنطا فى بيتنا هناك، وذهبت إلى المكتب وعمرى نحو ست سنين، فحفظت القرآن مرتين بداية وعيادة كما هى العادة. ثم بعد حفظى القرآن لم أخرج من المكتب، بل حفظت فيه متونًا

كثيرة كمتن المنهج فى علم الفقه وهو قدر القرآن، وكمتن ألفية ابن مالك فى النحو... إلخ، ثم لما كان عمرى عشر سنين ابتدأت فى تعلم العلم فحضرت على المرحوم الشيخ محمد الكومى شرح ابن قاسم فى الفقه مدة سنة. ثم مرة ثانية فى السنة الثانية على المرحوم الشيخ السيد محمد أبى النجا عالم شهير مصنف، ثم حضرت عليه شرح الخطيب فى الفقه فى السنة الثالثة، ومع ذلك فما كنت أطالع وكنت ألعب كثيراً، ولم أحضر نحواً نحو ثلاثة دروس قبل سفرى لأن النحو قليل فى طنطا.

ثم فى آخر السنة الثالثة سنة ١٢٢٨ وهى السنة الثالثة عشرة من عمرى رحلت مع عمى إلى مصر، وبعد ذلك أبى، وتركنا سكنى فى طنطا، لكن كنت أذهب إليه فى الموالد، وقد اتفق أنى درست فيها كتاباً فى علم المجاز وكتاب مولد النبى فقد دفعت لها دينى، وكذلك درست بالصافية لما كنت أذهب إليها، لكن بعض كتب خفيفة تناسب العوام كالفقه والتوحيد، فكان مكثى فى مصر سعادتى، فحينئذ حضرت فى النحو والفقه وغيرهما، ولا شك أن تعلم الثلاث السنين فى طنطا - وإن كان مع اللعب - أكسبنى بعض فهم فكنت أفهم خصوصاً فى النحو وغيره أكثر من الفقه، فحضرت الأجرومية، وشرح الشيخ خالد، وشرح القطر، وشرح الألفية لابن عقيل، وشرحها للأشمونى، وشرح جمع الجوامع فى علم أصول الفقه وشرح الورقات فيه، والمغنى، وشرح التحرير فى الفقه وشرح المنهج فيه وشرح المحلى على المنهاج فيه، بعض شرح البهجة فيه، وشرح مختصر السنوسى فى المنطق، وشرح الأخضرى على السلم فيه، وشرح إيساغوجى فيه، وشرح السمرقنديّة فى علم المجاز، وشرح السنوسية فى علم التوحيد. وشرح الجوهرة فيه... إلخ. وغالب حضورى على الشيخ إبراهيم الباجورى وهو أعلم أهل الأزهر الآن بلا نزاع.

وفى السنة الخامسة من مكثى فى مصر مات والدى، لكن فى طنطا، وقد تكدرت بسبب ذلك نحو سنتين، وكنت ابتدأت فى التدريس فيها وأول ما درست درست فى العروض مع أنى أحضر. ثم بعد ذلك فى النحو وغيره، فقرأت شرح الشيخ خالد والأزهرية والقطر والشذور مرارًا. ثم شرح ابن عقيل ثم المغنى وكان ذلك فى السنة الماضية، وقرأت الشفا وهو آخر ما قرأت فى الأزهر فإنى ختمته قبل السفر بأربعة أيام، وقرأت المقامات الحريرية فى الأزهر، وشرح الزوزنى على المعلقات وما علمت أحدًا قبلى قرأهما فيه، وقرأت البردة، وبانت سعاد والتحفة فى الحساب، وشرح السعد على العزى فى الصرف، ثم صنفت على المتن حاشية مفيدة، وقرأته بها مرة ثانية، وقرأت لامية الأفعال فى الصرف، وما لا يحصى من الرسائل الصغيرة المفيدة، ومع ذلك فلم يتفق لى التدريس فى الفقه لاشتغالى بأمر المعاش، فلذلك كان كثير من عامة أهل الأزهر يظنون أنى لا أعرف الفقه، وقد صدقوا، فأنى بترك مزاولته ضيعته، ومن مدة أن مات والدى تكدر ذهنى وعرانى شغل البال وضاع منى الزمان بلا فائدة نحو سنتين.

ثم تراجع الأمر والجأنى الدهر إلى الكسب فعاشرت بعض الإفرنج المقيمين بمصر، وأول من عاشرته حضرة الخواجة فرنيل وهو يحب العربية بالطبع فكان يحثنى دائما على الاشتغال، وهو الآن قنصل جدة وبسببه تقويت فى العلوم الأدبية لأننى كنت أقرؤها معه، وهو كان من أهل التحقيق والتدقيق وله توقفات حسنة، وبنات أفكار جميلة. وقد كتب رسائل فيما كان يقرأ معى كترجمة الشنفرى، وأيام العرب... إلخ، ونوه بذكرى فيها ثم رغبنى فى اللغة الفرنسية، وعلمنى إلا أن قصر الزمان عاق عن التمام. وبالجملة فأنا أعترف بأنى مكسور له فى دفع

الخراج، ودائمًا أهل مصر يماطلون الباشا فى الخراج، فتراهم عليهم البقايا دائمًا، ثم اجتمعت على غيره بسببه كالخواجة وائل النمساوى والخواجة برونير الحكيم بالقصر العينى سابقًا، وهو رجل حسن الأخلاق والطباع يشفى المريض قبل علاجه، والخواجة بيرون مدير القصر العينى الآن، وقد قرأ معى كثيرًا من ترجمات الأغانى وأنساب العقد، وكنت أعلم فى مكتب الإنكليز فى مصر، وذلك سنة قبل سفرى. وأما خدم الباشا فإنى دعيت إليها كثيرًا. ومع ذلك لم أجد نفسى تميل إليها وذلك لأسباب: منها أن من ذهب إليها لا يقدر أن يكون له درس فى الأزهر، ومنها أن أشغالهم مقرفة، وذلك أن المترجم يأتى بألفاظ سخيفة لا تفيد معنى فلا يفهم المصحح منه معنى إلا بعد شق النفس، ومع ذلك فلهم أنفة وتكبر... إلخ، ثم من جملة من قرأ على من الفرنج الخواجة نقوله موضن المسكوبى، ثم الخواجة فرين المسكوبى ثم سألانى الذهاب إلى بتربورغ فأجبت، ثم بعد انقضاء الزمان اللازم لتوفية هذا الأمر حضرت إلى بتربورغ فى ذراكم وتحت حماكم.

مخطوط مجهول للشيخ طنطاوى

لا يكاد أحد من العرب ممن كان له علاقة بروسيا فى القرن التاسع عشر يكون شخصية طريفة كشخصية أستاذ جامعة بطرسبرج الشيخ الطنطاوى (١٨١٠ . ١٨٦١). إن الدور الذى لعبه الشيخ فى تاريخ الاستعراب الأوروبى ليس بيسير كما زعم بعض مؤرخى الاستشراق قبلا. وفى العهد الأخير بدأت الآداب العربية تعطى الرجل حقه، ولكن للأسف أن بحوثه الأدبية الصرف، والمعلومات عن تاريخ حياته تحتل مكانًا صغيرًا بين بحوثه المعلومة. وأهم المعلومات المطبوعة عنه هى تاريخ حياته

المختصر Z K M, VII قابله بـ Z D M G, IV، وقطع صغيرة فى Traite de la langue arabe vulgaire (Leipzig 1848). أما مخطوطاته فأكثرها تعليقات تقليدية واستقصاء مؤلفات غيره؛ حيث لا يمكن أن تظهر صفات الكتاب الشخصية إلا نادرًا فى حلقة اهتماماته.

فمن المفهوم. والحالة هذه. أن يحتل مخطوطه عن روسيا المكان الأول باعتباره مواد لتاريخ حياته. ولم يكن المخطوط معروفًا فى دوائر العلوم الأوروبية أو لدى مواطنيه حتى ولا بالاسم. وهو مكتوب بيد الطنطاوى ومحفوظ فى أحد مساجد إسطنبول (رضى باشا فى روميلى خصار) والمخطوط مكرس للسلطان عبدالمجيد (١٨٣٩ ـ ١٨٦١) وربما كان مهدى له ثم آل إلى مكتبة المسجد، ونحن مدينون لذكر هذا المخطوط، وكذلك لذكر غيره من الآثار الأدبية الموجودة فى إسطنبول لـ O. Rescher، وقد تمكنت فى صيف سنة ١٨٤٧ بفضل مساعدة الأستاذ K.Z. Mehmed Fouad أن أحصل على صورة كاملة للمخطوط.

فالمخطوط مكتوب على ١٩٣ صفحة، ويثير الاهتمام من جميع وجهات النظر، مع أنه ليس متساويًا فى محتواه وصفة كتابته. فالمقدمة ربع المخطوط، ولها المكان الأول بقيمتها الأدبية ولتاريخ حياة الشيخ يصف فيها رحلته سنة ١٨٤٠ من القاهرة إلى بطرسبرج عبر أودسا، وبما أنه انتهى من كتابة مخطوطه سنة ١٨٥٠ نرى فيه كثيرًا من التفاصيل عن سفره الثانى سنة ١٨٤٤.

والفصل الأول صغير، يتكلم فيه عن نشأة روسيا. وفى الفصل الثانى يتناول تاريخ بطرس وبطرسبرج، والفصلان يشغلان نصف المخطوط تقريبًا، وهو ليس مهمًا للآداب الروسية، حيث تستقى معلوماتها من

المصادر الأولية، بقدر ما هو مهم للآداب الروسية، حيث تستقى معلوماتها من المصادر الأولية، بقدر ما هو مهم للآداب العربية، إذ هو فريد من نوعه. والملاحظات فى وصف المكان المبنى عليه بطرسبرج فى زمنه تعد طريفة طبعًا. وخاصة لنا ـ نحن الروس. والجزء الثالث فى وصف طباع الروس وعاداتهم، وهو أيضا فريد من نوعه، لأنه يعكس لنا نظرية عربى تمكن من التغلغل فى حياة البلاد، حيث كتب له أن يعيش عشرين سنة. فمن هذه الجهة لا يمكن أن تضيع كتاباته بين كتابات غيره من الأجانب عن روسيا فى السنوات الأربعين.

أريد الآن أن أعرِّف ـ فقط بمحتواه ـ المستعربين والعرب الذين نشعر باهتمامهم فى السنوات الأخيرة بمواطنهم، تاركا وصفه بالتفصيل والبحث فيه إلى زمان ملائم؛ لذلك أكتفى بذكر عنوان المخطوط وآخر عبارة منه، حيث يشار فيها إلى تاريخ إنهاء كتابة المخطوط، ثم إلى عناوين المخطوط ذاته. وهو مكتوب بيد الطنطاوى كما هى الحالة فى المخطوطات الأخرى، ولكن يجب أن ألفت النظر إلى أن هذه العناوين لا تتناسب دائمًا وفحواها. وقد سمحت لنفسى أن أضم إليها بعض الحواشى غير الموجودة عند المؤلف، وأزيد بعض عناوين مأخوذة من النص. ولم أتمكن فى بعض الأحوال أن أفك الخط مع بذلى كل جهودى لأشابه بين العنوان والفحوى. ويظهر أن الناسخ كان يقرأ بصعوبة خط الطنطاوى، ولا سيما أن الأسماء الروسية غريبة عنه لذلك لم يفهم معناها.

(ب) المواد لتاريخ حياة الطنطاوى الموجودة فى مكتبة جامعة ليننغراد

لقد وضعت فى التوطئة أهمية المواد المحفوظة فى مكتبة جامعة لينينغراد للاطلاع على تاريخ حياة الطنطاوى، فبعد أن طالعت المائة والخمسين مخطوطًا من تراثه المحفوظة فى المكتبة، انتقيت منها مؤلفاته والمخطوطات المنسوخة بيده وتلك التى عليها شروحه وتعليقاته، أو أية كتابة بيده. ولهذه الأخيرة صفات متنوعة كتصحيح النص، أو ملاحظة عن اقتناء المخطوط، أو تاريخ قراءته... إلخ. وهكذا تمكنت من انتقاء أربعين مخطوطًا، أعنى لا أقل من ربع جميع المخطوطات. ويصعب على أن أقول: إنه لم تفتنى ملاحظة ما فى هذه المخطوطات، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار تغير خطة مع الزمن واضطرابه، ومع هذا فإنى أرجو أن أكون قد ذكرت كل ما هو جوهرى منها.

وقد قسمت المواد إلى ثلاثة أقسام «أولاً» مؤلفات الطنطاوى رقم (١ ـ ١٢)

«ثانيا» المخطوطات المنسوخة بيده (١٣ ـ ٢٧)

«ثالثًا» المخطوطات التى عليها ملاحظاته (٢٨ ـ ٤٧، فوصفت المخطوطات من النوع الأول وصفًا مسهبًا، ولفت النظر إلى تفاصيل موجودة فيها، ولكن ليس لها علاقة مباشرة بطنطاوى. أما ما يختص بالقسمين الآخرين فإنى أشرت إلى التفاصيل التى لها علاقة مباشرة به. وهنا آمل أيضًا أن كل ما ذكرته سيساعد على تسجيل مخطوطات الجامعة الذى لما يتم بعد. وقد ذكرت فى الأقسام الثلاثة كلها المخطوطات على حسب تاريخها بترتيب التواريخ التى لها علاقة بحياة الطنطاوى، وفى الأهلة المربعة دللت على المخطوطات غير الموجودة فى

مكتبة الجامعة، وهى مخطوط رقم (٢٧) منقول عن مخطوط القسم التعليمى السابق، ومخطوطان من هناك أيضًا عليهما ملاحظاته (رقم٤٤،٤٥). مخطوط المتحف الآسيوى (رقم ٤٦) عليه زيادات، ومخطوط مكتبة ميونخ (رقم ٤٧) عليه بعض ملاحظاته، وكذلك أشرت بأهلة مربعة إلى ذاك المخطوط المنقول بيد تلميذ الطنطاوى المهدى إليه.

وقد ساعدنى فى درس المواد التى فى مكتبة الجامعة ن. ك. ميرونينش، فقد تمكن من الحصول على عدة وثائق تنتسب إلى عهد إقامة الطنطاوى فى بطرسبرج، بين أوراقه التى لما ترتب بعد (رقم ١٠،٨) والتى تظهر للمرة الأولى فى هذا الكتاب بفضله. واهتمامه ببحوثى يجعلنى أذكر بارتياح خاص تلك الساعات التى قضيتها معه فى دراسة مخطوطات الشيخ ووثائقه باللغتين العربية والروسية.

فضمن جدران هذه المكتبة وهذه المواد فقط بدت لى فجأة شخصية شيخنا واضحة منيرة.

(١)

[١] (٨٣) مجموعة دفاتر مختلفة الحجم موحدة فى غلاف من الورق. ما عدا مصنفًا واحدًا للطنطاوى نفسه، وعدة حواش ومخطوطات مكتوبة بيده: ورقة٢٠ ـ ٢٩ فى كل منها ٢٧ سطرًا (٢٣×١٧سم) ختم شريف وعنوان لطيف على آخر «شرح القطر» لمؤلفه الجمال بن هشام، ويبتدئ بهذه الكلمات: «نحمدك على ما وجهت نحونا من وابل الإنعام، ونشكرك على ما أتحفتنا به من قطر الإحسان وجزيل الإكرام، وبعد فهذا ختم شريف... إلخ.

---

(١) يدل الرقم على الرقم الاصطلاحى فى قسم المخطوطات الإسلامية المسجل تحته المخطوط.

وعلى هامش المقدمة مكتوب . وربما كانت صورة ثانية للمكتوب المذكور آنفًا.: «نحمدك اللهم على قطر إحسانك الهامع، ونشكرك على وصل إفضالك المتتابع، وبعد فيقول راجي رحمة ربه الجواد، محمد بن سعد عياد ...».

وفي الخاتمة: «تم على يد جامعه يوم الإثنين ٢ شعبان سنة ١٢٤٣.

وقد انتهى من كتابته في ١٨ فبراير سنة ١٨٢٨. وهذا المخطوط هو مسودة فيها تصحيحات كثيرة. انظر مؤلفات الطنطاوي رقم ٩.

مؤلفات الطنطاوي المنسوخة واستخلاصاته هي:

ورقة ٢٠. قطعة من «المزهر» [[٤٥]) للسيوطي مكتوب بخط السنين الأخيرة.

ورقة ٢٩ . «أيمان العرب» من رسالة أبي إسحق الكاتب.

ورقة ٣٠ . ٣٤ في كل صفحة ٢١ سطرًا (١٧×٢٥ سم): «رسالة في العمل بربع المقنطرات» للعلامة سبط المارديني [٤٦]، ملك كاتبه الفقير محمد عياد الطنطاوي عفي عنه آمين. (عن المارديني . انظر .ult ١٦٧ و ,Brockelmann,II). وفي صفحة ٣٤ يوجد تاريخ ٧ رمضان سنة ١٢٤١ (١٥ أبريل سنة ١٨٢٦)، والتاريخ يدل على أن المخطوط كتب عندما كان الطنطاوي في الأزهر.

VII ورقة ٣٥ . ٣٩ بذات حجم الـ VI «رسالة في العمل بالربع» [٤٧] لشهاب الدين أحمد بن المجدي . عن المؤلف (انظر ١٠ N ١٢٨ -Brock elmann، منسوخة بيد الطنطاوي وعلى ما يظهر في الوقت نفسه.

VIII ورقة ٣٩ منظومة «مطالع الفجر» للشيخ أحمد أمين، أرجوزة في ١٧ بيتًا منسوخة بيد الطنطاوي، على ما يظهر بعد الوقت السابق.

ورقة ٤٠ منقولة عن «المزهر» للسيوطى فى «الحقيقة والمجاز» بيد الطنطاوى فى وقت متأخر من حياته حين عجزت يده عن الكتابة. XI (٣٢ - ٤٠) فى كل صفحة ٢٥ سطرًا (٢٥×١٧ سم) ورقات فى: «معرفة وضع بيت الإبرة على الجهات الأربع». منسوخة بيد الطنطاوى فى عهده الأول فى وقت واحد عندما كتب VI و VII والآخر مكتوب بعجلة. ولا تنتسب للطنطاوى أجزاء المجموعة الأخيرة.

I ورقة ١ - ١٢ فى كل صفحة ٩ سطور (٢٣×١٥) قطع من القرآن بخط يشبه خط تركستان الصينى.

II ورقة ١٤ - ١٥ (٢٣×١٦) مصنف كاتب مجهول: كتاب فتح المالك بما يتعلق بقول الناس: «وهو كذلك». أوله: «باسم الله الحمد لله الذى أزال ظلم الجهل بأنواع العلوم، ووفق بفضله من شاء لمعرفة المنطوق والمفهوم... إلخ. أما بعد فالمقصود بيان مرجع الضمير والإشارة فى قول بعض الناس: «وهو كذلك» مجيبًا لمن قال: «أنا أحبك»... وسميته كتاب فتح المالك... إلخ».

اللهم ارزقنا العمل بكتابك وبسنة رسولك ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، وكان الفراغ من تبييض هذه الرسالة فى يوم الجمعة المبارك فى سلخ رمضان المعظم قدره الذى هو من شهور سنة ١١٧٢ ألف ومائة واثنتين وسبعين.

التاريخ يوافق مايو سنة ١٧٥٩. نفس الخط فى III و VI، ويظهر أن الوقت واحد.

III ورقة ١٥ - ١٨ الخط والحجم مثل ما فى II و VI: «بلوغ الأرب [٤٨] بشرح قصيدة السموءل وهى من كلام العرب» الحمد لله الذى جعل

لغة العرب أفصح اللغات، وخصهم بمزايا لا تحصى على توالى الأزمان والأوقات... إلخ. أما بعد. فقد التمس منى بعض من اعتقد صدقه فى المحبة شرح قصيدة من كلام العرب ... وسميته بلوغ الأرب... إلخ.

وفى آخره ما يلى: قال المؤلف: تم الشرح المبارك فى ليلة الأربعاء فى رجب الذى هو من شهور سنة ١١٧٧ ... الفراغ الأربعاء ثلاثة عشر من رمضان سنة ١٢٤٧. تعليقات على قصيدة السموءل المعروفة لأحمد السجاعى (توفى [٤٩] ١١٩٠ ـ ١٧٧٧) المخطوط معروف فى أوربا (مثلاً فى برلين Ahwardt, ٧٤٦٥) وفى الشرق (طبعة القاهرة بلا تاريخ)، على حسب قائمتنا تمت التعليقات فى رجب سنة ١١٧٧ (يناير سنة ١٧٦٤)، المخطوط فى ١٣ رمضان سنة ١٢٤٧ (فبراير سنة ١٨٣٢).

IV ورقة ١٩ ـ ١٩٧ بحجم وخط II وIII ذاتهما: شرح الأبيات المشهورة فى تبعية الفروع والأصول» للشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الرملى [٥٠] الأنصارى الشافعى.

أوله: الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين... إلخ وبعد فقد سألنى بعض الأعزة علىّ فى أن أعلق شرحًا لطيفًا فى هذه الأبيات المنظومة فى القاعدة المشهورة فى تبعية الفروع الأصول...

يتبع الفرع فى انتساب أبيه والأم فى الرق والحرية

وفى الختام: وفى هذا القدر كفاية وبالله التوفيق والهداية. توفى الكاتب، سنة ١٠٠٤ ـ ١٥٩٦ (Brockelmann, II, ٣٢١ .N. ١٣).

(٢)

٨٢٠ «مشتهى الألباب على منتهى الآراب» ٨٦ ورقة فى كل منها ٢٣ سطرًا (٢٣ × ١٧ سم) كراسات غير مجلدة فى غلاف شرقى. فى الصفحة الأولى مكتوب بيد البارون روزن [٥١]: (مشتهى الألباب على منتهى الآراب تأليف محمد عياد بن سعد بن سليمان المرحومى الطندتانى الشافعى. تعليق الطنطاوى على مؤلف (منتهى الآراب فى الجبر والميراث والحساب). وعلى الهامش حواشٍ كثيرة بيد الطنطاوى. وفى الصفحة الأولى ثلاثة أبيات من الشعر على شرف المؤلف لسرور الدمنهورى.

بداية التعليقات على الصفحة ١: باسم الله، الحمد لله وارث السموات والأرض، جاعل العدل فى القسمة من الفرض... إلخ. وبعد فهذا شرح صغير الجسم كبير القدر على منظومتى فى علوم الإرث والحساب والجبر سألنى فيه بعض الإخوان، أصلح الله لى وله الشأن. وقد شرعت فيه مع مابى من تكدر البال، وصفاء الأوجال، وطروق الحدثان. كانى كرة طرحت بصوالجة الزمان... وسميته مشتهى، الألباب، على منتهى الآراب... إلخ.

بداية النص الأصلى:

يقول راجى عفو رب فرد | محمد عياد بن سعد

حمداً لمولانا القديم الوارث | الباسط المحيى المميت الباعث

....

سميته بمنتهى الآراب | فى الجبر والميراث والحساب

وفى النهاية صفحة ٨٦: وقد تم تسويد هذا الشرح المبارك يوم عاشوراء المبارك سنة ألف ومائتين وخمس وأربعين، وكان الفراغ من تبييضه يوم الأحد السابع من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة... كتبه مؤلفه راجى الرشاد محمد عياد.

عن المؤلف انظر مؤلفات الطنطاوى، رقم ١٩ - ٢٠.

(٣)

٧٨٦ - حاشية الكافى فى علم القوافى ٦٨ ورقة فى كل منها ٢٧ سطرًا (٢٣ × ١٧سم) على ورقة مصرية والتجليد أوروبى وعلى كعب الكتاب مكتوب : Tântwi, Hâshiyat al Kafi (٧٨٦).

وقد أعيد عنوان الكتاب على الصفحة الأولى بيد البارون روزن. ويحتوى الكتاب على تعليقات، أما النص الأساسى فهو مكتوب مؤخرًا على الهامش.

ويشغل النص ١ - ٦٦ ورقة.

يبتدئ الكتاب على الورقة ١ : باسم الله، اللهم يا كافى المعاقبة، داركنا بدوام المراقبة. وأتح لنا كل عروض. نستمد مديد كرمك. «وبسط نعمك تجاه ساكن العروض، سيدنا محمد وافر الجمال، وكامل الجلال. من أضاء نوره فى كل عروض... إلخ. أما بعد فيقول فقير رحمة ربه، أسير عيوبه وذنبه. محمد بن سعد عياد. وصل الله أسباب رجائه بأوتاد الرشاد. قد كنت التقطت نفيس الغرر، ويتيم الدرر، وجعلته تعليقا على المتن المعروف بالكافى فى علم العروض والقوافى. للأديب أحمد بن عباد بن شعيب القنائى الخواص، ثم أهملته أيدى الحدثان،

وطرحته فى زوايا الهجران، ثم لما عدت إلى مطالعة الكتاب، بعد مدة من الأحقاب، رآه معى بعض الأخلاء، فسألنى نقله وتحريره ليكون حاشية على الكتاب... إلخ.

فى النهاية ورقة ٦٦ : وقد اختلست هذه العجالة من أيدى الزمان، ونافحت بها صروف الحدثان، مع ما أنا فيه من تجرع صاب الأوصاب، ونبو الأهل والأحباب... غير أنى شكرت هذه الصروف، حيث أتيح لى فيها رقم هذه الحروف... قال مؤلفه رضى الله تعالى عنه: وهذا آخر ما انتهيت إليه من الاختصار، والحمد لله أولاً وآخرًا، سرًا وعلانية.

ونسخ المخطوط فى ٢١ من رجب سنة ١٢٥٥ (٣٠ سبتمبر سنة ١٨٣٩) من شخص غير معروف: وكان الفراغ من كتابته يوم الأحد المبارك واحد وعشرين من شهر رجب سنة ١٢٥٥ خمسة وخمسين وألف ومائتين من الهجرة غفر الله له... إلخ.

وكان قد كتب هذا المؤلف منذ خمس سنوات كما يقول الطنطاوى نفسه على الهامش: وكان الفراغ من تصنيفه فى ذى الحجة سنة ١٢٤٥. وهذا التاريخ يوافق مايو - يونيو سنة ١٨٣٠ وفى السنة التالية بعد كتابة المخطوط نسخ الطنطاوى بيده على الهامش النص الأساسى. ويبتدئ النص على الورقة ١ : بسم الله الحمد لله على الإلهام، والشكر له على الإنعام... إلخ، وبعد: فهذا تأليف كافٍ، فى علمى العروض والقوافى، والله الموفق، وعليه التوكل. المقدمة فى أشياء لا بد منها ... إلخ.

وفى آخر النص ورقة ٦٦ : (قد تم متن الكافى على يد كاتبه محمد عياد الطندتائى مؤلف هذه الحاشية، تحريرًا فى يوم الثلاثاء ٥ من صفر سنة ١٢٥٦ بقصر الكرنتينية، بالقسطنطينية المحمية، صانها الله من

المحن والبلية، والسلطان إذ ذاك عبد المجيد خان بن السلطان محمود خان رحمه الله). وفى هذا التاريخ قام الطنطاوى بعدة تصحيحات على هامش المخطوط. وهذا أمر مهم فى تاريخ حياة الطنطاوى بتاريخين انظر مؤلفات الطنطاوى رقم ١٧.

وقد ضمت إلى هذا المخطوط عدة ورقات مكتوب عليها بعض تعليقات وملاحظات منسوخة بخط الطنطاوى خلال إقامته فى بطرسبرج:

ورقة ٦٦ قطعة منسوخة من مقدمة ابن خلدون عن الشعر الشعبى.

ورقة ٦٦ مسودة مختصر تاريخ حياة الطنطاوى لحد العبارة، ولأن لبعض أهلها أنفة لا تحتمل مع أنهم من طين. انظر مؤلفات الطنطاوى رقم ٢٥ والملحق صفحة ٦٧ - ٦٨ قطعة منسوخة من الفهرست التى لها علاقة بألف ليلة وليلة.

(٤)

٨٤٧ تقييدات على شرح الأزهرية ٤٦ ورقة فى كل منها ٢٣ سطرًا (٢٣ × ١٧ سم) مجلدة بورقة أوروبية، ومحفور على الورق المقوى ٨٢٧ Tantawy الكتابة مقطوعة... Taquidat ala Sharh al-az.

الورقة ١ : خمسة أبيات شعر على شرف الأزهرية بقلم المؤلف: لكاتبه الفقير عبدالهادى نجا الإبيارى [٥٢].

بدايته ١ : بسملة، نحمدك يا من بيده مصادر الأفعال، ونسألك جمع قلوبنا على السلامة من الإعلال... إلخ. أما بعد فيقول راجى الرشاد، محمد بن سعد عياد، جبر الله كسره، وأصلح أمره: هذه تقييدات على

شرح الأزهرية لمؤلفها الإمام الشيخ خالد، مع التعرض لحاشيته المشحونة بغرر الفوائد، لشيخنا خاتمة المحققين والنظار، مولانا الشيخ حسن العطار، فأقول: قال الشارح: بسملة فى حاشية شيخنا، وهى المرادة بفيها حيث أطلقت. بدأ بالبسملة، اقتداء بالقرآن وعملاً بالسنة... إلخ. وفى النهاية ورقة ٤٦:

وقد وفق استراحة القلم فى أول يوم من رجب سنة ١٢٥٣ من هجرة سيد المرسلين... إلخ. ويوجد فى المخطوط زيادات على الهامش وحواشٍ، وفى النص عدة تصحيحات مما يكسب المخطوط صفة مسودة. انظر مؤلف الطنطاوى رقم ١٠.

(٥)

٨٢٣ مجموعة (من ٢٤ ورقة) فى مجلد واحد من مؤلفات مختلفة، الحجم ومكتوبة بخطوط مختلفة.

وللطنطاوى مؤلف واحد وعدة ملاحظات.

I الورقة ١٣ - ١٩ (١٧ × ١١) نظم تصريف الزنجانى.

العنوان على الورقة ١٢: هذا نظم تصريف العلامة عز الدين الزنجانى، لكاتبه الفقير محمد عياد الطنطاوى عفى عنه. أوله فى ورقة ١٣٧:

حمداً لمن صرف أفعال الورى   وزاد من نعمائه من شكرا

وبعد فالتصريف للنحاة   إتقانه من أعظم الحالات

وفى الورقة ١٩ بتاريخ ١٢٥٥ مكتوب: تمت على يد ناظمها محمد

عياد، عفى عنه، نظم تصريف الزنجانى المشهور. انظر مؤلفات الطنطاوى رقم ٨،٧.

I - ورقة ١٩ - ٢٠ ملاحظات الطنطاوى عن الإمالة ربما كانت منقولة عن مصدر ما.

III - ٣٢ - ٣٤ تاريخ ملك الخلفاء والسلاطين إلى عهد عبد المجيد ١٨٣٩ - ١٨٦١ معاصر كتابة هذا التاريخ، وهو سلطان هذا العصر والأوان. مخطوط الطنطاوى المنتسب إلى أيام إقامته فى بتربورغ، وربما كان مواد تحضيرية، أعدها لمحاضراته فى التاريخ. انظر مؤلفات الطنطاوى رقم ٢٠.

وما عدا مواد الطنطاوى يوجد فى المجموعة مؤلفان:

IV - ورقة ١ - ٩ أرجوزة فى ذكر المدن والأمم، ومؤلف لكاتب مجهول ويسمى فى النص: قصيد الحدس والفراسة.

بدايتها صفحة ١:

الحمد لله على الهداية والعلم والتوفيق والدراية

هذى قصيد الحدس والفراسة نافعة لطالب الرياسة

والقصيد يحتوى على ٢٢٨ بيتًا مزدوجًا، مقسمة إلى أجزاء تحت عناوين: ذكر العرب، والشام، والرافقة والرقة، وديار بكر، والرها، وماردين، وآمد، وذكر الفرس. وآخرها فى الورقة ٩:

والحمد لله على الإتمام وأفضل الصلاة والسلام

للمصطفى وآله الإنجاب وسائر الأتباع والأصحاب

وبعد هذا نجد التاريخ ١٢٥٢ (١٨٣٦ - ١٨٣٧) واسم الناسخ أحمد ابن حسن أحمد وفا الصافى. وبيده منسوخة صورة المخطوط رقم ٧١٨ ورقة (٩ - ١٢) بياض.

٢١ - ٢١ قصيدة أبى صفوان [٥٣] الأسدى رواية عن ابن الأعرابى توفى ٢٣١ - ٨٤٦ - عليها تعليقات. أولها:

نأت دار ليلى فشط المزار   فعيناك لا تطعمان الكرى

وهذه القصيدة كما هو معلوم كثيرًا ما ينسبونها إلى خلف الأحمر ويوجد مخطوط منها فى برلين، تحرير الحامد (ت ٣٠٥ - ٩١٧)، وبالنص عند القالى أيضا (ت ٣٥٦ - ٩٦٧) أما بالنسبة إلى نشرة «أهلوارت» فيمتاز مخطوطنا بترتيب الأبيات نوعا ما.

وفى ورقة ٢٥ توجد ملاحظة على شعر امرئ القيس مضمومة إلى هذه المجموعة سهوًا.

(٦)

٨٣٨ - منتخبات الشيخ محمد عياد الطنطاوى. المجموعة مؤلفة من ١٨٣ ورقة (٢٣ - ١٧) تتضمن ملاحظات وقطعًا مختلفة منسوخة فى دفاتر، وفى بعض صفحاتها بياض (٦٦ ـ ٧٠، ٧٥، ١٠٧ - ١٠٧، ١١١ ـ ١١٤، ١٥٨ ـ ١٦٩) والدفاتر موضوعة فى غلاف لمخطوط آخر. ويختلف عدد الأسطر فى الصفحات، وهى مكتوبة على ورق أوروبى.

ومؤلفات الطنطاوى نفسه ما يلى:

IV ورقة ٥٠ ـ ٦٠ بعد وصف الأعياد المصرية المأخوذ عن الخطط للمقريزى يصف الطنطاوى الأعياد السنوية المعاصرة له. وهذا المؤلف

دون عنوان يبتدئ: أقول: أما حال الأعياد والمواسم الآن فإن عيد رأس السنة أولها ليس فيه إلا التهنئة للأقارب... إلخ. انظر مؤلف الطنطاوى رقم ٢٨.

XVI رقة ١٠٩ ـ ١١١ ترجمة الباب الأول من كلستان السعدى ترجمة الباب الأول من كلستان غير تامة. انظر المؤلف رقم ٣٤.

XVII ورقة ١١٥ – ١٥٨. مسودة، بعض أفكار فى تاريخ الخلافة من محمد إلى المقتدر. وربما كانت معينة للمحاضرات. المخطوط مهمش والنص متقطع. انظر المؤلف رقم ٣٠.

XVIII ورقة ١٦٩ – ١٧١. تاريخ ولادة الأمير الكبير شاهزاده نقولا ألكساندر وفيج. قصيدة بمناسبة ولادة سمو الأمير نقولاى ألكساندرو فيتش سنة ١٨٤٣. نشرت فى مفتتح Traite:

XIX الورقة ١٧٢ – ١٨١ اثنان وأربعون بيت شعر من نوع المواويل أكثريتها من نظم الطنطاوى، طبعت هناك أيضا ١٧٦ – ١٩٨.

١٨٢ – ١٨٣. التحيات المستعملة باللغة العامية، هناك ١٠١ – ١٠٩.

انظر المؤلف رقم ٣٢.

لكل المذكور آنفًا صفة مسودة وأحيانًا أفكار عن المؤلفات التى كان فى النية كتابتها. أما الأقسام الأخرى فهى قطع منقولة عن مصنفات عربية، وأغلبها عن مخطوطات لينتغراد.

I ورقة ١ – ٢١. العقد الفريد لابن عبد ربه.

II ورقة ٢١ – ٤٠. الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى.

III ورقة ٤١ - ٥٠ عن الأعياد فى مصر عن الخطط للمقريزى.

V ورقة ٦١ - ٦٢ قصص صغيرة وأمثال. المصدر مجهول.

VI ورقة ٦٣ - ٦٥ قطعة من شرح لامية العجم ربما كانت للصفدى [٥٤].

VII ورقة ٧١ - ٧٤ وصف مدينة تنيس من ياقوت (نشر Wusienfeld).

I ورقة 881 - 882 ٧٤ الجزيرة الخضراء من المصدر ذاته.

VIII ورقة ٧٥ - ٨٤ قطع من الجريدة المصرية: «الوقائع المصرية» لسنوات ١٢٤٧ - ١٢٥٠.

IX ٨٥ - ٨٩ أطباق الذهب للزمخشرى.

X ٨٩ - ٩٠ سجع المطوق لابن نباطى [٥٥].

XI ٩٠ - ٩٢ تحرير القيراطى.

XII ٩٣ - ٩٩ مدح كل شىء وذمه للثعالبى.

XIII ٩٩ - ١٠٤ روض الأخيار من ربيع الأبرار [٥٦].

XIV ١٠٥ - ١٠٧ قطع من علم البلاغة - المصدر مجهول.

XV ١٠٥ - ١٠٧ - ١٠٨ بعض قطع صغيرة.

وهذا المخطوط مكتوب أكثره فى نصف العقد الرابع من القرن التاسع عشر ومذكور فى Indices، كراتشكوفسكى RAAIV 563 الزهراء ١,٤٢٥ رقم ١٢، ١٣.

(٧)

٧٤٥. كتاب الحكايات.

١٢٦ ورقة على كل منها ١٤ - ١٦ سطرًا (١٨ × ١١) تجليد أوروبى من ورق مكتوب فقط على وجه الورقة بخط الطنطاوى على ما يظهر فى العقد الخامس مجموعة حكايات ونكت فى اللغة الفصحى، إلا أن أغلبها باللهجة المصرية.

وأكثر الحكايات بلا عنوان ومرقمة بأرقام عربية، وفى وسط بعضها نقص، أولا يوجد تكملات لبعضها. ومن الحكايات: حكاية الشيخ موسى، وحكاية الشيخة حليمة، وحكاية الاثنين الجعيدية فى مصر، وحكاية السبع ملاعيب، وحكاية العرسة، وحكاية الدالى محمد.

(٨)

١٢٣٥. بعض وريقات مكتوب عليها مراث وقصائد تتصل بحياة القيصر.

٤ ـ تاريخ قدوم سعادة ولى عهد الروسيا الأمير الكبير مع خطيبته الأميرة الكبيرة مارية وتزوجه بها.

خمسة وعشرون بيتًا من وزن الوافر، أولها:

لإقبال السرور بدا الشعار ولاحت منه أفراح غزار

وفى البيت الأخير تاريخ ١٢٨٢ / ١٨٤٠

مكتوب على ورقتين بحجم الربع فى أربع صفحات على صفحتى الورقة الأولى، وعلى الورقة الثانية صورة الشعر ذاته بخط ردىء يمثل كتابته فى السنوات الأخيرة من حياته. والمخطوط الأصلى بخط

الطنطاوى محفوظ فى الغرفة التركية فى قصر ديتسكويه سيلو. انظر DAH-B,1929.

II صورة ذات الشعر بخط ردىء

III ورقة بحجم الربع فى أربع صفحات من ١ ـ ٣ تاريخ خمس وعشرين سنة من تتويج قيصر الروسيا نقولا الأول ستة وثلاثون بيتًا من وزن الطويل أولها:

بشائر وقت بالسرور وبالسعد　　　فأنطقت الأقوام لله بالحمد

وفي آخر الشعر سنة ١٨٥١ كان أعظم عمل قام به القيصر هو بناء جسر دائم عبر نهر نيقا بيت ١٥ ـ ٢٧، ويظهر أن هذا الجسر أدهش الطنطاوى؛ لأنه يتكلم عنه بالتفصيل فى مخطوطة «وصف روسيا» سورة المخطوط بيد الطنطاوي أما الشعر فمحفوظ في الغرفة التركية ونيسكويه سيلو انظر DHA - B, 1929 CAP. IB.

صفحة ٣ ـ ٤ تاريخ رجوع الدوقة [٥٧] مكسمليان لهتنبرغ من مصر إلى يتربورغ.

شعران من وزن الخفيف. الشطر الأول: سافر الدوقة العزيز لمصر. وهنا توجد قصيدة لأبهة ملك ڤيرتمبرغ ٢ تشرين الثانى ١٨٥٢ ـ ١٠ صفر ١٢٦٩. تسعة عشر بيتًا من وزن الطويل أولها :

قوافل حمد نحو بابك بالشكر　　　سعت ومن الموفى الثناء على البحر؟

وهذه القصيدة نظمها الطنطاوى شكرًا على المدالية التى منحه إياها ملك ڤيرتمبرغ فى شهر ديسمبر سنة ١٨٥٤، كما جاء فى سجل الخدمة. انظر ما ذكر آنفًا.

IV ترجمة الشعر العربى بمناسبة مرور خمسة وعشرين عامًا على تتويج القيصر نقولا الأول على ورقة كبيرة الحجم مكتوبة بخط جميل ترجمة ستة وثلاثين بيتًا من القصيدة. الأصل محفوظ أيضًا، ويوجد فى الترجمة خمس ملاحظات مكتوبة بالعربية بيد الطنطاوى، وبعد البيت الأخير من التاريخ مكتوب:

«ابشرا ... بعقدين تتويج وواسطة العقد، سنة ١٨٥١» وبخط يده التوقيع بالروسى» الأستاذ الشيخ محمد الطنطاوى».

V قصيدة للقيصر نقولا الأول وامرأته ألكساندرا بعنوان دعاد ١٤ بيتًا من وزن الكامل. أولها:

الله يحفظ قيصراً والقيصره ويديم عز نقولة وإسكندره

وآخرها:

وفروع دوحة مجده وعلوه فى كل حين لا تزال زاهره

وفى الأسفل التوقيع:

للفقير الشيخ محمد عياد معلم العربى فى المدارس الرسمية بتربورغ سنة ١٨٥٢. والمخطوط مكتوب على ورقة كبيرة على صفحة واحدة. وعلى الصفحة الأولى مسودة الترجمة إلى الروسية من البيت الأول (إلى الحادى عشر) مكتوب بخط الطنطاوى أيضًا. وكتابة على ورقة عن ملاقاته ولى العهد وأسرته عندما تلا له القصيدة: وناولنى بيده الكريمة هذه الورقة وقرأت لهم هذه القصيدة. والطنطاوى يتكلم عن هذا فى رسالته إلى غوتولد.

VI صورة القصيدة المذكورة آنفًا بخط الطنطاوى فى أيامه الأخيرة.

VII على ورقة ترجمة القصيدة نثرًا تحت عنوان «نشيد».

VIII مصنفان على ورقة كبيرة الحجم.

الصفحة الأولى: تاريخ جلوس أبهة القيصر إسكندر الثانى على تخت روسيا، تسعة وعشرون بيتًا من وزن البسيط. أولها :

الطرف بعد البكا أغفى وما سهدا   فى دجن ليل الشجا نجم السرور بدا

خط الطنطاوى سنة ١٨٥٥.

الصفحة الثانية: تاريخ وفاة أبهة قيصر الروسيا نقولا الأول ٢٥ بيتًا من وزن البسيط أولها:

لم ادر سطح الأراضى تحتنا رجفا   ام السمـــا سقطت من فوقنا كسفا

بخط الطنطاوى، ويظهر فيه تأثير المرض، على أنه ليس رديئًا كخطه فيما بعد.

IX ـ ورقة لكتابة كبيرة الحجم فى أربع صفحات باللغة الروسية بخط الطنطاوى العنوان: تاريخ جلوس القيصر إسكندر الثانى على تخت الروسيا.

(ترجمة من العربية) ويوافق كل بيت شعر عربى بيتان، وقليلا بيت واحد. (انظر ماسبق فى VIII الصفحة الأولى). وبعد آخر كلمة حاشية تاريخ جلوس إسكندر الثانى فى شطر آخر بيت من القصيدة بالأحرف. وفى نص الترجمة أخطاء كثيرة تدل على ضعف معرفة الطنطاوى اللغة الروسية.

(٩)

صرف اللغة العربية باللغة الروسية ـ ٢٩ رزمة ورق من الحجم الكبير للكتابة، فى كل رزمة ٢٠ صفحة، ومكتوب فقط على نصف كل صفحة.

الخطوط مختلفة أهمها مكتوب بيد الطنطاوى بخط واضح إلى بند ٢٣٨، الرزمة التاسعة حيث يتغير الخط، وربما كان ذلك تحت تأثير المرض، ولكنه بقى واضحًا نوعًا ما، ومن بند ٢٤٦ خط نفروتسكى، وفى الرزمة ١١ خط الطنطاوى الذى بدأ يتحسن رويدًا رويدًا، ثم خط نفروتسكى. الرزمة ١٢ بخط جيد بيد الطنطاوى، ومن البند ٣٥٤ (الرزمة ٢٤) خط نفروتسكى، ومن بند ٣٨٢ بخط الكاتب المكتوبة بيده ترجمة (نشيد)، وعلى الهامش كثير من التصحيحات والزيادات.

ويدل الخط على أن هذه التصحيحات والملاحظات استمرت إلى آخر أيام حياة الطنطاوى؛ فالنص الأساسى يمكن انتسابه إلى ما بعد سنة ١٨٥٥، ويثبت هذا إسهام نفروتسكى فيه، إذ إنه انتقل إلى بطرسبرج حول هذه السنة وأن قصيدة «تاريخ الجلوس» المذكورة فى البند ١٩٣ تنتسب إلى السنوات ١٨٤٠، ١٨٤٣، ١٨٥٥.

عن أهمية هذا المؤلف انظر مؤلفات الطنطاوى رقم ٣١.

(١٠)
الأمثال

٣٥ - ورقة مطوية بالنصف عليها نص الأمثال وترجمتها وأرقام بعض الأمثال، إلا أن هذه الأرقام مضطربة. فنرى رقم ٥٥٤ بعد الـ ٢٥٣ وبعد ٦٠٩ - ٧٠٠ وبعد ٦٠٣ - ٧٠٥ ... إلخ. خط المؤلف فى السنوات الأخيرة يمكن قراءته بعد جهود، أما الخط الذى فى الصفحات الأخيرة فردىء. وجميع أجزاء هذا المؤلف - على مايظهر - مرتبط بعضها ببعض؛ لأن على الرزمات أرقام ٣٧ - ٤٠.

انظر مؤلفات الطنطاوى رقم ٣٢.

(١١)

قسم من قاموس تترى ـ عربى.

عشر ورقات من الحجم الكبير فى كل ورقة مطوية ٤ صفحات. النص فى عمودين. التترى على اليمين والعربى على الشمال. والكلمات التترية مقسومة إلى أحرف دون مراعاة ترتيب الأبجدية. وفى الورقات بعض البياض، العنوان مثلاً بالعربى: حرف الألف بقى محفوظًا منها ٤ صفحات حرف (ب) صفحتان حرف (ب) صفحة واحدة (ق) صفحتان، (ى) صفحة واحدة بخط الطنطاوى حتى العقد الرابع من القرن التاسع عشر.

انظر المؤلف رقم ٣٥.

(١٢)

قطع منسوخة ومواد. نحو مائة ورقة مطوية بالنصف بخط لا يمكن قراءته أو وصفه، ويظهر أنها مكتوبة فى سنوات حياته الأخيرة. ترجمت أكثرها إلى الروسية.

أهم المواد فى الصرف والبلاغة واللغة. وكلمات وترجمتها، مجموعة بترتيب. ويظهر أن لهذه المواد علاقة بالمواد الأخرى، لأنه توجد عليها أرقام مثلاً ٢٠، ٢١ إلى آخره. وهذه المواد لا يمكن الانتفاع بها لصعوبة حل الخطوط.

(١٣)

رسالة فيما يتعلق بالبسملة من المسائل، تأليف محمد بن علىّ الصبان. تسع وثلاثون ورقة بخط واضح.

فى آخر ورقة ٣٩: قال المؤلف: وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة لليلة مضت من صفر المبارك ثانى شهور سنة خمس وثمانين

ومائة وألف على يد مؤلف هذه الرسالة الفقير محمد بن على الصبان عفى عنه. وكان الفراغ من كتابتها على يد الفقير محمد عياد بمصر، الخميس رابع صفر ١٢٤٧ بمقام سيدى أحمد البدوى.

لقد كان المؤلف مشهورًا فى بيئات الأزهر بفضل مصنفه فى الصرف والنحو، وهذا المصنف المعروف فى عدة مخطوطات فى طبعة القاهرة سنة ١٢٠٨. Brockelmann.

(١٤)

٧١٧ إعراب «مغنى اللبيب» للأزهرى [٥٨].

٢٥ كراسة فى كل منها ١٠ ورقات. الصورة فى حالة حسنة.

وبدايتها... أما بعد. فيقول محمد الأمير الأزهرى: هذا ما نضرع إلى الله تعالى فى إعرابه... خدمة لمغنى اللبيب للإمام جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام.

وفى الختام: تمت يوم الخميس ٢٦ من جمادى الأولى سنة ١٢٤٩ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية، على يد الفقير محمد عياد، أجراه الله على نهج الرشاد.

(١٥)

٧٨١ شرح لامية العرب [٥٩] للمبرد.

٩ أوراق. تعليقات المبرد. ت ٨٩٨. على شعر الشنفرى، وهنا شعر واحد للمبرد نفسه بشواهد الأدكاوى نفسه، كما فى رقم ٧٦٦. المواد رقم ١٧.. ذكره الأديب الفاضل الشيخ عبدالله الأدكاوى، أخضل الله رمسه.

وفى نهاية المخطوط ٩٧ مكتوب: تم هذا الشرح على يد كاتبه لنفسه الفقير محمد عياد يوم الأحد غرة ربيع آخر سنة ١٢٥١ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل التحية. إن مخطوط التعليقات المنسوبة للمبرد معروف.

انظر (Jacob, Schanfara - Studien, II. Theil' Mänich l9ch, 43)

وهذه النسخة اتخذت أساسًا لشعر الشنقرى فى «المنتخبات العربية لمؤلفيها غرغاس وروزن» (انظر المقدمة، ٧).

(١٦)

٧٨٠ أعجب العجب فى شرح لامية العرب للزمخشرى.

النص ليس مكتوبًا بخط الطنطاوى ولا يوجد تاريخ فى صورة المخطوط، ولكنه يوجد كتابتان: الأولى: قابله وحشاه مالكه الفقير عياد، بلغه الله مهايع الرشاد، بتاريخ ضحوة الأربعاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول من شهور سنة إحدى وخمسين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية.

الكتابة الثانية: ثم بعد ذلك اطلعت على شرح ابن لاجك ونقلت منه ما يزيد على هذا الشرح بالهامش، وكان الفراغ من ذلك يوم الثلاثاء سنة ١٢٥٣ من الهجرة النبوية.

وهذا التعليق معروف جيدًا فى مخطوطات ومطبوعات مختلفة. (انظر Jacob op. eit-II. 46) ، وتعليق محمد بن الحسين بن لاجك الزكى محفوظ أيضًا بين مجموعة مخطوطات الطنطاوى تحت رقم ٧٣٩/ لم يذكره.

(١٧)

٧٦٦. ديوان المتنبى

٢١٤ ورقة. أوله: أجمعت الرواة أن المتنبى ولد... إلخ.

فى المخطوط نص ديوان المتنبى فقط (القرن العاشر)، وعلى الهامش قليل من الحواشى وفى الخاتمة: تم استنساخ هذا الديوان، على يد كثير الذنوب والعصيان، الفقير محمد سعد عياد، بلغه الله منهاج الرشاد، ضحوة يوم العروبة الثانى من شهر جمادى الآخرة من شهور سنة إحدى وخمسين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، وقد نقلت نحو نصفه من نسخة مهمشة بخط الأديب الأدكاوى، وباقيه من نسخة مهمشة منقولة من خط محمد بن عبد العال السرياقوسى الأزهرى.

(١٨)

٨٢٧. كتاب الإيضاح فى شرح سقط الزند [٦٠] وضوئه للشيخ أبى زكريا يحيى التبريزى.

١٩ كراسة مضطربة الترتيب. فى بعض صفحاتها بياض لنقل النص ليست كلها بخط الطنطاوى، الورق ليس من نوع واحد.

وفى الآخر ملاحظات مهمة بيد الطنطاوى، أولها:

وكان الفراغ من هذه النسخة يوم السبت ٢٢ صفر سنة ١٢٥٦ من الهجرة النبوية على محمد صاحبها أزكى التحية، على يد كاتبها لنفسه عياد الطنطاوى الشافعى الأزهرى، بقصر الكرنتينة بمحروسة القسطنطينية، وكتبت فيها فى مصر نحو اثنتى عشرة كراسة.

والملاحظة الثالثة إلى اليمين والنسخة منقولة منها مؤرخ فراغها بيوم الخميس ٢٧ من ذى الحجة الحرام ختام سنة ٩٨٥ بخط عبد القادر بن أبى بكر، وبها كثير من التحريف، أصلحت بعضه.

والملاحظة الثانية إلى اليسار:

ويوم السبت وهو اليوم الثامن من قعودنا فى (الكرنتينة) وعدة أيامها خمسة عشر (إلا أننا أقمنا اثنى عشر؛ لأنهم حسبوا مبدأ كرنتيننا من أزمير) وقد أقمنا فى البحر المالح، فى مركب البخار المسماة بالوابور من إسكندرية تسعة أيام، وخرجنا من مصر يوم السبت ٢٣ المحرم سنة ١٢٥٦ ونريد التوجه إلى بطرسبرج قاعدة مملكة الموسكو، والله تعالى يبلغنا الآمال، ويرجعنا بالسلامة إلى الأوطان فى أحسن حال.

وفى الصفحة التالية عدة أبيات شعر أدخلها فيما بعد فى كتابه «وصف روسيا» لكاتبه وهو ذاهب إلى قصر الكرنتيتة فى زورق فى الخليج القسطنطينى لما رأى أبنية الإسلامبول، وخصوصًا قصر السلطان.

مذ لاحت إسلامبول وهى التى　　　من يرها ود بها مسكنه

ومما قلته فى الوبور:

لم يدر عباد السعير بنفعها　　　إذ أججوها فى هباء هواء

وقلت أيضًا :

وبورنا ونار كانونها　　　من هول هذا البحر نصران

وقلت على طريق التخميس:

لما أردت إلى المعانى أرتقى

وقلت:

ياليتنــى مثــل الحريرى قد رثا   لـه من الخطـب العـدو الأزرق

التواريخ هنا تختلف نوعًا ما عن التواريخ المذكورة فى «وصف روسيا» ويمكن أن نفسر هذا بأن الطنطاوى كان يوفق بين التقويم الهجرى والتقويم المسيحى الشرقى، وأحد هذه التواريخ نصادفه فى غير مخطوط. (انظر المواد رقم ٣٦).

(١٩)

كتاب «التدبيرات السلطانية فى الصناعة[١] الحربية» تأليف محمد ابن منكلى الناصرى أحد مقدمى الحلقة المنصورة رحمه الله برسم الجناب العالى المولوى خرياش السلحدار الملكى الظاهرى.

٣٦ ورقة. النهاية: وقد انتهى الوارد لأتم المقاصد بعون الله وتأييده والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، إلى يوم الدين، على يد كاتبه محمد عياد الطنطاوى غفر له، ثم تستمر الكتابة على الجهة اليمنى:

فى بتربورغ يوم السبت ٥ ذى الحجة الحرام ختام سنة ١٢٥٨ من هجرة من له العز والشرف، عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

ولا شك أن الطنطاوى نقل هذا الكتاب عن مخطوط القسم التعليمى.

(انظر : Les manuscrits arabes, déccrits par Baron V. Rosen 1877, 161-164 N123)

---

(١) فى النص توجد كلمة السياسة بدلاً من الصناعة.

يذكر Brockelmann المؤلف ومؤلفاته فى 136, II رقم ٥. وكذلك يذكره زيدان فى تاريخ آداب اللغة العربية III ٢٥٤ - ٢٥٥ رقم ٤. أما حاجى خليفة (طبعة Flugel, II,253 N 2763) فيسمى هذا الكتاب غفلا من اسم صاحبه. أما زيدان فقد كان يعلم بوجوده على أن N. Ritter وجد النسخة الثانية فى الزمن الأخير فى إسطنبول. (انظر Der Islam, XVIII, 1929. 148)

(٢٠)

٧٢٥ مختصر الأغانى.

٣٩ كراسة منقولة من كتاب الأغانى للأصفهانى (ت ٣٥٦ - ٩٦٧). بعض صفحات فقط منسوخة بيد الطنطاوى، ولكن على الهامش تصحيحات وملاحظات كثيرة مكتوبة بيد الطنطاوى. وأحيانًا نجد بعض كلمات باللغة الفرنسية. والمخطوط مكتوب فى العهد المصرى وربما كتب حينما كان الطنطاوى يدرس Fresnel و Peron عندما اختمرت فكرة طبع كتاب الأغانى.

(٢١)

٧١٨. شرح شواهد المغنى للسيوطى

المجلد فى غلاف من الرق وفيه ٢٣٤ ورقة. والمؤلف الأساسى تعليقات السيوطى (ت ٩١١، ١٥٠٥) على أبيات الشواهد فى كتاب النحو لابن هشام المسمى : (مغنى اللبيب.) المخطوطات الأخرى Brockelmann, II, 23 N 12 منقول سنة ١٢٠٢/ ١٧٨٨. يوم الأحد الثالث من شهر ذى الحجة الحرام سنة ١٢٠٢ اثنين ومائتين وألف.

الناسخ أحمد وفا الصافى وربما كان هو نفس الشخص الذى نسخ المخطوط ٨٣٣ (انظر المواد، رقم ٥، IV).

ورقة ٢٣٥ - ٢٤٢. زيادة من شرح مجهول على ما يظهر بيد الطنطاوى وعلى الهامش بعض تصحيحات نادرة بيده أيضًا. والمخطوط ينتسب إلى السنوات الأخيرة من إقامته فى مصر قبيل سفره إلى روسيا. ويدل على هذا اطلاعه على كتاب النحو لـ Sylvestre de Sacy الذى يستشهد به الطنطاوى عدة مرات (ورقة ٢٠٩, "Grammaire de sacy,t .II, P 439, gramm. de Sacy, t. 1,p. 315".

(٢٢)

٧٧٤ - العيون الغامزة على خبايا الرامزة، للدمامينى [٦١] Brockelmann, I, 312, N 11 فى المصورة ٢٣ ربيع الثانى ١٠٨٤ (أغسطس ١٦٧٣) الناسخ محمد بن المرحوم أبى القاسم الرضى. وفى البداية مكتوب بخط الطنطاوى: تاريخ حياة الدمامينى وبيده أيضًا منسوخة فى كراستين على ما يظهر غير موجودتين فى المخطوط. وقد طبع النص الأساسى ..B. Basset, La Chazrad jyah، وهناك معلومات عن هذا التعليق Traité de Métrique Arabe. Alger. 1902 (صفحة ٩).

(٢٣)

٧٨٢ - شرح المعلقات للزوزنى [٦٢].

١٢٧ ورقة: الزوزنى (ت ٤٨٦ - ١٠٩٣) وقد انتهى من كتابته فى ١٨ من المحرم ١٢٥٦ قبل سفر الطنطاوى من مصر بعدة أيام. (انظر المخطوط ٨٣٧ = المواد). الناسخ حسن بن أحمد سعود الزواوى.

ورقة ١٣٠ - ١٣٤ معلقة النابغة بتصحيحات الطنطاوى على الهامش، ورقة ١٣٥ - ١٣٨ أشعار النابغة والأعشى بيد الطنطاوى على ما يظهر.

(٢٤)

٨٠٤ - مجمع [٦٣] الأمثال للميدانى الجزء الأول.

الميدانى (ت ٥١٨ - ١١٢٤ Brockelmann I, 289. N 10)؛ ١٧٩ ورقة بين ١١٢ و ١١٣ خلل كبير. وبقيت الكراسات ١ - ١١ و ٢٢ - ٢٨ محفوظة والمخطوط نظيف بلا ملاحظات، ويظهر أن المخطوط مكتوب بيد الطنطاوى فى عهده المصرى الباكر.

(٢٥)

٨٢٣ شرح ديوان المتنبى

تسع عشرة كراسة مختلفة الحجم مكتوب أكثرها بخط الطنطاوى فى مجلد من الرق، وفى الشرح نصادف بياضًا بالنص.

(٢٦)

٨٢١ ـ ديوان جليل القدر لسيدنا ومولانا سلطان العاشقين ابن عفيف [٦٤] رحمه الله تعالى ٣٠ ورقة (ت التلسمانى ٦٨٨. ١٢٨٩ Brockelmann, I,25 N 17 على حسب الأبجدية، وفى النهاية نجد هذه العبارة: تم ديوان الأديب العفيف بن العفيف الفائق فى الأدب، إلى أعلى الرتب، على يد الفقير محمد عياد، سامحه الجواد. بخط الطنطاوى فى عهد شبابه.

سيرة السلطان جلال الدين [٦٥] للنسوى

مخطوط القسم التعليمى (انظر Les manuscrits arabes décrits)

تاريخ شاه خوارزم جلال الدين: (par Baron V Rosen 19-20, N 36)

ألفه أمين سره النسوى: (القرن السابع Brockelmann I, 139, N Io)

نسخها الطنطاوى من مخطوط باريس الذى كان أساسًا لطبعة Houdas 1259-1843 ثم كتابة مفصلة عن تاريخ حياته، وفى النهاية معلومات عن الظروف التى استدعت نسخ صورة المخطوط تقرأ هكذا:

(يقول ناقل هذا الكتاب محمد عياد الطنطاوى: لما وصلت إلى كرسى مملكة الروسيا بتربورغ المحمية، حظيت بالإقبال والقبول، أولا لاحظتنى عناية أبهة القيصر نقوله الأول، ثم رعاية حضرة وزيره الكونت «نسل روض»، ثم لمحات مدير الديوان الأسنى جناب سينياون. فبلغت فوق الآمال، وحين تصفحى لكتب مدرسة الألسن الشرقية وجدت مختصر ديوان المتنبى مكتوبًا بخط بعض صحبى، فأخذتنى الغيرة وأردت أن يكون فى تلك الخزانة البهية كتاب بخطى. وحيث وصل هذا الكتاب من باريز وكان معدوم النظير، كتبته باسم مكتبة هذه المدرسة التى نلت الشرف بتعليم العربى لتلامذتها، وأرجو أن مدير هذه المدرسة الآن، حبيبنا الخواجة ديموزن، لا يمتنع من قبوله لهذه المدرسة لأنه مهتم بأحوالها وتحسينها خصوصًا وهو عارف بهذه الألسن وقيمتها، داعيًا بحفظ مؤسس المدرسة وحاميها ومديرها وناظريها، والله على ما أقول وكيل).

(٢٧)

مخطوط ديوان المتنبى المذكور موجود الآن فى مجموعة روزن رقم ٨٢ منسوخة بيد صديق الطنطاوى محمد قطة.

وأهمية هذه القائمة بينها بارون روزين فى تقريظ طبعة Houdas الذى قام بعدة تصحيحات على أساس الصورة المنسوخة.

(٢٨)

٦٨٦. الجزء الثانى من شرح المنهاج للإمام [٦٦] جلال الدين المحلى مجلد كبير فى آخره تاريخ (رجب ١٠٠٩ - يناير ١٦٠١) يوم الأحد الثانى من شهر رجب الأحب بعد العصر من شهور سنة تسع وألف. اسم الناسخ: أحمد بن سلامة... القليوبى الشافعى الأزهرى. وفى الصفحة ذاتها حيث العنوان نجده مكتوبًا فى أسفل: الملك لله تعالى فى نوبة أفقر العباد، محمد بن سعد عياد، أصلح الله شأنه، ووقاه ما شانه. آمين ١٣ رمضان ١٢٤٩.

وفى بعض المواضع ملاحظات وتصحيحات بقلم الطنطاوى نفسه.

(٢٩)

٧٣٨ - شرح الدرة المضية [٦٧] فى مدح خير البرية للعلامة أبى السعود المفسر. المخطوط فى ٢٠ كراسة دون تاريخ، وتنتسب إلى خط الطنطاوى فى العهد الأخير. ويقرب العنوان مكتوب: فى نوبة الفقير محمد عياد الطنطاوى، غفر الله له جميع المساوى. فى شوال سنة ١٢٥٠ (توفى أبو السعود، ٩٨٢ ـ ١٥٧٤).

تعليقاته على القصيدة المعروفة للإمام (ت ٦٩٤ - ١٢٩٤) وعنوانها المألوف: الكواكب الدرية... إلخ.

البوصيرى فى مدح النبى محمد عليه السلام Brockelmann I. 264 N 16 .

(٣٠)

٧٦٧ - كتاب معيد النعم [٦٨] ومبيد النقم تصنيف عبد الوهاب... تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى.

أرقام الأوراق بالعربى لورقة ٢٠٦، وفى آخر الكتاب ملاحظة مهمة تقرأ هكذا: علقه لنفسه على استعجال، لأمر اقتضاء الحال، من خط مصنفه... السبكى خلا يسير ملحقًا بغير خطه، الفقير إلى عفو ربه، محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر الخيضرى الشافعى الدمشقى، فى أوقات يسيرة، آخرها وقت العصر يوم الجمعة ثامن عشر جماد الأول سنة سبع وأربعين وثمانمائة، بمنزلى ببركة الرطلى بمدينة القاهرة.

وهنا ملاحظة: «بلغ مقابلة». وبجانب ملاحظات أخرى لأصحاب المخطوط توجد كتابة للطنطاوى نصها: طالع هذا الكتاب الفقير محمد عياد، لطف الله به يوم التناد سنة ١٢٥٣.

المخطوط مهم، وهو تأليف السبكى (المتوفى ٧٧١ - ١٢٧٠. Brockelmann, II, 89, N 14) طبعة Myhrman Luzac Semitic Text and Translation Series, vol. XVIII) المخطوط بيد العالم وذى المقام الرفيع محمد الخيضرى (ت 888 -1483) المخطوط (Brockel,mann, II. 79 N 38.).

وهو منسوخ عن مخطوط المؤلف ومقابل به فى القاهرة سنة ٨٤٧ - ١٤٤٢، وقد طالعه الطنطاوى س ١٢٥٣ - ١٨٣٧. وطبعة Myhrman التى

لم تأخذ بعين الاعتبار هذا المخطوط لا يمكن أن تعد مرضية. انظر مقالة K.V. Zetterstéen, Nerrn D. W. Myhrman Ausgabe des kit-ab muid an-niâm wa mubid an - niqam vritisch celcuchtet. Up-psala, 1913 ، ولذلك فإن أهمية مخطوط الجامعة تزيد كثيرًا.

(٣١)

٧٥٤ - أطباق الذهب [٦٩] على موائد الخطب: تأليف عبد المؤمن ابن هبة الله الأصفهانى... والأطواق للعلامة الزمخشرى والأطواق فى الأطباق لغيرهما.

المخطوط فى عشرين ورقة، ويحتوى فقط على المؤلف الأول المذكور فى العنوان. وفى البداية تاريخ المخطوط: برسم الفقير... أحمد عبد الجواد الرافعى فى آخر رجب مع ابتداء شعبان سنة خمس عشرة ومائة وألف، وعند العنوان كتابتان فى ملك الفقير إليه تعالى حسن الجبرتى الحنفى. وفى أسفل نجد هذه العبارة: ثم انتقل بالشرا الشرعى إلى الفقير محمد عياد، أرشده الله على نهج الرشاد محرم سنة ١٢٥٤.

(٣٢)

٦٩٥. الجامع الصغير [٧٠] للسيوطى

مجلد تجليدًا حسنًا فى كراسات. وفى آخره تاريخ :

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك سابع وعشرين جماد الأول سنة ١٥٦ ... أحمد.. مؤدب الأطفال بمكتب السلطان قايتباى بالجامع الأزهر.

وعند العنوان مكتوب: ساقه القدر إلى نوبة الفقير محمد عياد الطنطاوى غفر الله ذنوبه ١٢٥٤.

توفى السيوطى س ٩١١ - ١٥٠٥ قابل 147 ;Brockelmann. II, 141 .

(٣٣)

٧٢٤. العنوان فى الورقة الأولى

كتاب يذكر فيه أخبار بعض العشاق السالفين رحمهم الله أجمعين.

البداية: الحمد لله الذى حكم على المحبين بلواعج الشوق والغرام، وتيمهم بالحب فهامت قلوبهم بين الأنام... أما بعد. فهذه نبذة لطيفة، ورسالة منيفة، حاوية ما وقع بين قيس بن الملوح مجنون بنى عامر، وبين محبوبته ليلى العامرية... وذكر حملة من التحقق به من العشاق... إلخ.

١٤ كراسة مهمشة وقد فقد آخرها. وتحت العنوان مكتوب:

دخل فى نوبة الفقير محمد عياد الطنطاوى الأحمدى ثم الأزهرى ١٢٥٤. وقبل هذا: دخل هذا الكتاب فى نوبة العبد الفقير أحمد البابلى بالمقام الأحمدى سنة ١٢٠٣ من الهجرة النبوية.

(٣٤)

٧٠٦ ـ كتاب المواعظ والاعتبار [٧١] للمقريزى.

فى ٣٨ كراسة، ونجد فى نهايته ما يأتى:

وكان الفراغ من كتابته فى خامس شهر جمادى الأول الذى هو من شهور سنة ١٢٥٥، وذلك على يد أفقر العباد إلى مولاه الغنى، حسن عبد

ربه البنهاوى، غفر له آمين. وفى الورقة الأولى: فى نوبة الفقير إلى الله الغنى، محمد عياد الطنطاوى ١٢٥٥.

توفى المقريزى س ٨٤٥ - ١٤٤٢ Brockelmann, II 39

(٣٥)

٧٤٦. كتاب الحجة فى سرقات ابن حجة. تأليف شمس الدين محمد بن حسن النواجى الشافعى. المخطوط فى حالة حسنة. وفى آخره تاريخ: وعلقه بيده الفانية... يوسف بن محمد الشهير بأبى الوكيل الميلاوى... وكتبته فى خمسة أيام آخرها يوم الخميس المبارك رابع عشر شهر الحجة الحرام ختام سنة ١١٠٨، ثمانية ومائة بعد الألف.

وفى آخر التاريخ عبارة منقولة عن الأصل: على بن أحمد الشافعى الفرضى الأنصارى... فى أوائل سنة ١٠٤٢.

وفى أول المخطوط نجد هذه العبارة: ساقه القدر إلى نوبة الفقير محمد عياد الطنطاوى سنة ١٢٥٥ وفى الآخر عبارة مسهبة: طالعه الفقير إلى رحمة ربه، وأسير وصمة ذنبه محمد عياد الطنطاوى بيتربورغ من ديار الروسيا غرة رمضان سنة ١٢٦٣ من الهجرة، وكتب على الهامش ما بداله، والله الهادى والصلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه.

منقولة فى سنة ١١٠٨ - ١٦٩٧ عن نسخة سنة ١٠٤٢ - ١٦٣٢ بروكلمان يعرف مخطوط ليدن فقط. Brockelmann. دخل المخطوط فى نوبة الطنطاوى سنة ١٢٥٥ - ١٨٣٩ II, 56, N II، وقد طالعه

وصححه على الهامش فى بطرسبرج فى رمضان ١٢٦٣ (أغسطس ١٨٤٧).

(٣٦)

٧٧٧. برد الأكباد فى الأعداد - للثعالبى [٧٢]

٥١ ورقة وفى آخره ما يأتى:

وكان الفراغ من نسخه يوم الجمعة ثالث عشر شهر رمضان المعظم قدره وحرمته من شهور سنة ١٠٣٦ ست وثلاثين بعد الألف هجرية. ختمت بخير آمين. وهنا ملاحظة :

طالعته وأنا فى قصر الكرنتنة بمحروسة إسلامبول، والسلطان إذ ذاك عبدالمجيد خان بن السلطان محمود خان فى ٢٢ صفر سنة ١٢٥٦ من الهجرة النبوية. كتبه محمد عياد الطنطاوى عفى عنه. توفى الثعالبى سنة ٤٢٩ - ١٠٢٨ Brockelmann. I, 284.

(٣٧)

٧٢٩. كتاب الصادح والباغم. [٧٣]

مخطوط مكتوب بخط جميل. فى آخره: «وكان الفراغ من تعليقه صبيحة يوم الخميس المبارك ثامن عشر شعبان المبارك سنة ستة بعد الألف، برسم سيدنا السيد الشريف الحسيب النسيب سيدى محمد الحبى (الحسينى).

وهنا كتابة يبدو عليها العجلة بقلم رصاص: طالعه الفقير محمد عياد فى كرنتينة أزمير... يوم الأحد ١٧ شعبان المبارك سنة ١٢٦٠ من الهجرة النبوية.

(٣٨)

٧٢٧ سكر دان [٧٤] السلطان ـ لابن أبى حجلة

٩٩ ورقة مرقمة بالأرقام العربية بخط جميل قديم بلا تاريخ.

الورقة ٩٩٧: طالعه محمد عياد الطنطاوى فى كرنتينة أودسا فرضة بلاد الروسيا ١٧ رمضان سنة ١٢٦٠. عند عودته إلى روسيا. انظر المواد رقم ٤١.

توفى ابن أبى حجلة ٧٧٦ - ١٣٧٥، Brockelmann, II, 13.

(٣٩)

٧٣٠. روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ـ تأليف محمد ابن قاسم بن يعقوب.

١٥١ ورقة. المخطوط فى حالة حسنة. وفى نهايته هذه الكتابة: وقع الفراغ من كتابة هذه الروضات عصر يوم الخميس المبارك السادس والعشرين من شهر رمضان الخير سنة ١١١٣ ثلاث عشرة ومائة وألف... بقلم الفقير إليه. سبحانه... وعند العنوان : الملك لله تعالى فى نوبة العبد الفقير محمد عياد الطنطاوى عفى عنه سنة ١٢٦٠.

توفى محمد بن قاسم سنة ٩٤٠ - ١٥٣٣، ٢٩٢ .Brockelmann. 1
اشترى الطنطاوى هذا المخطوط حين إقامته فى مصر.

(٤٠)

٧١٠. مجموع فى أخبار السلف الصالحين، والخلفاء الراشدين.

مجموع تواريخ حياة وأمثال، مكتوب بخط مغربى.

وفى أوله مكتوب: من تاريخ المقريزى عند ذكر أبى الحسن الأشعرى رحمه الله. وعدد الأوراق ٩٢. وفى آخره مكتوب: قرأه مالكه الفقير محمد عياد الطنطاوى ربيع الآخر ١٢٦١.

(٤١)

٧٢٨ سكردان السلطان لابن أبى حجلة

مخطوط قديم بلا تاريخ. مكتوب على الورقة الأولى؛ حيث العنوان العبارة التالية: مما ساقه القدر إلى نوبة الفقير محمد عياد الطنطاوى. قرأه الفقير محمد عياد، وفرغ يوم الأحد ٢٢ شوال سنة ١٢٦٣ من الهجرة النبوية ببتربورغ تخت الروسيا.

(٤٢)

٧٣٣. ريحانة الأدب [٧٥] لابن خفاجة. (العنوان أصح فى النص: ريحانة الألباء) المخطوط فى حالة حسنة له تاريخ يقرأ هكذا:

تم كتاب ريحانة الأدب... وذلك يوم الربوع المبارك ثانى عشر ربيع الأول من شهور سنة ست وستين ومائة وألف على يد الفقير الحقير، المعترف بالعجز والتقصير، صالح بن حسين الدعوجى المكى مولدًا...

وبجانب هذا مكتوب: انتهى مقابلة بقدر الطاقة على يد الفقير عبد الرحمن الجبرتى سحر ليلة الإثنين لعشر خلون من شهر رمضان المعظم سنة ١٢١٢. ومكتوب بعد هذا ملاحظة عن قراءة المخطوط: حسن بن محمد العطار.

وبقلم رصاص: طالعه مطالعة تدبر الفقير محمد عياد الطنطاوى ببتربورغ سنة ١٢٦٩ ومكتوب فى الورقة الأولى:

الملك لله تعالى فى نوبة الفقير الشيخ محمد عياد الطنطاوى غفر الله ذنبه.

(٤٣)

٧٩٤. مزدوجة [٧٦] المقرى

عشرون ورقة. الورقة العشرون فيها: كتبها العبد الفقير يوسف المعترف بالتقصير لشيخه وأستاذه الشيخ محمد عياد حفظه الله. آمين.

توفى المقرى سنة ١٠٤١ - ١٦٣٢ Brockrlmann, II, 291 N 6

وأول المزدوجة:

أحمد من قد أطلع الجمالا — بدرًا على عرش البها تعالى

وزان من عذاره الكمالا — بهالة من أن ترى زوالا

أحمده وهو ولى الحمد

* * *

وربما كان الناسخ يوسف هو يوسف الأسير المذكور آنفًا فى تاريخ حياة الطنطاوى، وربما كان ذلك فى زمن إقامته فى مصر

(٤٤)

غرر الخصائص [٧٧] للكتبى

مخطوط المنتخب للكتبى (توفى ٧١٨ - ١٣١٨) فى مجموعة القسم التعليمى (رقم ١٠٧ من قائمة البارون روزين؛ عند بروكلمان ١١، ٥٤،

رقم ٢ لا ذكر له) وتاريخ المخطوط ١٢٢ / ١٧١٠. وفى أوله كتابة: فى غرة المحرم سنة ١٢٥٦ ملك هذا الكتاب محمد عياد الطنطاوى عفى عنه.

(٤٥)

يتيمة الدهر للثعالبى

المخطوط فى القسم التعليمى (قائمة البارون روزين، ٤٤، رقم ٨٦). والنسخة حسنة جداً، ١١٩٥ - ١٧٨١. ملاحظة: قراه بتمامه الشيخ محمد الطنطاوى مدرس العربية فى المدرسة الشرقية ببتربورغ، وتم فى ١٩ رمضان سنة ١٢٦٢، وصحح بالهامش بعض أغلاط يسيرة؛ إذ النسخة خالية من قبيح الأغلاط.

(٤٦)

قواعد الأحكام فى معرفة [٧٨] الحلال والحرام للحلى

ابن مطهر الحلى توفى ٧٢٦ ـ ١٣٢٦، Brockelmann II, 164 فى مخطوط المعرض الآسيوى بتاريخ ١٠٩٤ ـ ١٦٨٢. (انظر Notices Sommaires Baron Roxen N 135.

وفى البداية على صفحة بخط الطنطاوى فهرست فصول المؤلف N135 على صفحات المخطوط وبيد الطنطاوى : فهرست كتاب قواعد الأحكام فى معرفة الحلال والحرام.

العنوان بالفرنسية

Table des matières par le Cheich Mohammed Ayyad Tantawi

والفهرست طريف، إذ إنه يدل على أن الطنطاوى بعد رحيله إلى روسيا كان يهتم أحيانًا بمسائل قواعد الأحكام.

مقامات الحريرى

مخطوط مقامات الحريرى فى مكتبة مونيخ (انظر قائمة Aumer, 236, N553) منسوخة فى آخر ربيع الثانى سنة ١٢٥٥ (يوليو ١٨٣٩) ومصححة بقلم الطنطاوى، ومما يدل على ذلك هذه الملاحظة بالفرنسية.

(Ouvrage corrigé et annoté par le cheikh Mohammed Ayad il-Tantawi professeur d' Arabe a L'Institut Oriental de St. Peters-bourg.

وترجمتها بالعربية: مصحح ومعلق عليه بقلم الشيخ محمد عياد الطنطاوى أستاذ اللغة العربية فى المعهد الشرقى بمدينة بطرسبرج.

وربما أهداه Pruner تلميذ الطنطاوى فى مصر. (انظر ما سبق آنفًا فى تاريخ حياته).

رسائل من الشيخ الطنطاوى لغوتولد

إن مراسلات أستاذ جامعة بطرسبرج الشيخ محمد الطنطاوى القاهرى ١٨١٠ ـ ١٨٦١ تحتل مكانًا مرموقًا فى تلك الفسيفاء التى يتألف منها تاريخ حياته، ولم يبق محفوظًا للأسف من رسائله إلا القليل، نعثر على بعضها مصادفة بين حين وآخر . ومن حسن المصادفات وجود عشر رسائل مكتوبة بيد الطنطاوى، ورسالة مرسلة إليه من وطنه فى مكتبة جامعة قازان تمكنت من الاطلاع عليها ودرسها. سلمت هذه الرسائل مع غيرها من الوثائق إلى مكتبة جامعة قازان بعد وفاة غوتولد (١٨٩٧) وقام بترتيبها وتسجيلها كتانوف[١].. على أن عدد الرسائل وتنظيمها يدل على أنها لم تحفظ كلها، ولعل غوتولد نفسه لم يحتفظ بها فجمع ما تبقى منها بين أوراقه، ومما يثبت اعتقادى هذا وجود رسالة واحدة فقط بينها من البارون روزن بتاريخ ٢٣ أيلول (سبتمبر) سنة ١٨٩٣ فى الوقت الذى نرى فيه بين رسائل الأخير عشرين رسالة مرسلة من غوتولد فى فترة ما بين سنة ١٨٧٦ ـ ١٨٩٤[٢].

ويظهر أن التعارف بين غوتولد والطنطاوى ابتدأ فى مدينة بطرسبرج بعد وفود الطنطاوى إليها سنة ١٨٤٠ عندما كان غوتولد يعمل فى المكتبة العمومية، وقد جمعتهما صداقة متينة لم ينقطع حبلها حتى بعد انتقال غوتولد للعمل إلى قازان سنة ١٨٤٩؛ إذ نرى غوتولد يذكر الشيخ ويتكلم عنه بعد وفاته بعشرين سنة ونيف فى مؤتمر المستشرقين فى ستهوكهولم. فوجود رسالة مرسلة للطنطاوى بين أوراق غوتولد يؤكد لنا

---

(١) انظر عضو شرف الجامعة الإمبراطورية فى قازان، الأستاذ والمستخدم فى المكتبة إ. ف غوتولد ١٢ أكتوبر ١٨١٢ - ٧ أغسطس ١٨٩٧. قازان ١٩٠٠. المراسلة مذكورة فى صفحة ٢٣٩ رقم ب ١٥١.

(٢) لم يذكر كتانوف عدد الرسائل إلا أنه مذكور فى الملحق.

متانة هذه الصداقة، وهذا التحرير مكتوب على ورقة خطاب كبيرة الحجم، وعلى الصفحة الثانية العنوان التالى:

«يصل إن شاء الله تعالى إلى إسكندرية إلى جناب الخواجة تيموفييف ترجمان قنصل دولة المسكوب، ليوصله إلى تبريورغ للشيخ محمد الطنطاوى فى خير وسلامة تدوم».

فيظهر من هذا أن الرسالة قد أرسلت بمساعدة تيموفييف أمين القنصلية الروسية فى الإسكندرية، وتيموفييف هذا كان تلميذًا للشيخ درس عليه اللغة العربية مع ڤالن Wallin، وهى بتاريخ ٢٣ من المحرم سنة ١٢٦١ الموافق لأول فبراير سنة ١٨٤٥. الإمضاء محبوبكم وولدكم كاتبه الفقير أحمد وفا فى الصافية. وهذا التوقيع على ما يظهر توقيع أحد تلاميذ الشيخ أو أحد أقاربه من قرية الصافية، حيث كثيرًا ما كان يعيش الشيخ، لأن هذه القرية وطن أمه.

وأحمد هذا قد نسخ بعض المخطوطات المحفوظة بين مجموعة الشيخ الطنطاوى[٢] ولا تحتوى هذه الرسالة إلا على تسليمات عديدة وشكر للشيخ على إبلاغه إياه عن وصوله بالسلامة إلى بطرسبرج. ويرجع تاريخ تحرير الطنطاوى إلى أول ذى القعدة (نصف شهر نوفمبر سنة ١٨٤٤) أى عند رجوعه إلى بطرسبرج ، وقد تسلمه الصافى على حسب قوله فى ١٧ من المحرم (٢٦ يناير ١٨٤٥)، وهذا التاريخ يثبت ما

---

(٢) المخطوط محفوظ فى مكتبة الجامعة برقم ٨٣٩. ل. ٩. أحمد وفا الصافى فى ١٢٥٢ ـ ١٨٣٦ ـ ١٨٣٧ (انظر المواد لتاريخ حياة طنطاوى فى ملحق كتابى رقم ٥) ورقم ٧١٨ فى النهاية. أول ذى الحجة سنة ١٢٥٢ (مارس ١٨٣٧) المواد رقم ٢١.

لدينا من المصادر الأخرى عن سفر الطنطاوى إلى مصر فى صيف سنة ١٨٤٤ ووصوله إلى أودسا عند إيابه فى أواخر شهر سبتمبر.

ومجموعة رسائل الطنطاوى العشرة تبتدئ بورقة خطاب بحجم الربع مكتوب عليها العنوان التالى:

A Monsieur Gottwald Chez Lui.

وفى الصفحة الأولى يطلب الشيخ من غوتولد أن يرسل له خطاباً ليأتيه بحطب ويدعوه وقرينته لزيارته مساء. والتحرير مكتوب بلغة فرنسية ركيكة بتاريخ ١٢ يونية سنة ١٨٤٥، فالتاريخ هذا والعنوان يدلان على أن الطنطاوى كان إذ ذاك يعيش فى المصيف. وفى الصفحة الثانية يعتذر الشيخ لإزعاجه غوتولد بطلبه هذا، واعتذاره مصحوب بشعر يناسب المقام.

أما ما يختص بالرسائل السبع الأخر فيدل تاريخها على أنها أرسلت لغوتولد بعد انتقاله للعمل إلى قازان، فى النصف الأول من سنة ١٨٥١، وكان غوتولد قد صمم على نشر كتاب البدخشانى «خلاصة الخالصة» باللغة العربية. وقد صدر الكتاب فى تلك السنة[٤] وهذه الرسائل كلها مكتوبة على ورق بريد عادى باللغة الفرنسية، وتحتوى على بعض تصحيحات فى مسودة الطبع قام بها الطنطاوى، ففى الرسالة الأولى بتاريخ ٤ يناير سنة ١٨٥١ يخبر الطنطاوى أنه تسلم رسالة بمناسبة نشر الكتاب المذكور آنفًا ويقترح فى صفحتين عدة تصحيحات، وفى الصفحة الثالثة يهنئ غوتولد بعيد رأس السنة الجديدة ويخبره عن ولادة ابنه

---

(٤) صدر الكتاب بعنوانه العربى فقط دون ذكر الناشر فى ٦٦ صفحة in 8 (راجع بركلمان ٢٨،٢٠ رقم، ٢٧٩. Geschichte der arabischen 4 Literaur.

أحمد[٥] ويرجوه أن يبلغ سلامه لأخيه كاظم بك[٦] كما يبلغه تحية من دورن[٧]. والرسالة الثانية بتاريخ ١٢ فبراير[٨] تحتوى على بعض تنقيحات وسلامات وتحية من قرينة ميرزا جعفر[٩]، ونصادف فى هذه الرسالة ذكر ديميزون[١٠] وبروشه[١١] ويرجو الطنطاوى غوتولد بأن يبلغ سلامه للسفير تشوقند[١٢] إذا لم يكن قد غادر قازان بعد، ويخبره كذلك أن كاظم بك قد أشرف على إنهاء نشر «دربند نامه»[١٣] والرسالة الثالثة[١٤] بتاريخ ١٢ آذار مارس تحتوى على تصحيحات فقط فى صفحتين، وفى الصفحة الثالثة يشكره على «حادث مسكوى» ويذكر بعض أخبار عائلية. ويليه بعد أسبوعين فى ٢٧ مارس رسالة أخرى[١٥] فيها تصحيحات وسلامات أما فى الرسالة بتاريخ[١٦] ١٢ أبريل فإنه ـ

---

(٥) على حسب سجل الخدمة ولد أحمد فى ١٩ مايو ١٨٥٠.

(٦) يراد به عبد الستار كاظم بك المعلم فى جامعة قازان قبل نقله إلى الكلية الشرقية فى بطرسبرج .. انظر بارتولد. ف. المواد لتاريخ كلية اللغات الشرقية IV ١٩٠٩، ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٧) دورن عضو المجمع العلمى ١٨٠٥ – ١٨٨١ كان على معرفة قريبة مع الطنطاوى، كما ترى من رسائل هذا الأخير فيما بعد .

(٨) مسجلة برقم ٢٤.

(٩) ربما يعنى ميرزا جعفر توبتشييف ١٨٦٩ – ١٧٩٠ زميل الطنطاوى فى التدريس فى قسم اللغات الشرقية.

(١٠) ديميزون مدير قسم تعليم اللغات الشرقية ١٨٠٧ – ١٨٧٣.

(١١) بروشه – عضو المجمع العلمى ١٨٠٢ – ١٨٨٠.

(١٢) يكتب الطنطاوى عن إقامة تشوند فى بطرسبرج فى «وصف روسيا» مخطوط إسطنبول صفحة ٥١ – ٥٢.

(١٣) النسخة المطبوعة من هذا الكتاب سنة ١٨٨٥٠.

(١٤) مسجلة برقم ٢٤

(١٥) كذلك: مسجلة برقم ٢٤.

(١٦) كذلك: مسجلة برقم ٢٤.

ما عدا التصحيحات. يهنئه بالعيد ويخبره بأن المحاضرات قد انتهت في الجامعة في ٢١ آذار - مارس.

وفي الرسالة بتاريخ[١٧] ٢٦ أيار - مايو أرسل الطنطاوي أربع صفحات تصحيحات، واعتذر بعدم إمكانه قراءة النص الفارسي لضيق الوقت، إذ إنه سيسافر إلى القرية حيث انتقلت أسرته منذ أسبوع، وأرسل آخر التصحيحات إلى غوتولد في ٣ يونيو، وفي هذه الرسالة يخبر عن صحته ابنه أحمد، وعنوانه الصيفي[١٨] coprps postier بيت دو فوفسكي ٥ وبهذه الرسالة تنتهي المراسلة التي دامت خمسة أشهر بمناسبة طبع الكتاب المذكور آنفًا. ومن الصعب أن نحكم بأن المراسلة انقطعت بين الصديقين لأن رسائل غوتولد لم تحفظ كلها كما ذكرت. وما عدا هذه الرسائل هناك رسالتان إحداهما طويلة باللغة العربية، والأخرى قصيرة باللغة الفرنسية. والرسالة بالعربية أهم رسائل الطنطاوي التي وصلت إلينا في مجموعة غوتولد،، وليست أهمها فقط باعتبارها نموذج أسلوب الشيخ في مراسلاته، بل لأنها وصف لكل حياته في بطرسبرج في هذا الردح من الزمن وتاريخها ٢ جمادى الأولى سنة ١٢٦٩ (١١ فبراير ١٨٥٣)، ولأهميتها نأتي بها كاملة[١٩] فيما يلي:

الحبيب المبجل الخواجة غوتفال حفظه الله وبلغه مناه

أما بعد إهداء الأشواق النامية والسؤال عن صحتكم الغالية فقد وردت ألوكتكم البهية ورسالتكم السنية، فسرت الفؤاد لما أنها عنوان أكيد

---

(١٧) مسجلة برقم ٧١.

(١٨) على ما يظهر يريد بذلك ليسنوي. مصيف كان في ضواحي بطرسبرج، والآن غدا جزءًا من مدينة لينغراد (الترجمة).

(١٩) مسجل برقم ٨٥.

الوداد وقد صار مكايوف من جملة تلامذة المدرسة الشرقية والآخر من طلبة المدرسة الكبيرة القيصرية[٢٠] والآن ورد من القسطنطينية تخت الدولة العلية معلم لسان التركى وهبى أفندى[٢١] ؛ إذ تعليمات أهل اللسان تجدى كما أن عندكم عربيًا يكون للتمرين وإفهام النطق والتبيين، وقد صار مرزا كاظم بيك جنرالاً، ونال بذلك امتيازًا وإقبالاً، هذا وأسألكم العفو عن الماضى ، وأخاف أن يكون جنابكم غير راضٍ فإن الأشغال عاقتنى عن إرسال جواب الألوكة الأولى، والعذر عند خيار الناس لا يزال مقبولا، ومن قبل العبارة التى كتبتم والألفاظ التى سألتم فأخبركم أن لفظ الرحلة[٢٢] يستعمل بمعنى السفر(٢٣) والكتاب[٢٣] المصنف فى السفر مثل رحلة ابن بطوطة وبمعنى العالم(٢٣) الذى يرحل إليه لكثرة علمه وهذا الثالث هو المراد فى عبارتكم فالرحلة فيها بمعنى العلامة.. وأما المنبود بكريت فأظنه المنبوز بالزاى بمعنى الملقب[٢٤] وأخبرنى حسين كاتب كاظم بيك[٢٥] أن فى قزان رجلا يعرف العربى فأرجوكم إبلاغ سلامى إليه وقولوا له: إن لكم بلديًا فى بتربورغ وهل هو

---

(٢٠) فى قائمة أسماء الذين تخرجوا من جامعة بطرسبرج من قسم اللغات الشرقية سنة ١٨٥٥ يوجد اسم الأمير إيفان مكايف (ق. غريغوريف. الجامعة الإمبراطورية فى بطرسبرج خلال ٥٠ سنة على وجودها بطرسبرج XCIX).

(٢١) وهبى أفندى كان مدرس اللغة التركية فى القسم التعليمى ١٨٥٢ - ١٨٥٦ ن.إ. فسيسلوفسكى. معلومات رسمية عن تدريس اللغات الشرقية فى روسيا. بطرسبرج ١٨٧٩ - ١٠٨.

(٢٢) الخط تحت الكلمة للطنطاوى.

(٢٣) تحت هذه الكلمات توجد أرقام عربية صغيرة ٣،٢،١.

(٢٤) غير مفهوم عن أى مؤلف يستعلم غوتولد.

(٢٥) يعنى حسين فيزخانوف الذى كان فيما بعد ١٨٥٧ . ١٨٦٣ مدرسًا فى كلية اللغات الشرقية.

الذى يكون فى المدرسة الكبيرة للتمرين، وحسين هذا مريض بعيونه وهو فى مارستان المرضى، وبأخبار الملا أمين[٢٦]، هو أحسن وفى بتربورغ الآن نحو عشرة أعراب من مملكة مراكش يلعبون فى رياضة الخيل فى السرك أحدهم متزوج وله ولد مات ودفن فى بتريورغ وزوجته تتكلم بالفرنساوى، والعربى كالآخر، لكن أصلها فرنساوية، ولها ولد آخر يلعب فى السرك ويتكلم بالعربى والفرنساوى والنمساوى كأمه وأبيه. وكنت عندهم وكانوا عندى، وقد وصل لى مكتوب من الشيخ أحمد حسين المكى[٢٧] وأخبرنى فيه أنه دخل بواسطتكم فى المدرسة الكبيرة فأرجوكم إرسال المكتوب[٢٨] الذى بطىّ هذا له مع إبلاغ تسليماتى وأشواقى إليه، ومن قبل أحوالى فالحمد لله أنا بالعافية وقد أعطى لى حضرة أمير الأمراء ولى العهد شاهزادة إسكندر خاتمًا من الزمرد مرصعًا بالألماس الثمين وتشرفت بالمثول بين يديه فقابلنى بغاية الطلاقة والبشر وتحدثت معه ومع زوجته أميرة الأمراء مارية نحو نصف ساعة، وسبب ذلك أن النقاش «مير» عمل له أوضة تركية[٢٩] وكتبت له عدة قصائد رسمت

---

(٢٦) ابن بامين أمينوف الذى كان فيما بعد ١٨٥٧ ـ ١٨٦٣ مدرسًا فى الكلية.

(٢٧) أحمد بن حسين المكى كان مدرس اللغة العربية فى جامعة قازان من سنة ١٨٥٣ (ن. إ. فسيلوفسكى ١٢٩ op. cit) ومن سنة ١٨٥٦ - ١٨٥٨ كان مدرسًا للغة العربية فى جامعة بطرسبرج. وربما كان هو الذى وضع كتابًا فى المخاطبات العربية الروسية بحجم ١٢٤ صفحة in pol المحفوظ على حسب تسجيل كتانوف ٢٢١ رقم ٩٢، ٢٢٢ رقم ١٠٣.

(٢٨) فى ذيل الخطاب عند كلمة المكتوب هذه العبارة je vous prie de l'enveloper et de la cachter"

(٢٩) الكلام يجرى على ما يسمونه الغرفة الآسيوية فى قصر كاترينا التى كتبت عنها فى DAHB ١٩٢٩ رقم ٩ صفحة ١٦١، على أنه لا أدرى من مصادر أخرى هل اشترك النقاش مير فى زخرفتها أم لا.

فيها قصيدة ٢٥ سنة من تتويج أبهة القيصر. مع التاريخ قصيدة تاريخ تزوج ولى العهد، قصيدة . تاريخ ولادة ابنه المطبوعة فى أول كتابى، وهذه القصائد الثلاث مزينة بالذوق الشرقى على باب دولاب، ثم قصيدة دعا للعائلة القيصرية ثم طلاسم وآيات مناسبة على الباب ثم أسماء جميع العائلة الإمبراطورية(٣٠) ثم قبلت من أبهة ملك ڤير تمبرغ صفيحة ذهب مع شريط الصليب الفيرتمبورغى جزاء على نسخة من كتابى أرسلتها له، وقد كتبت له شكرًا على ذلك قصيدة عربية أعجبته جدًا، كما أخبرنى سفيره القاطن بيتربورغ(٣١) وفى السنة السابقة قبل سفر ليتنبرغ إلى مصر عملت(٣٢) له أوضة تركية وكتبت له قصيدة غزلية(٣٣) وآيات على الجدار فأرسل لى صانية وستة ظروف لفناجين القهوة وبكرج(٣٤) قهوة مكتوب عليه بالعربى قهوة بنية تشرب بالنية، وهذه الجملة كتبتها لأجل القهوة وكتبت جملا أخرى للماء والشربات وراحة الحلقوم... إلخ. وقد شرفنى الدوق المذكور بالمثول بين يديه. ومن قبل زوجتى وأحمد فهما طيبان بخير. أرجوكم إبلاغ تسليماتى وتسليماتهما إلى قرينتكم المصونة وإلى أولادكم العزاز خصوصا إلى الست الصغيرة نينه التى أحبها جدا كأنها بنتى ويعلم الله متى يكون اللقاء. مرزا جعفر(٣٥) كان مريضًا جدًا

---

(٣٠) جميع مؤلفات الطنطاوى المذكورة محفوظة فى الغرفة الأسيوية انظر DAHB ١٩٢٩ رقم ٩ صفحة ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٣١) نعرف هذا من سجل خدمة الطنطاوى. قصيدة الشكر محفوظة بين مخطوطاته (انظر المواد الملحقة بتاريخ حياته رقم ٨، III).

(٣٢) لهذه الكلمة حاشية مكتوب فيها: عملها مير نقاش أوضة مكسمليان دوقة باويرة.

(٣٣) بين مخطوطاته محفوظ «تاريخ قدوم سعادة ولى عهد الروسيا...».

(٣٤) كلمة بكرج، ج بكارج تستعمل كثيرًا فى مصر بمعنى أبريق القهوة.

(٣٥) ميرزا جعفر تبشيباشيف المذكور آنفًا.

نحو شهرين. والآن حالته أحسن نرجو الله له تمام الشفا كلفنى بإبلاغ السلام لكم ولأهل منزلكم. وأما مسيو درن[٣٦] فهو ضعيف فى هذه السنة. والمرجو من كرم الله أنه يشفى فى الصيف بسبب تغيير الهوا. وزوجته وأولاده بخير، كنت عندهم، وكذلك زوجتى كانت عندهم؛ وقد زارونى مرة فى الصيف فى القرية ليسنوى[٣٧] ودمتم كما رمتم والسلام.

مخلص الفؤاد

٢ جمادى الأولى سنة ١٢٦٩   الشيخ محمد عياد

هنا بدت شخصية الشيخ كاملة زاهية مفعمة بجميع اهتماماته فى عهد ازدهاره، كما نرى تلك البيئة التى عاش فيها وألفته وألفها. وفى هذه الرسالة نسمع صوته مفعماً بالحياة للمرة الأخيرة ويا للأسف.

أما الرسالة المكتوبة باللغة الفرنسية فقصيرة مكتوبة على ورقة رقيقة بتاريخ ٥ أبريل سنة ١٨٥٦، ويبتدئ تحريرها بعبارة Je suis toujours malad وهنا يخبره بأنه قرأ كل ما أرسله غوتولد لبزوبرازوف[٣٨]، وأن أحمد حسين[٣٩] سيصل عن قريب إلى قازان، وأن دوزن كثيراً ما يزوره "dans ma maladie" وهما دائماً يذكران غوتولد فى حديثهما، وتنتهى الرسالة بإهداء السلام وهذه الرسالة مكتوبة أيضاً بيد ثابتة.

---

(٣٦) عضو المجمع العلمى دورن المذكور آنفاً.

(٣٧) هكذا كتبت فى الأصل.

(٣٨) ربما كان الكلام يجرى على السياسى العتيد بزوبرازوف الذى كان فيما بعد قنصل جنرال فى تبريز. انظر Les manuscrits arabes de L'Institut des langues decrits par le Baron Victor Rosen . St.p. 1877,II.

(٣٩) المذكور آنفاً احمد بن حسين المكى.

وهذه الرسالة مؤرخة فى أبريل (نيسان) سنة ١٨٥٦ عندما قدم الشيخ طلبًا ليرسلوه إلى ينابيع المياه الحارة للعلاج، كما هو معلوم لدينا من تاريخ حياته، إذ إنه أصيب بشلل رجليه فى سبتمبر سنة ١٨٥٥، وكانت حياته فى السنوات الأخيرة خمودًا مطردًا مما يحملنا على الاعتقاد بأنه لم يحرر لغوتولد خلالها.

تعليقات وتحقيقات

للأستاذين

عبد الحميد حسن ، ومحمد عبد الغنى حسن

[١] جمادى الثانى، كما هو مدون على اللوحة التذكارية باللغة العربية وصوابها: جمادى الآخرة كما فى الاستعمال العربى الصحيح.

[٢] ظهرت بعد ترجمة أحمد تيمور ومحب الدين الخطيب للشيخ محمد عياد الطنطاوى تراجم أخر أهمها: بحث رصين - على إيجازه - كتبه الدكتور جمال الدين الشيال، ونشرته «مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية فى المجلد الثانى سنة ١٩٤٤، والآخر بحث واف كتبه محمد عبد الغنى حسن، نشر فى مجلة «الكتاب» المصرية يونيو سنة ١٩٤٦، ثم نشره الباحث بعد ذلك فى كتابه «أعلام من الشرق والغرب» من منشورات دار الفكر العربى، القاهرة سنة ١٩٤٩ ويؤكد هذان البحثان الأخيران اهتمام العرب الدائم بآثار أسلافهم على مدى الزمان.

[٣] بندلى صلبيا الجوزى من قدماء المهاجرين العرب إلى روسيا، وله مشاركات لا بأس بها فى التأليف والترجمة والتدريس بجامعة قازان، ومن كتبه: «الطاعون وأعراضه والوقاية منه» المطبوع فى قازان سنة ١٨٩٧، وكتاب «الأمومة عند العرب» تأليف ديلكن الهولندى، وهو تصوير للأسرة البشرية فى المجتمع الإنسانى عمومًا، وعند العرب على وجه الخصوص، وهو من مطبوعات قازان سنة ١٩٠٢. وكتاب «الحركات الفكرية فى الإسلام»، وهو من أهل القدس وظل محاضرًا فى جامعتى باكو وقازان إلى أن توفى سنة ١٩٤٥. ويصفه رجال الاستشراق بأنه كان مرجعًا خصبًا من مراجعهم.

[٤] يدل تعليق جوتوالد على تشابه أحوال المسلمين فى العالم كله حينذاك، مما تؤكده الدراسات الإسلامية الأخيرة ككتاب «لوثروب

ستودارد» الأمريكى الذى ترجمه عجاج فويهض، وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان تعليقات ثمينة.

[٥] النطق الصحيح لهذا الاسم هو «فرينل» بإسقاط حرف S. ولكن جرى كثير من أدباء العرب على كتابته «فريسنل» بأثبات حرف S وممن جرى على النطق الصحيح الأب لويس شيخو اليسوعى فى كتابه «الآداب العربية فى القرن التاسع عشر»، وقد ظل «فرينل» جوابًا فى بلاد العرب أكثر حياته إلى أن توفى بمدينة بغداد سنة ١٨٥٥، وقد اشتهر بترجمته للامية العرب للشنفرى.

[٦] الطنطاوى بأداة التعريف كما كان يكتبها هو فيما تركه من آثار. ولهذا آثرنا هنا إثبات «ال» فى أكثر المواطن، خلافًا لما جرى عليه استعمال السيدة المترجمة.

[٧] متن المنهج فى علم الفقه الشافعى هو لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٥، وهو مشهور بين طلاب الفقه، وقد اختصره من «منهاج الطالبين» للنووى وشرحه شرحًا مفيدًا.

[٨] هو الشيخ إبراهيم بن محمد الباجورى نسبة إلى قرية الباجور من أعمال المنوفية، وقد وصل إلى مشيخة الأزهر سنة ١٢٦٣ هـ. وله شروح وحواش وتعليقات كثيرة على المتون الأزهرية السائدة فى وقته. توفى سنة ١٨٦٠ م. وقد ذكر المؤلف أنه تولى مشيخة الأزهر حتى سنة ١٨٦١. والصحيح أنه تولاها حتى سنة وفاته ١٨٦٠.

[٩] ولد الشيخ العطار سنة ١٧٧٦ وتوفى سنة ١٨٣٥، وهو من أصل مغربى. وله الفضل فى إنشاء جريدة الوقائع المصرية. وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٤٦ هـ. وكان يتقن صناعة المزاول

الشمسية والليلية كما كان فيه مهارة فى العمل اليدوى. وقد اشتغل بالتجارة بعض الحين فى أول حياته، إلا أنه انصرف إلى العلم فنبغ فيه.

[١٠] هو الشيخ إبراهيم عبد الغفار الدسوقى المولود بدسوق سنة ١٨١١ والمتوفى سنة ١٨٨٣. وقد كان له مشاركة فى حركة الترجمة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر. ولم يكن له فضل الترجمة، وإنما شارك كثيرًا فى تصحيح الكتب المترجمة فى عصر محمد علىّ وعباس. وكان مصححًا فى مدرسة الطب، فالمهندسخانة، فمطبعة بولاق التى صار رئيس التصحيح فيها، كما شارك فى تحرير الوقائع المصرية.

[١١] يعد إدوارد وليام لاين من كبار المستشرقين الإنجليز. وقد ولد بإنجلترا سنة ١٨٠١ وتوفى سنة ١٨٧٦. وقد عاش بمصر زمنًا طويلاً مكنه من إجادة اللغة العربية الفصيحة والعامية، كما تمكن من دراسة المجتمع العربى المصرى دراسة واعية. وكان من آثار هذه الدراسة كتابه المشهور: (المصريون المحدثون) الذى ترجمه أخيرًا الأستاذ عدلى طاهر نور. وقد كان لاين يدعى فى مصر: منصور أفندى، وكان كثير المخالطة للشعب وتزيا بزيه الوطنى، واشتهر فوق كتابه المشار إليه بمعجمه الكبير العربى - الإنجليزى الذى طبع منه فى حياته خمسة أجزاء، وأكمله بعد وفاته قريبه المؤرخ المستشرق المشهور ستانلى لاين بول صاحب كتاب «سيرة القاهرة» المعروف. ويقول المستشرق آربرى عن معجم لاين هذا: إنه يعد أكبر خدمة قدمها مستشرق إلى اللغة العربية.

[١٢] هو الشيخ محمد بن الشيخ عبد الرحمن الشهير بقطة العدوى، اشتغل بالتصحيح فى دار الطباعة المصرية ببولاق. وله من الكتب (فتح الجليل، على شواهد ابن عقيل) وهو بهامش (شواهد ابن عقيل) للشيخ عبد المنعم الجرجاوى. وله كذلك ذيل على كتاب (الفتوحات المكية) لابن عربى، ترجم فيه لصاحبه وذكر شيئًا من مناقبه وآثاره، وقد توفى الشيخ محمد قطة سنة ١٢٨١ هـ. سنة ١٨٦٤م.

[١٣] فى الأصل «ابن مالك» وهو خطأ صوابه «مالك»، والإمام مالك هو ابن أنس الأصبحى أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة (٩٣ ـ ١٧٩ هـ) أما ابن مالك فهو محمد بن عبدالله بن مالك المولود بالأندلس، وأحد الأئمة فى العربية، وصاحب كتاب «الألفية» المشهورة فى النحو. وقد توفى سنة ٦٧٢ هـ.

[١٤] لا محل هنا لهذا الاستثناء، لأن قصيدة كعب بن زهير، وبردة الإمام البوصيرى فى مدح النبى عليه السلام ليستا من المعلقات ولا من المقامات.

[١٥] إبراهيم مرزوق، تعلم بمدرسة الألسن، وتتلمذ فيها على ناظرها الشيخ رفاعة الطهطاوى. وقد برع فى الفرنسية، اشتهر بنظم الشعر حتى سمى بالشاعر. وله ديوان عنوانه (الدرالبهى المنسوق، بديوان إبراهيم بيك مرزوق). وكان رحمه الله يكره الأجانب لطغيانهم على الشعب المصرى. وكان يصرح بهذه الكراهية التى جلبت عليه سخط ممثلى الدول الأجنبية فى مصر فشكوه إلى الحكومة، وتوفى بالخرطوم سنة ١٢٨٢ هـ، كما يذكر مترجمه المرحوم أحمد تيمور.

[١٦] الشاعر محمد شهاب الدين كان من الأشراف، اتخذ الأدب والشعر وسيلة إلى الاتصال بالحكام، فاتصل بعباس الأول والى مصر وتقرب منه حتى كان كبير ندمائه. وله كتاب فى الموسيقى التى برع فيها سماه (سفينة الملك)، كما أن له ديوان شعر أكثره فى المديح توفى الشيخ شهاب سنة ١٨٥٧. وفى كتاب (أعلام من الشرق والغرب) لمحمد عبد الغنى حسن دراسة مفصلة عنه وترجمة وافية لحياته.

[١٧] كريمر: هو البارون فون كريمر المتوفى سنة ١٨٨٩. وهو من كبار المستشرقين الألمان. طاف بمصر وسوريا، وعلم العربية فى بلاده. وشارك فى نشر كثير من المخطوطات القديمة منها كتاب الاستبصار والأحكام السلطانية للماوردى. وغزوات الواقدى واشتهر بكتابه عن «تاريخ الحضارة الشرقية»، وكتابه عن «تاريخ الفرق الإسلامية».

[١٨] ديتريتشى: مستشرق ألمانى ولد فى برلين سنة ١٨٤١، وتوفى سنة ١٨٨٨. وطاف بأنحاء كثيرة من الشرق العربى والإسلامى. واشتغل بتدريس العربية فى وطنه. وشارك فى نشر مخطوطات عربية مهمة منها مقتبسات من إخوان الصفاء، ومنتخبات من «يتيمة الدهر» للثعالبى، ونخب من ديوان أبى الطيب المتنبى، ومقولات أرسطو طاليس، وآراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى وغيرها.

[١٩] برون: هو مستشرق فرنسى الأصل، تعلم الطب أولاً، ثم تتلمذ على المستشرق الكبير سلفستر دى ساسى. والمستشرق دى برسيفال. حضر إلى مصر فى عهد محمد علىّ وشارك فى

المشروعات الطبية لمصر فى عصره، وكان كثير الاتصال بشيوخ مصر وعلمائها،، وله فيهم رأى خاص، وكان له الفضل الأول فى نشر «القاموس المحيط» للفيروزابادى لحاجة الناس والعلماء إليه. ويعد رأى الدكتور برون فى علماء مصر شيئًا قاسيًا، وحكمًا جافيًا يكاد يشبه رأى المؤرخ الجبرتى فيهم. وتوفى برون فى ١١ يناير سنة ١٨٧٦.

ولمعرفة تفاصيل عن حياة الدكتور برون ومشاركاته العلمية والاستشراقية اقرأ بحثًا رصينًا عنه للدكتور جمال الدين الشيال فى مجلة كليه الآداب بجامعة الإسكندرية العدد الثانى سنة ١٩٤٤.

[٢٠] هو محمد بن بيرم التونسى، العالم الرحالة المؤرخ، ولد بتونس سنة ١٨٤٠، وطاف بأوربا كثيرًا، ولما احتل الفرنسيون بلاده سنة ١٨٨٢ هجرها، ونصب قلمه للمجاهدة فى سبيل تحريرها، ثم رحل إلى الآستانة، وأنشأ جريدة هناك باسم «الأعلام». ثم غادرها إلى أوربا ومنها عاد إل مصر حيث ألف كتابه «صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار» وهو وصف لرحلاته. وتوفى بمدينة حلوان سنة ١٨٨٩.

[٢١] هو ابن فراين الكبير المستشرق الروسى المولود فى روستك سنة ١٧٨٢ والمتوفى سنة ١٨٥١، وقد اشتغل بالتدريس فى كلية قازان، واشتهر بخبرته فى النقود الشرقية القديمة أو ما يسمى بعلم «النميات» وله فى ذلك بحوث ضافية، كما اشتهر بنشر كثير من المخطوطات العربية النادرة، أو نقلها إلى اللغة اللاتينية.

[٢٢] زاوية رزين هى إحدى قرى مركز منوف محافظة المنوفية، ولا تزال باقية إلى اليوم.

[٢٣] تستعمل المترجمة كلمة «الكرنتينة»؛ لأن الشيخ الطنطاوى نفسه كان يستعملها فى كتاباته. والحق أنها كانت اللفظة السائدة فى ذلك العهد، وهى تعريب للكلمة الأجنبية، إلا أننا استعملنا أخيرًا كلمة «الحجر الصحى» التى طردت كلمة كرنتينة وحلت محلها. ولهذا استبدلنا فى هذا الكتاب بكلمة الكرنتينة كلمة الحجر الصحى.

[٢٤] لم ندر المقصود بعبارة (الورق المنشن).

[٢٥] هو البارون سلفستر دى ساسى المستشرق العلامة الفرنسى المشهور، والمتخصص فى لغة العرب والفرس، فكان أمهر أهل زمانه فيهما. ولد سنة ١٧٥٨ ـ لا سنة ١٧٥٠، كما جاء خطأ فى الطبعة الثانية من تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان . واشتهر بكتابه الكبير فى النحو العربى الذى وضعه للراغبين من الفرنجة فى تعلم اللغة العربية. وقد نشر أكثر من مائتى كتاب فى علوم الشرق ولغاته وعاداته ودياناته. وله المكتبة الشرقية التى تعد أضخم موسوعة فى آداب الشرق. وله الفضل فى نشر كتاب كليلة ودمنة، ومقامات الحريرى، ورحلة عبداللطيف البغدادى إلى مصر، وألفية ابن مالك وغيرها. وتوفى سنة ١٨٣٨.

[٢٦] إن عد الشيخ يوسف الأسير من المصريين هو تعبير على سبيل التجوز، فإن الشيخ يوسف الأسير لبنانى ولد فى صيدا وتعلم فى دمشق، ورحل إلى مصر فأقام بالأزهر بضع سنوات. ثم عاد إلى

طرابلس (لبنان) فبيروت؛ حيث تولى رياسة الكتاب فى محكمتها الشرعية. وتوفى سنة ١٣٠٧ هـ، وله ديوان شعر ونقد على كتاب نار القرى للشيخ ناصيف اليازجى، وكتاب فى المواريث، وشرح أطواق الذهب للزمخشرى وغيرها.

[٢٧] هو حمزة بن الحسن الأصفهانى المتوفى سنة ٣٥٠ هـ، وكتابه فى التاريخ عنوانه: (تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء) وصل فيه إلى تاريخ سنة ٣٥٠ هـ، وقد نشره المستشرق غوتوالد ونشر معه ترجمة لاتينية وطبع فى مدينة ليبسيك سنة ١٨٤٤. ثم طبع هذا الكتاب بعد ذلك فى مدينة كلكتا سنة ١٨٦٦.

[٢٨] ليس صحيحًا أن كتاب «السفر إلى المؤتمر» من تأليف أمين عبد الله فكرى بن الوزير الأديب عبد الله فكرى، وإنما هو من تأليف أحمد زكى «باشا» الذى كتبه واصفًا رحلته إلى أوربا ممثلاً للحكومة المصرية فى مؤتمر المستشرقين الدولى التاسع. أما كتاب أمين عبد الله فكرى فهو: «إرشاد الألبا، إلى محاسن أوربا» وأغلب الظن أن الأمر التبس على المترجمة فى نقل اسمى الكتابين من هامش الأصل الروسى.

[٢٩] كان الاسم الذى اتخذه ڤالين هو الشيخ «ولى»، كما ذكر المؤلف، الشيخ عبدالولى، كما جاء فى بعض المصادر التى ترجمت له.

[٣٠] لامية الأفعال، أو «المفتاح بأبنية الأفعال» هى قصيدة تعليمية فى النحو لابن مالك النحوى المتوفى سنة ٦٧٢، وصاحب ألفية ابن مالك المشهورة فى النحو. وقد طبعت اللامية فى بطرسبرغ سنة ١٨٦٤، وقد شرح هذه اللامية ابن المؤلف بدر الدين بن مالك، وطبع الشرح فى مدينة هلسنجفورس بفنلندة سنة ١٨٥١.

[٣١] المستشرق فليشر Fleischer، أحد رجال الاستشراق الألمان ولد سنة ١٨٠١ وتوفى سنة ١٨٨٨. وتتلمذ على سلفستر دى ساسى، وكوسان دى برسيڤال وعلم العربية فى ليبزج، وكان من طبقة فريتاغ وفلوغل فى الاستشراق، وشارك فى نشر تفسير البيضاوى، والمفصل للزمخشرى.

[٣٢] سليم نوفل ولد فى طرابلس الشام (لبنان) سنة ١٨٢٨. وأحرز جانبًا قليلاً من العلوم والآداب، فاشتغل موظفًا بشركة روسية للبواخر، وقد عرفه ذلك بالقنصل الروسى فى بيروت الذى اقترح تعيينه مدرسًا للغة العربية فى القسم التعليمى بكلية بطرسبرغ فوافقت حكومته على ذلك. وقد بذل من النشاط فى البحث والدرس والقراءة ما عوضه عما فاته من تحصيل العلم فى صغره وشبابه. وله كتاب بالفرنسية فى سيرة النبى عيله السلام، وتوفى بمدينة بتروغراد سنة ١٩٠٢.

[٣٣] الخَتم هو ما كان يكتبه الطالب القارئ، لكتاب عندما ينتهى من قراءته ويختم مطالعته، فيشير بهذه العبارة المؤرخة إلى ختمه لقراءة الكتاب. وقد كان ذلك شائعًا بين طلاب الأزهر وعلمائه. وهى عادة قضى عليها التقدم العلمى الحديث.

[٣٤] شرح القطر هو شرح كتاب «قطر الندى وبل الصدى» والمتن وشرحه لابن هشام الأنصارى العالم النحوى المشهور المتوفى سنة ٧٦١. وقد بلغ ابن هشام فى النحو شهرة جعلت مؤرخنا ابن خلدون يقول عنه: (ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام،، أنحى من سيبويه). والحق أن ابن هشام النحوى صاحب كتاب «المغنى» وغيره من

الكتب الجليلة قد رفع رأس مصر عاليًا فى ميدان الدراسات النحوية.

[٣٥] حاشية الباجورى فى العقائد هى للشيخ إبراهيم الباجورى أو البيجورى الذى كان من علماء الأزهر، وانتهت إليه رياسته سنة ١٢٦٣. وقد كان فى الرجل هيبة وكرامة واعتزاز بعلمه، واعتداد بالله. حتى كان لا يقوم من مجلسه فى الأزهر حين يدخل عليه الخديو عباس الأول. وهو من مواليد قرية الباجور من أعمال المنوفية سنة ١١٩٨ هـ.

ولقد شاهد فى شبابه حملة الفرنسيين على مصر، وأدرك الأفاضل من شيوخ الأزهر كالشيخ محمد الأمير والشيخ عبد الله الشرقاوى، وحاشية الباجورى هذه على (متن العقائد) للسنوسى التوحيد، وهى مشهورة بين طلاب الأزهر إلى عهد غير بعيد.

[٣٦] متن الجوهرة هو كتاب «جوهرة التوحيد» فى العقائد للشيخ إبراهيم اللقانى من علماء مصر فى القرن الحادى عشر الهجرى (توفى سنة ١٠٤١). وهو من قرية لقانة من أعمال محافظة البحيرة. وكان من شيوخ مصر المشهورين فى علوم الحديث والتوحيد والكلام. وجوهرة التوحيد قصيدة تعليمية من الشعر التعليمى الذى كان سائدًا حتى ذلك العصر وما بعده. ويقال إن اللقانى نظمها فى ليلة واحدة.

[٣٧] تصريف الزنجانى: هو مختصر مفيد فى التصريف للعالم الزنجانى عز الدين بن أبى المعالى الخزرجى المعروف بالعزى،

وقد توفى بعد سنة ٦٥٥، كما فى كتاب «مفتاح السعادة»، لأن سنة وفاته غير محققة على سبيل الضبط.

[٣٨] كتاب «المقدمة الأزهرية» وكتاب «شرح الأزهرية» هما لمؤلف واحد مشهور فى دوائر الجامعة الأزهرية، وهو الشيخ خالد الجرجاوى الأزهرى، المتوفى سنة ٩٠٥ هـ قبيل الفتح العثمانى لمصر ببضعة عشر عامًا. وله مشاركة فى علوم اللغة والنحو بطائفة من الكتب كانت سائدة فى الدوائر الأزهرية إلى عهد غير بعيد.

[٣٩] السمر قندية هى رسالة فى البيان والاستعارات لأبى القاسم بن بكر الليثى من علماء النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى. وللشيخ إبراهيم الباجورى الذى سبق التعريف به حاشية على السمر قندية. انظر زيدان جـ ٢ ص ١٥٩.

[٤٠] لقد شرح «الملوى» متن السمر قندية فى البيان، فجاء الشيخ محمد الأمير الكبير - من علماء الأزهر فى القرن الثالث عشر الهجرى (١٢٣٢) - فألف حاشية على هذا الشرح. والشيخ الأمير - صاحب هذه الحاشية المعروفة - من مواليد سنبو من أعمال مديرية أسيوط. وتتلمذ على الشيخ الملوى، وتلقى عليه مسائل. وقد اشتهر فى العالم العربى كله - وخاصة بلاد المغرب - بمتونه وشروحه وحواشيه اللطيفة الدقيقة التى كان يقبل عليها طلاب الأزهر والمعاهد الإسلامية.

[٤١] (الكافى، فى علمى العروض والقوافى) هو متن فى بحور الشعر العربى وقوافيه وأوزانه وعلله وزحافاته. وقد ألفه احمد

شهاب الدين القنائى المصرى المتوفى سنة ٨٥٩ هـ. وهو متن متداول معروف. وقد صنع الشيخ محمد الدمنهورى عليه شرحًا اسمه «الإرشاد الشافى على متن الكافى». والدمنهورى من علماء الأزهر ومدرسيه، توفى سنة ١٢٨٨ هـ. سنة ١٨٧١ م، وكان معاصرًا للشيخ الطنطاوى، وهو غير الشيخ أحمد الدمنهورى المتوفى سنة ١١٩٢ هـ، وصاحب كتاب الإيضاح فى المنطق.

[٤٢] (حاشية العطار على المقولات). هى حاشية صنعها الشيخ حسن العطار - شيخ الجامع الأزهر - على شرح كتاب المقولات للشيخ أحمد السجاعى فى علم الفلسفة. والسجاعى كان تلميذًا للشيخ حسن الجبرتى والد عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ المعروف. ثم صار من كبار العلماء الذين يقصدهم الطلاب، وتوفى بالقاهرة سنة ١١٩٧هـ.

[٤٣] هو كتاب «حلية الفرسان» ، وشعار الشجعان» لابن هذيل الأندلسى، وقد نشره المستشرق مرسييه مطبوعًا بطريقة الفوتوتيب، ثم نشرته دار المعارف بمصر سنة ١٩٥١ محققًا ومعلقًا عليه بقلم الأستاذ محمد عبدالغنى حسن.

[٤٤] M. Feghali هو ميخائيل فغالى اللبنانى، من مواليد كفر عبيدا فى لبنان، وقد اشتهر ببحوثه باللغة الفرنسية فى بعض اللهجات العامية فى لبنان. واشتغل بالتدريس فى جامعة بوردو الفرنسية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى. وقد طبع كتابه (اللهجة العربية الدارجة فى كفر عبيدا) بمدينة باريس سنة ١٩١٩.

[٤٥] كتاب «المزهر» فى اللغة للإمام السيوطى العالم المؤرخ النحوى المشهور.

[٤٦] سبط الماردينى هو محمد بن أحمد بن بدر الدين سبط الماردينى المولود بالقاهرة سنة ٨٢٧ هـ. كان بارعًا فى الحساب والفلك، واشتغل موقتًا بالجامع الأزهر. وله كتب كثيرة فى الرياضة والفرائض والفلك. ولعل الرسالة المشار إليها هنا هى: (حاوى المختصرات، فى العمل بربع المقنطرات) ولا تزال مخطوطة إلى اليوم، واسمه الماردينى، والماردانى: نسبة إلى جامع الماردانى المعروف بالقاهرة وتوفى سنة ٩٠٧ هـ . ١٥٠١م.

[٤٧] شهاب الدين أحمد بن رجب بن طنبغا المجدى. ولد بالقاهرة سنة ٧٦٧ هـ، واشتهر بالبراعة فى علم الحساب والهيئة والفرائض والفلك والتوقيت والهندسة وغيرها. ووصفه المؤرخ السخاوى بأنه: (أشير إليه بالتقدم) وكتابه المشار إليه هنا هو: «رسالة فى العمل بالربع المرسوم بالمقنطرات» وتوفى المجدى سنة ٨٥٠ هـ . ١٤٤٧م بمدينة القاهرة.

[٤٨] كتاب «بلوغ الأرب، بشرح قصيدة من كلام العرب». هو شرح قصيدة السموءل المشهورة التى أولها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل

وقد قام بشرحها الشيخ أحمد السجاعى الذى سبقت الإشارة إليه والتعريف به فى هذه التعليقات، حين الحديث على كتاب حاشية العطار على المقولات.

[٤٩] تاريخ وفاة السجاعى كما ذكره المؤلف هنا سنة ١١٩٠هـ، ولكن المذكور فى معجم المطبوعات العربية لسركيس، وفى «الأعلام» للزركلى أنه توفى سنة ١١٩٧ كما ذكرناه قبلا.

[٥٠] شمس الدين الرملى هو محمد بن أحمد بن حمزة الرملى المنوفى المتوفى سنة ١٠٠٤ هـ، وتولى إفتاء الشافعية، وكان يلقب بالشافعى الصغير. ومنظومته الفروع والأصول لا تزال مخطوطة على ما تحقق لدينا. والبيت الذى أورده المؤلف كراتشكوفسكى من هذه المنظومة غير صحيح الوزن، وصوابه كما يبدو لنا هو:

يتبع الفرع فى انتساب أباه ولأم فى الرق والحرية

[٥١] هو البارون فيكتور فون روزن (١٨٤٩ - ١٩٠٨). ولد فى مدينة روك من مقاطعة استلاند. تعلم اللغات الشرقية وتتلمذ على المستشرق فليشر. وله بحث عن كتاب الشاهنامة للفردوسى الشاعر الفارسى، استحق عليه نوطًا ذهبيًا.

[٥٢] هو الشيخ عبد الهادى بن رضوان نجا الأبيارى. ولد فى قرية أبيار من أعمال محافظة الغربية سنة ١٢٣٦ - ١٨٢١ م. وتلقى علومه فى الأزهر، واشتغل بالإفتاء فى عهد توفيق. وتوفى سنة ١٣٠٥ هـ - سنة ١٨٨٨م.

[٥٣] أبو صفوان الأسدى: هو صاحب المقصورة التى أولها:

نأت دار ليلى وشط المزار فعيناك ما تطعمان الكرى

وقد ذكرها أبو على القالى فى كتابه «الأمالى» - جـ ٢ ص ٢٣٧ - طبعة دار الكتب المصرية، منسوبة إلى صفوان، برواية أحمد بن يحى عن ابن الأعرابى، ثم تولى أبو على القالى شرح القصيدة لفظًا لفظًا؛ وهو شرح مزدحم بالفوائد اللغوية والنوادر الأدبية والشواهد الكثيرة من شعر العرب المحتج بهم.

[٥٤] الصفدى: هو صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى الأديب العربى المشهور من رجال القرن الثامن الهجرى، وقد اشتهر بكتابه فى التراجم : (الوافى بالوفيات) الذى جعله تكملة لوفيات الأعيان لابن خلكان، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبى. وله كتاب (نكت الهميان، فى نكت العميان) وهو أوفى مصدر لتراجم العميان فى الأدب العربى حتى عصره. وشرحه لقصيدة لامية العجم عنوانه: «الغيث المنسجم فى شرح لامية العجم» ولامية العجم هى القصيدة اللامية المشهورة للطغرائى الشاعر المتوفى سنة ٥١٤ هـ، والتى نظمها فى شكوى الزمان وأهله، وأولها:

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

[٥٥] «لابن نباطى» هكذا بالأصل ، وهو خطأ من المترجمة وصوابه:

«لابن نباتة»، وهو الشاعر القاهرى الرقيق محمد بن محمد بن الحسن بن نباتة، ولد بالقاهرة سنة ٦٨٦ هـ، واشتهر بالعلم والشعر والأدب وتوفى سنة ٧٦٨ هـ، وهو غير ابن نباتة الخطيب المشهور.

[٥٦] «روض الأخيار من ربيع الأبرار» هو اسم الكتاب الذى انتخبه المولى محيى الدين بن الخطيب قاسم (٨٦٤ ـ ٩٤٠) من كتاب «ربيع الأبرار» للإمام الزمخشرى. وقد قال ابن الخطيب فى مقدمة الروض: «لما كان علم المحاضرات علمًا نافعًا من علوم العربية. حتى إن العلامة الزمخشرى قد صنف فى ربيع الأبرار، إلا أنه بحر زاخر لا تدرك غايته، استخرجت من نخب فوائده على وجه الاختصار، وألحقت ما عثرت عليه فى كتب الأدباء».

[٥٧] الدوقة هنا كما استعملها الشيخ عياد الطنطاوى ليست للمؤنث كما يتبادر إلى الذهن، ولكنها للمذكر.

[٥٨] كتاب «مغنى اللبيب» هو للإمام النحوى المصرى المشهور ابن هشام الذى سبق التعريف به فى هذه التعليقات. أما الأزهرى صاحب الحاشية على المغنى فهو الشيخ محمد الأمير. المشهور بالأمير الكبير المتوفى سنة ١٢٣٢ هـ.

[٥٩] لامية العرب هى قصيدة مشهورة للشنفرى الشاعر الجاهلى. ومطلع القصيدة:

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم   فأنى إلى قوم سوا كم لأميل

وقد اهتم كثير من أدباء العربية بشرحها والتعليق عليها، منهم: «المبرد» العالم اللغوى الأديب المشهور صاحب كتاب «الكامل»، والزمخشرى المفسر العالم المشهور.

[٦٠] سقط الزند: هو الديوان المعروف لأبى العلاء المعرى. وأبو زكريا يحيى التبريزى هو أحد أئمة اللغة والأدب (٤٢١ ـ ٥٠٢هـ).

وقد قصد مدينة المعرة من بلدة تبريز ليقابل شاعرنا المعرى. وله هذا الشرح على ديوان «سقط الزند» لأبى العلاء، كما له شروح على ديوان الحماسة لأبى تمام، وشروح على المعلقات. كما اشتهر بكتابه فى اللغة: «تهذيب إصلاح المنطق» الذى هذب فيه كتاب ابن السكيت الذى عنوانه: «إصلاح المنطق».

[٦١] جاء اسم هذا الكتاب فى معجم المطبوعات العربية لسركيس هكذا: «العيون الفاخرة الغامزة، على خبايا الرامزة» وهو شرح على كتاب الخزرجية فى علم العروض، والخزرجية هى منظومة

فى علم العروض لضياء الدين الخزرجى المالكى المعروف بأبى الجيش المغربى المتوفى سنة ٦٢٦ أو سنة ٦٢٧. ولشيخ الإسلام زكريا الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٥ شرح على القصيدة الخزرجية عنوانه: «فتح رب البرية، بشرح القصيدة الخزرجية». أما الدمامينى صاحب العيون الغامزة على خبايا الرامزة» فهو بدر الدين أبو عبد الله محمد الدمامينى المالكى الإسكندرى من مواليد الإسكندرية سنة ٧٦٣هـ وتوفى سنة ٨٢٨هـ، لا فى سنة ٨٣٧هـ كما ذكر خطأ فى كتاب «بغية الوعاة» للسيوطى.

[٦٢] الزوزنى هو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزنى، من رجال القرن الخامس الهجرى. وتوفى سنة ٤٨٦هـ. كان إمام عصره فى النحو واللغة، وله شرح مطبوع على المعلقات السبع.

[٦٣] الميدانى صاحب كتاب مجمع الأمثال المشهور هو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميدانى النيسابورى، لا يعلم تاريخ مولده، وتوفى سنة ٥١٨هـ.

[٦٤] ابن سليمان التلمسانى شاعر اشتهر بالرقة والإجادة، وتولى أعمال الخزانة بدمشق، وقد ولد بالقاهرة سنة ٦٦١، وتوفى بدمشق سنة ٦٨٨. ولا يخلو ديوانه من سهولة تامة جعلته لا يسلم من الألفاظ العامية الدائرة فى عصره.

[٦٥] السلطان جلال الدين منكبرتى هو أحد ملوك الدولة الخوارزمية. والنسوى مؤلف سيرة هذا السلطان هو محمد بن أحمد بن على النسوى، اتصل بخدمة السلطان واشتغل فى بلاطه، ثم ألف سيرته وهى المعروفة بسيرة السلطان منكبرتى. وهى مطبوعة،

وقد نشرت ترجمتها إلى الفرنسية فى جزءين - توفى النسوى سنة ٦٣٩.

[٦٦] شرح المنهاج هو كتاب ألفه جلال الدين المحلى شرحًا لكتاب «منهاج الطالبين» فى الفقه الشافعى الذى ألفه الإمام محيى الدين النووى الشافعى سنة ٦٧٧. والمحلى صاحب شرح المنهاج هو الإمام جلال الدين صاحب تفسير الجلالين الذى أكمله على نمطه الإمام جلال الدين السيوطى المؤرخ العالم. وقد ولد المحلى بالقاهرة سنة ٧٩١هـ، وتوفى سنة ٨٦٤.

[٦٧] «الدرة المضية» هى قصيدة الإمام البوصيرى فى مدح النبى عليه السلام، المعروفة بالبردة، واسمها أيضًا: «الكواكب الدرية فى مدح خير البرية». وصاحبها الإمام البوصيرى - لا البصرى كما ذكرته المترجمه خطأ - المصرى المتوفى سنة ٦٩٦، وعلى البردة شروح كثيرة، ولها معارضات مشهورة منها معارضة الشاعر أحمد شوقى التى مطلعها:

ريم على القاع بين البان والعلم

أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

وتغنيها أم كلثوم. أما بردة البوصيرى فمطلعها:

أمن تذكر جيران بذى سلم   مزجت دمعًا جرى من مقلة بدم

[٦٨] كتاب «معيد النعم ومبيد النقم» هو من تصنيف الإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكى ابن الإمام تقى الدين السبكى. وقد وهم المؤلف أغناطيوس كراتشكوفسكى فنسب كتاب معيد النعم إلى تقى الدين مع أن الصواب أنه لتاج الدين السبكى الابن. ولعل

اسم السبكى اختلط عليه فخلط بين الابن وأبيه. وكتاب معيدالنعم هذا مطبوع أخيرًا بتحقيق الأستاذ محمد على النجار بكلية اللغة العربية فى الأزهر مع زميلين له. وهو كتاب ثمين جدًا، ففيه تصوير دقيق للمجتمع الإسلامى العربى فى القرن الثامن الهجرى. وتاج الدين السبكى كان قاضيًا للقضاة بمصر وتوفى ٧٧١، أما أبوه تقى الدين - الذى نسب إليه المخطوط خطأ - فقد توفى سنة ٧٥٦هـ. والنسبة فى اسميهما إلى قرية «سبك» من أعمال محافظة المنوفية. وقد ذكر كراتشكوفسكى أن تقى الدين السبكى توفى سنة ٧٧١ وهو وهم آخر، والصحيح ما أثبتناه هنا عن وثيق المصادر.

[٦٩] أطباق الذهب هو كتاب مشهور فى المواعظ والخطب، ألفه شرف الدين عبد المؤمن بن هبة اللّه المعروف بشقورة أو شقروه. وكان من رجال القرن العاشر الهجرى واشتهر فى أواسطه. أما «أطواق الذهب فى المواعظ والخطب» فهو للإمام الزمخشرى العالم المفسر البلاغى المشهور المتوفى سنة ٥٣٨هـ.

[٧٠] كتاب الجامع الصغير للإمام السيوطى هو تلخيص لكتابه الكبير: «جمع الجوامع» فى الحديث النبوى، وهو مرتب على حروف الهجاء، فمتى عرف أول الحديث سهل العثور عليه بأدنى نظر، ومن هنا كانت فائدة هذا الجامع وحاجته العملية السريعة لإسعاف المراجع والباحث. والسيوطى من أعلام مصر وكبار مؤرخيها وعلمائها، توفى سنة ٩١١هـ، قبيل الغزو العثمانى بعشر سنوات.

[٧١] المقريزى: هو تقى الدين أبو العباس أحمد بن على المقريزى، نسبة لحارة المقارزة فى مدينة بعلبك ، وهو من كبار المؤرخين فى القرن

التاسع الهجرى (٧٦٦ ـ ٨٤٥)، وكانت نشأته ووفاته بالقاهرة. وكتابه «المواعظ والاعتبار» هو المعروف بخطط المقريزى. وله أهمية كبرى فى تحديد خطط مصر وأقاليمها وآثارها وعادات أهلها وصفة مجتمعاتها. وقد اهتم الأجانب والمستشرقون بهذا الكتاب الثمين منذ مطالع القرن التاسع عشر.

[٧٢] الثعالبى: هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى، وهى نسبة إلى خياطة جلود الثعالب لأنه كان يشتغل بالفراء. وهو من أدباء العرب ولغويهم ومؤرخيهم فى القرن الخامس الهجرى (٣٥٠ ـ ٤٢٩). واشتهر بكتابه «يتيمة الدهر» فى الترجمة لشعراء أهل عصره. وله مؤلفات كثيرة قيمة. وكتاب «برد الأكباد فى الأعداد» مطبوع فى مطبعة الجوائب بالآستانة سنة ١٣٠١ ضمن مجموعة خمس رسائل له ولغيره.

[٧٣] كتاب الصادح والباغم هو لابن الهبارية نظام الدين أبى يعلى محمد بن صالح بن حمزة المتوفى سنة ٥٠٤هـ. وكان على إجادته فى الشعر هجاء خبيث اللسان. واتصل بنظام الملك الوزير المشهور للسلطان ألب أرسلان. واشتهر بنظمه لكتاب «كليلة ودمنة». أما الصادح والباغم فهو منظومة على ألفى بيت، فيها حكايات وحكم وأمثال على مثال كليلة ودمنة، وقد طبع أكثر من مرة. وقد ذكر أن الثعالبى توفى سنة ٥٠٤. ولعله وهم من المترجمة، فإن سنة ٥٠٤ هى تاريخ وفاة ابن الهبارية لا الثعالبى.

[٧٤] سكردان السلطان هو كتاب معروف لابن أبى حجلة التلمسانى المغربى نزيل دمشق والقاهرة فى القرن الثامن الهجرى. وقد ولد بزاوية جدة من بلاد المغرب سنة ٧٢٥، وتوفى سنة ٧٦٢، أو سنة

٧٧٦ على خلاف فى ذلك بين مترجمى حياته. وسكردان السلطان هو كتاب ألفه للملك الناصر قلاوون، ذكر فيه أنه السابع ممن جلس على سرير الملك من إخوته . ثم ذكر علاقات أخرى للسلطان بالعدد (٧).

ويشتمل كتاب السكردان على فوائد تاريخية كثيرة فى سيرة الناصر قلاوون وأسرته وما وقع فى عهده فى مصر من غرائب الأحداث. ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى ذكر طرف من سيرة النبى يوسف وموسى، والحاكم بأمر اللّه الفاطمى. وهو مطبوع على هامش كتاب «المخلاة» للعاملى.

[٧٥] ذكر كراتشكوفسكى مؤلف كتاب محمد عياد الطنطاوى هذا أن كتاب «ريحانة الأدب» هو لابن خفاجة، وهذا وهم من المؤلف. فإن الريحانة للشهاب الخفاجى، لا لابن خفاجة. فالخفاجى - صاحب الريحانة - مشرقى كانت وفاته سنة ١٠٦٩هـ. وهو صاحب «شرح درة الغواص» و«شفاء الغليل بما فى كلام العرب من الدخيل». أما ابن خفاجة فهو الشاعر الأندلسى المشهور المتوفى سنة ٥٣٣هـ.

[٧٦] المقَّرى: بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة هو أحمد بن محمد المقرى المغربى التلمسانى، مؤلف «نفح الطيب» المشهور، و«أزهار الرياض» وغيرهما من الكتب النفيسة. توفى بالقاهرة سنة ١٠٤١هـ ودفن بمقبرة المجاورين. والمزدوجة هى قصيدة فى الدعاء والتوسل والمدح النبوى. وقد طبعت مزدوجة المقرى ضمن مجموعة من المزدوجات لناظمين آخرين، على مطبعة حجر بمصر سنة ١٢٧٤، ثم توالت بعد ذلك طبعاتها.

[٧٧] غرر الخصائص هو كتاب (غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائص الفاضحة) لجمال الدين الوطواط. وقد سمى بالكتبى لأنه كان عارفًا بالكتب ملمًا بموضوعاتها ومؤلفيها. وهو مصرى المولد، ولد سنة ٦٣٢، وتوفى سنة ٧١٨. وهناك مؤلف آخر يعرف بالكتبى وهو ابن شاكر الكتبى المولود سنة ٦٨٦ والمتوفى سنة ٧٦٤. فهو وصاحبنا من رجال عصر واحد. إلا أن ابن شاكر الكتبى سمى بالكتبى، لأنه كان يتجر فيها فرزق من تجرتها مالا طائلا. وابن شاكر هذا هو صاحب كتاب «فوات الوفيات» الذى جعله ذيلا لكتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان.

[٧٨] ابن مطهر الحلى من رجال القرنين السابع والثامن الهجرى، ولد بالحلة سنة ٦٤٨، وكان مقربًا عند السلطان الجايتو محمد المغولى، وكان شيخًا للرافضة فى العراق، وتوفى سن ٧٢٦هـ. وكتابه : «قواعد الأحكام فى معرفة الحلال والحرام » منه نسخة مطبوعة وأخرى مخطوطة بدار الكتب المصرية. أما الكتب التى نعرفها له فهى: «تبصرة المتعلمين فى أحكام الدين»، و«تهذيب الوصول إلى علم الأصول» و«الألفين، الفارق بين الصدق والبين» و«كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد»، و«منهاج الكرامة فى الإمامة».

محمد عبد الغنى حسن ، عبد الحميد حسن

التصحيح اللغوى: صفاء فتحى
الإشراف الفنى: حسن كامل
التصميم الأساسى للغلاف: أسامة العبد



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب